قواعد المنهج وطرق البحث العلمي



تأليف

أ.د عقيل حسين عقيل



قواعد المنهج
وطرق البحث العلمي

أ.د. عقيل حسين عقيل

المقدمة

بسم الله

أقدم للقراء والبحاث الكرام كتابنا قواعد المنهج وطرق البحث العلمي ليكون بين أيديهم يُثرى بالنقد البناء حُجَّة ومعلومة ومنطقا وبرهانا، ويكون بين أيدي المتعلمين والدارسين في الجامعات والأكاديميات العلمية إضافة للمكتبات ليرشُد البعض دون إكراه، ويساعد البعض دون منّة، ويفك اللبس والغموض بين المصطلحات والمفاهيم العلمية دون تحيُّز.

المنهج العلمي الذي تناولناه بالبحث والكتابة هو الذي به تُفكّك المعلومات أو به تُركَّب، وهو الذي يستند على قواعد علمية بها تؤصل المعلومة وتُصنَّف وتُعرض بعد تقصي ثم تُحلل حتى تؤدي إلى نتيجة موضوعية تكون بين أيدي البحاثة قابلة للتفسير، ومن ثم ترشد لمعالجات أو إصلاحات موضوعية.

في هذا الكتاب عرض مُعمَّق للمنهج وإبعاده دلالة ومفهوما ومعنى، مع تبيان قواعده الرئيسة وما يقابلها من استثناءات في دائرة الممكن ووفقا لنظريتي الاحتمالات والنسبية.

ولقد ميَّزنا تحليلا وتعليلا وتفصيلا بين المنهج العلمي والطريقة العلمية كما ميَّزنا بينه وبين الأسلوب والمقرر، ولقد تم ذلك بعد أن كشفنا اللبس والغموض الذي علق في أذهان بعض من المؤلفين الذين أطلقوا على الطرق البحثية مسمى المنهج.

ولذا نحن نقول:

المنهج هو مجموعة من القواعد بها يتم تفكيك المعلومات وبها يتم تركيبها ونَظْمِها دون أن تكون معلومة نشاز عن معلومة، أمَّا الطريقة العلمية فهي التي تحتوي على مجموعة من الخطوات التي يمكن اتباعها في سبيل تقصي المعلومة وتتبع عللها وأسبابها سواء أكانت ظاهرة للمشاهدة أم كامنة للملاحظة.

يحتوي كتابنا (قواعد المنهج وطرق البحث العلمي) على بابين رئيسين وسبعة عشرة فصلا علميا.

يجيب هذا الكتاب على مجموعة كبيرة من تساؤلات الجامعيين وطلبة الدراسات العليا، وما يواجههم من حيرة حول المنهج والطريقة والأسلوب والمقرر.

والحمد لله ربِّ العالمين.

أ.د عقيل حسين عقيل

جامعة الفاتح

كلية الآداب

قسم الخدمة الاجتماعية.

15 من شهر رمضان الموافق 4 . 9. 2009م

الباب الأول

المنـهج وقواعده العلميـة

الفصل الأول

المنـهج العلمي

المنهج العلمي:

المنهج Method مجموعة من القواعد العلمية والمنطقية بها يتمكّن الباحث من تفكيك وتركيب وربط المعلومات بموضوعية، وبه تُنسجُ الأفكار وتُعرض التصورات المجسَّدة لها في السلوك والفعل.

يتم استنباط المنهج من المقروء والمسموع دون أن ينفصل عنه، فالمنهج هو مجموع الأفكار التي بها يتم تعلم الكيفية التي عليها الأمر أو التي سيؤول الأمر إليها بحثا وعلما ومعرفة، وبالمنهج يتم التمكن من معرفة الآتي:

. كيف نتعلم؟

. كيف نبحث؟

. كيف نصوغ لِما نبحث فروضا؟

. كيف نصوغ لما نبحث تساؤلاتٍ؟

. كيف نسأل وكيف نتساءل؟

. كيف نُفكِّر ونتدبَّر؟

. كيف نَنظم أفكارنا موضوعيا وكيف نَنظمها بالمعلومات تجاه إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات؟

. كيف نتابع قضية علمية ونتمكن من تفكيك عناصرها وكشف خفاياها؟

. كيف نركِّب ما تم تفكيكه على قواعد قابلة للقياس والتقييم والتقويم؟

. كيف نحلل المتغيرات المحمولة في المعلومات البحثية؟

. كيف نشخِّصَ الحالة قيد البحث وفقا للمعلومات التي تم تحليلها؟

. كيف نتمكَّن من بلوغ النتائج بموضوعية؟

. كيف نستنتج مما نكتب حلولا ومعالجات؟

. كيف نفسِّرَ النتائج؟

. كيف نكتب التقرير؟

. كيف نعمل؟

. كيف نتطوَّر ونُطوِّر؟

ولذا فالمنهج بناء فكري على أسُسه تبنى النظريات وتترابط وتُصاغ، وبه يتم إظهار المتغيرات الصريحة والضمنية وتُستكشف العلاقات بين المستقل منها والتابع والمتداخل. ومنه تُستمد الطرق التي تُنتهج من أجل تحقيق الأهداف العلمية.

المنهج تتبع فكري واعي به تتزن المعلومة حتى تأخذ مكانها الذي يليق بها بين المعلومات السابقة لها والمعلومات اللاحقة عليها، وبه يتم استكشاف الاتجاه السالب والاتجاه الموجب، وإظهار الكيفية التي يتم بها الإصلاح بفعالية.

بالمنهج تتضح الرؤية، عمّا هو كائن وعمّا يجب أن يكون، مع تقديم بدائل وفقا لكل أولوية ولكل تداخل وتتابع في الفكرة والكلمة والجملة والنص أو الخطاب.

المنهج لا يستقل عن النص بأي حالة من الأحوال، ولهذا لا يمكن كتابة المنهج فالمنهج لا يُكتب ولكن يكتب عنه. مثلما نفعل الآن نكتب عن المنهج لنُعرِّفَ به الآخرين مثلما عرفنا نحن مما قرأنا من غيرنا.

المنهج لا يمكن أن يستقل بذاته عن غيره نظرية أو نصٍ أو خطاب، ولذا مع أنّ المنهج لا يُكتب، إلا أنه يُكتب عنه.

به تُستبين المسارات الفكرية والاتجاهات المحمولة فيها، إنه الكيفية التي بها تتم صياغة الموضوع وكيفية تقديمه للقراء والمستمعين أو المتعلمين حتى يتمكنوا من استنباطه ومعرفته عن كتب، وهكذا يتم إدراك المنهج استقراء واستنباطا بما يُكتب به وبما يُكتب عنه.

يكون المنهج متينا بقوة ترابط أفكاره وبناء قواعده، ويكون ضعيفا بتفكك أفكاره وبنيان قواعده، فالمنهج هو الذي يمد المفكرين والباحثين بما يُمكِّنهم من استقراء الفكرة وما تدل عليه وما تحمله من متوقع وغير متوقع سواء كان سالبا أو موجبا، ويمدهم بكيفية التمسك بما هو موجب والحياد عما هو سالب.

إنه ناظم المعلومة في الفكرة وناظم الفكرة بالمعلومة، وناقلها بها إلى الطريقة المترجمة له في كل خطوة من خطواتها في الفعل والسلوك.

المنهج هو الكيفية التي يتم بها توليد الفكرة من الفكرة، وتوليد الحُجَّة من الحُجة، من أجل رؤية المستقبل والتطلّع له قبل وصوله، وهكذا يكون المنهج من أجل التطوُّر والتقدم إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع.

وبما أن المنهج هو الذي به تُفكك المعلومة وتُركَّب. إذاً هو الذي به يتم الانتقال من الكل إلى الجزء ومن بعده يتم الانتقال إلى المتجزئ. وبناء على هذه القاعدة كان جدل هيجل، وشك ديكارت من أجل معرفة الحقيقة الكامنة في الكل والحقيقة الكامنة في الجزء والحقيقة الكامنة في المتجزئ. وعليه أصبح البحاث يمتدون في تقصيهم المعرفي من كلٍ إلى جزءٍ إلى متجزئ منه، وحسب خصوصية كل موضوع وكذلك منهم من يمتد في بحثه بداية من المتجزئ إلى الجزءِ ومن ثم إلى الكل.

المناهج كما سبق أن بيَّنا هي التي تُعلِّمنا كيف نفكّر، وكيف نتعلم، وكيف نشاهد ونتابع عن وع وكيف نُلاحِظ ونستقراء الفعل وردود الفعل، وكيف نربط علاقة بين متغيرين أو أكثر، أو كيف نكشها للآخرين.

المنهج لم يعد كما يظن البعض قالبا ثابتا لصهر الأفكار مثل القوالب التي تُصهر فيها المعادن تحت درجات حرارة عالية، بل أصبح المنهج اليوم قواعد معيارية يُمكن أن تقاس به الأقوال والأفعال والسلوكيات، وتحدد على ضوئه الاتجاهات وتستقرا نتائجها المستقبلية مما يجعل البحاث يرسمون لها الخطط في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع). ولهذا فالمناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع لتبحث فيها، هذه المناهج اجترارية، فهي كمن يَلُكَّ العِلكة أكثر من مرة، فهي لا تُمكِّنَ الباحث من توليد الفكرة من الفكرة، والمعلومة من المعلومة، والأحدث من الحديث، والأجد من الجديد، والأنفع من النافع. فالمناهج التي تُمكن من كل هذا هي التي تجعل المجتمع بأسره في حالة حركة متجددة، وفي حالة تسابق ومنافسة وتطلّع من أجل بلوغ أمانيه وغاياته بكل شفافية مع أخذ الحيطة والحذر من كل انتكاسة.

ولأن البحوث تختلف باختلاف مواضيعها، ودرجة اهتمام الباحثين أو المجتمع بها، لذا فهي تتطلب مناهج علمية مرنة تُمكِّن الباحثين من الوصول إلى أهدافهم العلمية بأقصر الطرق، وأقل التكاليف، وتقدم الموضوع بخطوات يمكن مراجعتها والتأكد منها، ومع ذلك لم تكن المناهج قوالب جاهزة كما يعتقد البعض، بل أنها ذات الأساليب المتنوعة والمتعددة، ولهذا لا داعي إلى فرضها على الآخرين نتيجة خصوصياتهم وخصوصيات مواضيعهم، التي تتطلب أساليب مرنة تراعي

خصوصياتهم الثقافية والتعليمية والدينية والعرفية أثناء تجميع المعلومات، وتحليلها، وتشخيص حالتهم، واستخلاص النتائج منها.

المنهج العلمي والموضوعي هو المنهج المفتوح غير المقفل، فالمناهج المقفلة مناهج استهلاكية غير منتجة، تتقيد بالتكرار الذي لا يفتح آفاق التعلم واكتساب الخبرة أمام منتهجيه، أما عندما تكون المناهج مفتوحة ومتقنة فإنها تكون مناهج استيعابية، تستوعب تطلعات الباحثين وشطحاتهم، مما يجعل بحوثهم إبداعية، أو التي منها يأتي الجديد.

وكما أن لكل فرد منهج خاص به في حياته العادية يسير عليه سلوكا وأسلوبا في تعامله مع الآخرين، ويتميز به عنهم، كذلك الباحث ينبغي أن يكون له منهجا يصطبغ بخصوصية موضوعه، وعليه ينبغي أن يهتم الباحث بالمنهج الذي يستوعب شطحاته التي منها قد يأتي الإبداع، وكثيرا ما يوصف إبداع المبدع في البداية بأنه شطحات، ويكون في النهاية إضافة علمية جديدة، مما يبطل آراء البعض المنادين بالتقيد ببعض الاتجاهات المنهجية التي لا تنتج إلا التكرار.

المنهج مع أنه يَنْظِمُ المعلومات تحليلا وتعليلا إلا أنه قد لا يكون فعَّالا، أي يمكن أن يتبع الباحث خطوات البحث العلمي بكل دقة، ولكنه قد يكون مقفلا على تعاليم سابقة وغير قادرا على الخروج عنها بما يُمكِّنه من أن يكون مبدعا.

إنَّ اقتصار التفكير العلمي على ما تسمح به اللوائح والقوانين الوضعية، هو تفكير استهلاكي لا يحقق الإبداع، ولا يرتقى بالمبدعين، فالذي يرتقي بالمبدعين هو أن لا يُحدَّ من تفكيرهم بسقفٍ يقفون عنده أو دونه، لتكون آفاق الخيال العلمي مفتوحة أمامهم، وهكذا من الواقع، والخيال، والحدس، يصل العقل البدع إلى الجديد المفيد.

المنهج العلمي يرتبط بالموضوع، ولا يحيد عنه، ولذا فالموضوع هو الذي يحدد المنهج المناسب للبحث فيه أو لدراسته، ولهذا لا يمكن أن يكون المنهج سابقا على الموضوع فلولا الموضوع ما كان المنهج، ولولا المنهج ما سُبرت أغوار الموضوع وكُشفت أسراره، ولهذا نقول:

(لكل موضوع منهج خاصا به، فلا داعي لتسويق المناهج الجاهزة التي تُسهم في خلق التُّبع ولا تُسهم في خلق المبدعين).

وعليه، فبالمنهج نستطيع أخذ العبر من الماضي، ونستوعب الحاضر الجميل من اجل المستقبل الأكثر أهمية، ولكي لا تكون المناهج تكرارا مملا نتيجة اقتصارها على الجاهز فقط ينبغي أن تكون مناهج تطلعية تفتح آفاق الإبداع أمام البحاث في جميع مجالات العلوم وميادينه الواسعة وذلك باستيعابها تطلعات المجتمع وأمانيه المرجوة.

ولذا فالمنهج هو الفن العلمي في تحديد المواضيع وسبر أغوارها عللا وأسبابا وتحليلا وتشخيصا ونتيجة أو استنتاجا، ويتضح الفن المنهجي لدى الباحث عندما يتمكن من ضبط قدراته العقلية مع الموضوع قيد البحث أو الدراسة، لأن المناهج هي المفاتيح التي تدخل الباحث إلى الموضوع للتعرف على إسراره وخفاياه. وبذلك المنهج هو الذي يُمكِّن من اكتشاف الأثر سواء أكان اثر ماديا أم فكريا.

إن المناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع للبحث والدراسة مناهج عقيمة وقوالب جاهزة لا طعم ولا رائحة ولا لون لها، فألاهم أن تكون مناهجا تطلعية لكي تكون سباقة لتحقيق أماني المجتمع وواقية له من التخلف والمرض ومندفعة به إلى التقدم والرقى؛ وأخذة الحيطة والحذر من أن ينتكس إذا ما تم علاجه من مرض قد سبق له وان وشفى منه.

ولهذا لا ينبغي أن تقف المناهج عند الذي كان، أو عند ما هو كائن، بل يجب أن تتطلَّع إلى ما هو ممكنا (متوقع وغير متوقع) من اجل المستقبل الأفضل.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن من إحداث النُقلة التي بها يُصنع المستقبل، ولهذا ينبغي على الباحث أن لا يستهين بالزمان، ولكي لا يستهين بالزمان عليه أن يُعطي قيمة له، وإن لم يفعل ذلك يجد نفسه قد أسهم في ضياعه وضياع مستقبله ومستقبل أبناءه من بعده.

وقد يتساءل البعض:

. إذا كان للزمن قيمة فما هي قيمته؟

. هل لأنه ضرورة بالقوة في ماضيه، وحاضره، ومستقبله؟

. وهل هذه الضرورة نخافها؟

. وهل نخاف الزمن بكامله؟

نعم إنه ضرورة بالقوة، ونعم أننا نخافه، وخاصة المستقبل منه، لأنه غير معروف لنا بعد، مما يُحفِّز الباحث لأن يصوغوا له الفروض والتساؤلات العلمية بموضوعية، ولهذا فهم يبحثون دون توقف عند حدود الماضي منه والحاضر، وذلك لمعرفتهم بأن المستقبل سيأتي بالقوة شئنا أم أبينا.

وبما أننا نعرف انه سيأتي بالقوة، إذن لماذا لا نبحث عنه؟ ولهذا يجب أن نتعلم من اجل المستقبل الذي لم نعرف مضمونه، مع أننا نعرف انه سيأتي إن لم تقم الساعة، ولهذا فنحن الذين أسلمنا وجوهنا لله تعالى، نصلى، ونصوم، ونحج، ونزكى، ونجاهد يوم أن يأتي الجهاد فريضة، وكذلك نعمل، ونتزوج، ونوأمن على ممتلكاتنا، ونأكل ونشرب، ونتعلم ونبحث ونفكر ونتذكر ونعتبر، كل ذلك من اجل المستقبل، ولم يكن من اجل الماضي والحاضر.

وقد يتساءل آخر:

. وما الحكمة من كل ذلك؟

لأننا نجهل المستقبل، ولا نثق فيه، كما لا نثق في الماضي والحاضر، لان الماضي تركنا دون أن يأسف علينا، ولا على الماضيين، وكذلك الحاضر مصرا على ذلك بتنازله عنا ثانية بثانية، ولا يود الاستمرار معنا، ولهذا انعدمت الثقة في الزمنين (الماضي والحاضر)، مما يجعلنا لا نقصر تفكيرنا عيهما إلا لأخذ العبر والقدوة الحسنة التي فيهما عند العض، ولذا فنحن نفكر في غيرهما، ولا غير لهما إلا المستقبل مع انه شقيقهما الذي قد يغدر بنا إذا لم نحتاط من غدره، وعليه: لا ثقة في الزمن على الإطلاق، الثقة في العمل دون سواه، وعليه ينبغي أن نعمل دون تردد، نبحث، نتعلم، نتعرَّف، ونصحح أخطاؤنا أولا بأول ونتطلَّع إلى حياة المستقبل ونعمل على صناعته دون توقف ولذا فمن يتوقف قليلا يتأخر كثيرا فلا داعي للتوقف ولو لبرهة.

المناهج العلمية هي المناهج التحسينية التي لا تقف عند قبول الواقع فقط بل تعمل على تحسينه إلى ما ينبغي أن يكون عليه، حتى لا تكون بمرور الزمن جامدة لا مرونة فيها، وتصبح هرمة كالعجوز لا حيوية لها، متكئة على عصا لا غاية من

ورائها إلا إثبات عدم قدرة من يتكأ عليها، فهي لم تكن عصا موسى عليه الصلاة والسلام .

للباحث العلمي أساليب فنية تربط المنهج بالطريقة البحثية المتوافقة مع الموضوع قيد البحث والدراسة، مما يجعل للمنهج المتقصي للحقائق عناصر التشويق، التي تُحفِّز القراء على البحث، وتُمكِّنهم من التعرُّف على أسراره وخفاياه وكنوزه الثمينة، ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل لها من الأساليب المتنوعة التي بها تتنوع البحوث وتتزين بموضوعية.

وعليه فإن المنهج هو العملية الشاملة التي بها تحلل المعلومات والمعارف والقضايا والعلوم والأفكار، وهذه العملية هي التي تُمكِّن طرق البحث من بلوغ النتائج، فالطريقة التجريبية لن تنجز أهدافها إلا بكشف العلائق الدالة على حلقات الترابط بتحليل الظاهر والكامن أو الصريح والضمني، وهكذا الطريقة التاريخية وطريقة المسح الاجتماعي لن تتما كطريقتين بحثيتين إلا بالمنهج التحليلي.

لذا إنْ حُدِدَ المنهج من قبل الباحث لا بد وأن تكون من ورائه فلسفة، وتتضح فلسفة المنهج بالإجابة على السؤال لماذا يختلف البحاث أو يتفقون في التعرف على الموضوع الواحد، وكيف؟

بشكلٍ عام يختلف البحاث ويتفقون حسب المواضيع، والفلسفات والأهداف المرجوة من كل باحث وكذلك الأغراض والغايات التي من ورائها، والإطار المرجعي لكل منهم أيضاً.

أمَّا بشكل خاص فلكلٍ شِرعة ومنهاجا، أي أن المنهج هو المتغير الرئيس في التباين بين الباحثين فمنهم من تُنْظم فرضياته وتساؤلاته وأفكاره على قواعد ومنهم من يتخلى عنها أو عن بعض منها، ولهذا لا يستوون في علاقاتهم البحثية مع الموضوعية التي تسنها الأخلاق المهنية والحرفية والعلمية.

ولهذا تستمد فلسفة المنهج من فلسفة الموضوع، فيُصبغ المنهج بفلسفة الموضوع كما تُصبغ الأشياء بالألوان مما يجعل وحدة بينهما لدرجة تصعب علينا الفصل بينهما فالورقة الخضراء من أية شجرة إذا غمرناها مثلا في محلول كيميائي قد يتغير لونها الأخضر إلى لون سماوي أو برتقالي أو أي لون آخر طبيعي كما تحول لون مايكل

جاكسون من اللون الأسمر إلى اللون الأشقر فأصبح موضوع بلا منهج لأنه فقد فلسفة وجوده باللون الأسمر الذي ارتضاه الله إليه، حتى وإن كانت له فلسفة من وراء تغير لونه.

وإذا غمرنا قميص ورديا في محلول كيماوي فإنه سيفقد لونه الذي أصطبغ به، والذي ميزه عن غيره من ألوان القمصان، وعندما تزال الألوان عن أوصولها تصبح كالمواضيع بلا منهج لأن المنهج هو الطابع المميز للموضوع أو وسيلة إبرازه علميا من خلال السبل الفنية التي تتبع من قبل الباحث أثناء تجميع المعلومات والبيانات وانتظامها تحليلا وتعليلا واستنتاجا وتفسيرا، ولهذا إذا كان غير مؤسس على المنهج فهو عبارة عن مشروع ارتجالي لم بُين على قواعد موضوعية يمكن الاحتكام بها والاحتكام إليها.

المنهج هو الذي به نتعلم كيف يتعلم، ولذا فالمنهج الذي يعلمنا كيف نتعلم هو الذي يُمكِّن من المعرفة الواعية، والمناهج المخالفة لذلك هي المناهج الإعلامية الإبلاغية، ولذا فالفرق كبير بين المناهج التي تُعلِّمنا كيف نتعلَّم، وبين المناهج التي تُبلغنا أو تُعلِمُنا بما عَلِمت به، فالأولى: تُفسِح الطريق أو المجال أمامنا بما يظهر إبداعاتنا العلمية، والثانية: تُفسِح الطريق أمامنا بما يجعلنا نردد ما تم إعلامنا أو إبلاغنا به، ولا تُحفِّزنا على سواه.

المنهج العلمي هو الذي يُمكِّن الباحث من كشف العلاقات بين المتغيرات والعلل والأسباب مع المقارنة لأجل التفصيل والتدقيق والتقصي الواعي بموضوعية، مما يؤدي إلى معرفة العلاقات بين الكل، والجزء، والمتجزئ، وأثر كل منها على الآخر وفقا لمتغيرات البحث المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة.

وعليه لكي تكون مناهج البحث العلمي مبدعة ينبغي أن تتحرر من طرقها وأساليبها التسليمية والسردية التي لا تمكن من استيعاب الخصوصية الزمانية والمكانية والظرفية.

إن انتقادنا للمناهج التسليمية، لأننا نريدها أن ترتقي إلى استيعاب المستقبل الأفضل الذي يأمله الناس، ويكفيها القصور عند الماضي أو الحاضر فقط، وهذا لا يعني أنها تنفصل عن ميز الماضي ومميزات الحاضر الجميل، بل يعني أن تُستمد القوة

منهما لبلوغ ما هو أقوى وأعظم وأهم. ولهذا التسليم بكل ما يُكتب، أو يُقال لا يعد ميزة بل يُعد عيبا إن لم يتم التفحُّصَ بعد شكٍ بغرض اليقين، ولذا لا تسليم إلا بمسلمات يدركها العقل الواعي وتثبتها التجارب الاجتماعية، أو المعملية المختبرية، ولا تسليم إلا لمطلق، ولا مطلق إلا من عند الله عز وجل، وبما أننا نعترف أن البشر غير معصومين من الخطأ، فلماذا إذاً لا نشك في آرائهم إلى أن نتبين أنه الحق اليقين؟

وعندما ينتقل تفكير المعلم والمتعلم من الانتظار إلى الامتداد في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، أي عندما لا يقف المعلم والمتعلم عند حد المعلومات التي استقبلوها أو تعلموها، عندا لا تتوقف قدراتهم واستعداداتهم عن الاستيعاب بل تنطلق إلى طلب المزيد المفيد، لأن التفكير العلمي تفحصي واستبياني استنتاجي، يربط العلاقات بين المتغيرات، ويتوقع معلومات أخرى قد تقع في أي لحظة من لحظات الزمن وفي أي مكان على الكرة الأرضية.

المناهج العلمية هي التي تبني الثقة في المُعلم والمُتعلم، وتحررهما من التبعية وهمومها التي تطمس شخصية كل منهما.

المناهج العلمية استفسارية تساؤلية، وذلك عندما تستفز القارئ والمتعلم علميا، وتحفزهما على الاطلاع والتساؤل، وتشوقهما إلى المعرفة الواعية، التي لا تجعل من العلم طلاسم أمام البحث والنقاش والحوار والجدل بالتي هي أحسن، ولهذا لا يمكن أن يحس المعلم بالتعالي ولا يحس المتعلم بالغربة، وتنتهي النظرة التلقينية التي تعتبر المعلم طرفا موجبا، والمتعلم طرفا سالبا، والمعلم مُرسل للمعلومات، والمتعلم مستقبل لها، ويصبح التعليم متحررا من القيود وفيه تتساوى كفتا الميزان بين المعلم والمتعلم، فمع أن العملية التعليمية يقودها المعلم إلا أن المستهدف بالتعلم هو المتعلم مما يستوجب مشاركته وعدم تغييبه.

أن تبدأ المناهج مع المبحوثين، والمتعلمين من حيث هم، لكي تندفع بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك باستيعاب أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية، بمعرفة المستويات التي هم عليها، لتكون البداية منها كواقع اجتماعي وإنساني، مع مراعاة الفرق في القدرات، والاستعدادات بين الأفراد

والجماعات والمجتمعات. إن البداية مع الناس أو المتعلمين من حيث هم تحليلا وتشخيصا، يُمكّنهم من استيعاب الرسالة الموجهة إليهم.

والمنهج يُعتبر هو الوعي بالموضوع من خلال الوعي بفلسفته وبالخطوات التي تُتبع من أجل اكتماله وتبيانه. فإذا سألنا سائلا:

أيهما أسرع حركة الجسم الأثقل أم الجسم الأخف؟ فإذا أجبناه إجابة عابرة كما سألنا عابرا نقول الجسم الأخف أسرع حركة من الجسم الأثقل. ولكن هل نحن على وعيٍ عندما أجبنا بأنه الأخف؟ لكي نكون واعون بإجابتنا، علينا أن نطرح الأسئلة الآتية ونحاول الإجابة عليها.

. هل تتأثر حركة الأجسام بحجمها أم لا تتأثر؟ أي هل تستوي سرعة جسم يزن 145 كيلو غراما مع سرعة جسم يزن 75 كيلو غراما في مضمار كرة القدم؟

. هل تتأثر حركة الأجسام بالمسافة أم لا تتأثر؟ أي هل تكون سرعة الجسم واحدة إذا قطع في المرة الأولى مسافة 200 متر، وفي المرة الثانية 2000 متر؟

. هل الاتجاهات تؤثر على حركة الأجسام؟ أي هل الحركة إلى الأمام تساوي الحركة إلى الخلف؟

. وهل الحركة من أسفل إلى أعلى تساوي حركة الجسم وسرعته من أعلى إلى أسفل؟

. هل الزمن يؤثر على حركة الأجسام؟

. أي هل الذي قضى من الزمن 80 عاما يكون مساويا لمن لم يقض سوى 25 عاما في سرعة حركته؟

ـ وهل اختلاف زمن السباق للمتساوين في السرعة لا يؤثر في المسافة المستهدفة بالمرور؟

. ألا تتأثر حركة الأجسام بنوعية الأرضية التي يتحرك عليها؟

. أي هل الحركة على الأرض الرملية تساوي الحركة على الأرض المهددة بالفلين؟

. هل المناخ يؤثر على الحركة؟

. أي هل الحركة في اتجاه الريح تساوي الحركة التي في مواجهتها؟

. ألا يكون للحرارة تأثير على الحركة والمتحرك؟

. هل للثقل أثر على الحركة؟ أي هل كلما زاد ثقل الجسم كلما قلت سرعته الحركية؟

. ألا يكون شكل الجسم يؤثرا على حركته؟
. أي هل كرة دائرية الشكل وتزن كيلو جراما تسقط قبل من أعلى إلى أسفل أم مظلة دائرية الشكل وتزن 3 كيلو جرامات تسقط قبل؟[1]

وعليه، كل الأسئلة السابقة تحمل إجاباتها في مضامينها، نتيجة منهج التوليد الذي يحدد متغيراتها والعلاقات المتكونة بينهما وتأثيراتها الموجبة والسالبة، وعناصر الإثبات والنفي المحمولة فيها. ولذا فطريقة عرض هذه الأسئلة تعبر عن وجود منهج من ورائه حكمة. ويكون المنهج في هذه الحالة هو المجسِّد للسبل التي يتبعها الباحث في تقصي المعلومات وتفكيكها من خلال تتبع موضوعي من الكل إلى الجزء ثم إلى المتجزئ منه مما يجعل المنهج هو المترجم للفروض والمنظم للبحث من ألفه إلى يائه.

فالمنهج لم يكن قالبا ثابتا لصهر الأفكار تحت درجات حرارة عالية وكأنه فرن لإذابة الحديد أو الخامات المعدنية الأخرى الصلبة، بل المنهج هو الذي يكون قابلا لاستيعاب الجديد ويسعى للكشف عنه.

ولهذا المنهج لم يكن تكرارا روتينيا كما يعتقد البعض الذين يحاولون قصره على دراسة الماضي بالتحليل والتفسير، أو البعض الآخر الذي يريد قصره على دراسة الحاضر المشاهد. بل المنهج هو الذي يربط الموضوع بالزمان والمتغيرات التي تظهر من فترة لأخرى ومن مكان لآخر وهو المستوعب للمستقبل والمتطلع إلى آفاقه المرتقبة.

إذاً بالمنهج يتم أخذ العبر من الماضي، واستيعاب الحاضر الجميل من أجل المستقبل الأفضل والأجود والأنفع والأفيد، ولكي لا تكون المناهج تكرارات روتينية تُوَلِّدُ الملل عندما تقتصر على معرفة الجاهز فقط في الزمن الماضي أو الحاضر ينبغي أن تكون تطلعية لكي تفتح آفاق الإبداع أمام العلوم باستيعابها تطلعات المجتمع وأمانيه وتتابع عن كتب مراحل نموه وتطوره وتستوعب التغيرات الطارئة عليه، وكذلك ينبغي أن تستوعب شطحات الباحث العلمية من أجل أن تفتح الآفاق

[1] عقيل حسين عقيل ، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، دار الجأ، الطبعة الثانية، 1995، ص 48.

أمامه في معرفة الجديد واكتشافه من خلال خروجه عن الروتين والقولبة الفكرية والعقلية المميتة للتألق.

إن المناهج التي تنتظر أن يصاب المجتمع بالمشاكل والأمراض لكي تجد مواضيع للبحث هي مناهج عقيمة وقوالب جاهزة لا طعم ولا رائحة ولا لون لها، ولذا فمن الأهم أن تكون المناهج تطلعية لكي تكون سبَّاقة لتحقيق أماني المجتمع وواقية له من التخلف والمرض ومندفعة به إلى التقدم والرقي، مما يستوجب على الباحث أخذة الحيطة والحذر من أن تنتكس أحوال المجتمع إذا ما تم علاجه من مرض قد سبق وأن وقع فيه وشفي منه. ولهذا لا ينبغي أن تقف المناهج عند الذي كان، أو ما هو كائن، بل ينبغي أن تطلع إلى ما هو ممكن في دائرة المتوقع وغير المتوقع.

المناهج العلمية هي المناهج التحسينية التي لا تقف عند قبول الواقع فقط بل تعمل على تحسينه إلى ما ينبغي أن يكون عليه حتى لا تكون بمرور الزمن جامدة أو متحجرة لا مرونة من ورائها إلا إثبات عدم قدرة من يتكأ عليها في أن يضيف جديدا أو يأتي به.

وعليه فالمنهج العلمي هو الذي يُتبع في تقصي الحقائق وتبيانها، ويحتوي على عناصر التشويق التي تُحفِّزَ القراء على البحث والتقصي الدقيق الواعي، وتُمكِّنهم من التعرف على أسراره وخفاياه، ولهذا لم تكن المناهج قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما يعتقد البعض، بل تختلف بالضرورة من موضوع إلى آخر، ومن باحث إلى آخر، وحسب الظرف ألزماني والمكاني والفلسفة التي دفعت الباحث إلى اختيار الموضوع والبحث فيه.

ونتفق مع الفيلسوف ديكارت في قوله ليس غرضي ها هنا أن أعلم المنهج الذي ينبغي على كل امرئ إتباعه من أجل اقتياد عقله على النحو الصحيح، بل فقط أن أبيِّنَ الطريق الذي سلكته لإرشاد عقلي[2].

والغرض من تقديم المنهج هو تبيان النقاط الهامة والأساسية في استيضاح المعلومات والبيانات حتى لا يضيع جهد من يحاول البحث في التخطيط العشوائي

---

[2] عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، الجزء الأول ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، 1984 ، ص 493 .

الذي تجاوزه العلم الحديث، ولهذا تكون للمنهج قواعد علمية ينطلق منها البحاث ويعودون إليها عند الحاجة دون أن تُجرِدَهم من خصوصياتهم الذاتية وأساليبهم الموضوعية.

وحتى لا يستمر اللبس والغموض لدى البعض بأن المنهج هو الطريقة أو أنه هو الأسلوب نقول:

1 . المنهج لم يكن هو الأسلوب.

2 . المنهج لم يكن هو المقرر.

3 . المنهج لم يكن هو الطريقة.

ولتوضيح ذلك فكما سبق أن أوضحنا المنهج دلالة ومعنا ومفهوما نستعرض كل من الأسلوب والمقرر والطريقة حتى يتم التبيُّنَ وفقا للآتي:

* **الأسلوب:** style

الأسلوب هو الكيفية التي بها تُعرض الأفكار وتُراجع المعلومات وتُصاغ المواضيع وتُقدَّم النظريات للآخرين، وهو الذي به يتعامل الأفراد بما يُمكّنهم من التوحُّد والتفاعل والتوافق أو يجعلهم في حالة فرقة وصدام.

إنه يختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى، ومن موضوع إلى موضوع ومن زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان، ولهذا لكل مكان مقام، ولكل مقام مقال.

الأسلوب عندما يحتوي عناصر التشويق فيه يشد المستمعين إلى متابعة النص أو الخطاب أو المشهد أو النص، وعندما يفتقد ذلك يجعلهم في حالة استرخاء ويحسسهم بالملل حتى يفقدهم رغبة المتابعة.

الأسلوب تفنن ومهارة في الإنصات والقول والعرض بما لا يُقلق الآخرين أو يَمس مشاعرهم وأحاسيسهم بأمرٍ سالب مع المحافظة على ذلك بوافر التقدير والاحترام والاعتبار.

ولذلك لا يُعد الأسلوب هو المنهج أو الطريقة كما يعتقد البعض، فالمنهج قواعد فكرية بها يتم تفكيك المعلومة وتركيبها، والطريقة لها خطوات علمية تتبع من جميع البحاث عندما تستند على قواعد المنهج، ولكن الأسلوب يرتبط بالباحث وخصوصيته اللغوية والأدبية والفكرية والثقافية.

*** المقرر:**

المقرر هو مجموع المفردات وما كُتِبَ عنها في محتوى علمي يناسب مرحلة عمرية ومستوى نضج عقلي.

إنه المادة المناسبة للتحصيل المدرسي أو الجامعي أو التعليمي بشكل عام، وهو ما يؤسس على نظريات تربوية ولا يكتبه إلا خبراء متخصصين ولهم من المقدرة ما يُمكِّنهم من معرفة علم القياس الذي من خلاله يتمكنون من تحديد المقرر المناسب لكل مرحلة عمرية وتعليمية.

فالطفل الذي بلغ من العمري ست سنوات أصبح مؤهلا عمريا لدخول المدرسة مع نظرائه من التلاميذ إن كان مؤهلا عقليا، ولكي يصوغ له الخبراء والمتخصصين مقررا تعليميا يناسب قدراته وإمكاناته العمرية والعقلية عليهم أن ينزلوا بمستوي الخبرة والمستوي العلمي الذي هم عليه إلى مستوى عمري وعقلي يساوي ست سنوات وإلا لن يتمكنوا من صياغة مقررا يفيد ويرفع من مستوى التلاميذ المتعلمين في السنة الأولى من المرحلة الابتدائية، وإذا أرادوا أن يصوغوا مقررا إلى المرحلة الثانية من التعليم الابتدائي فعليهم أن يرتقوا بتفكيرهم سنة أخرى عن تلك السنة التي بها كتبوا مقررا للسنة السادسة بحيث يصبح مستوى صياغتهم العلمية مناسبا لحاجة التلميذ في السنة الثانية من المرحلة الابتدائية وهي سبع سنوات، وهكذا ينمون مع نمو أعمار وعقول التلاميذ والمتعلمين في كل مرحلة من مراحل التعليم إلى أن يبلغوا مراحل التفكير المجرد في التعليم الجامعي وما يساويه وما بعده في التعليم العالي.

هذه هي المقررات التي هي الأخرى لا تكتب إلا على منهج أو به وإلا لن تكون مناسبة لمراحل التعليم والمتعلمين الكرام، ولذا فالمقرر مع أنه المؤسس على المنهج فإنه ليس بمنهج.

الطريقة: approach هي مولود المنهج المتكونة من مجموع الخُطوات المنتظمة المتناسقة في ممارسة الفعل، وهي التي تمارس وتُتبع من قبل الذين يلمُّون بها ويجيدون تكرارها وضبط عناصرها ومتغيراتها وتتبع خطواتها. وهي التي تُرتَّب وفقا للأولويات في خطة منهجية في ضوء القدرات والاستعدادات والإمكانات المتاحة من أجل انجاز أهداف واضحة ومحددة.

اتباع الطريقة يُمكِّن البحاث والأخصائيين من تقصي الأثر الذي تتركه الكلمة أو المرض والأثر الذي يتركه الفعل والسلوك.

توصف كل طريقة علمية بالخطوات التي تحتويها فخطوات التجربة هي التي تجعل منها طريقة تجريبية، وخطوات التقصي التاريخي هي التي تجعل للتاريخ طريقة، وكذلك خطوات المسح الاجتماعي هي الأخرى جعلت منه طريقة. وأيضا طريقة دراسة الحالة في مهنة الخدمة الاجتماعية، التي تأسست لها خمسة خطوات منتظمة في عمليات مهنية متناسقة موضوعيا جعلت دراسة الحالة طريقة يمارسها أخصائيون مهره، وخطواتها هي:

. جمع المعلومات.

. تحليل المعلومات.

. تشخيص الحالة.

. علاج الحالة.

. عملية التقويم.

وعليه فالطريقة هي التي بها يتم سبر أغوار المعلومة وتتبع مكامنها، وأثارها التي تتركها على الكلمة أو الفعل أو العمل أو السلوك، وهي التي بها يتم التعرف على ما هو كائن وبها يتم التطلُّع لِما ينبغي أن يكون. ولهذا فالمنهج يُحلل المعلومة ويُفككها ويُركبها، ويؤسس قواعد، أما الطريقة فلها خطوات تُتبع وفقا لتوجهات المنهج الذي يُستمد من الموضوع.

وخطوات الطريقة العلمية المستمدة من المنهج هي:

1 . تحديد إشكالية أو مشكلة البحث.

2 . تحديد أهمية البحث.

3 . تحديد أهداف واضحة للبحث.

4 . تحديد فروض البحث أو تحديد تساؤلاته العلمية.

5 .اختيار الطريقة المناسبة للبحث.

وللمنهج مجموعة من القواعد هي:

1 . الإنسان قوة.

2 . الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

3 . الكلمة.

4 . التواصل الاجتماعي.

5 . الاستيعاب.

6 . المقارنة.

7 . الترابط.

8 . الثابت والمهتز.

9 . الظاهر والكامن.

10 . الشك.

11- تصحيح المعلومة.

***

الفصل الثاني

قاعدة (الإنسان قوة)

(الإنسان قوة)

تأسست هذه القاعدة على أن (الفرد قوة والجماعة أقوى والمجتمع أكثر قوة)

الإنسان قوة هائلة، تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثماراً أمثل.

ويستمد الإنسان قوته من القيمة التي قوَّمه الله بها.

هذا التقويم هو الذي جعل من الفرد قوة، ومن الجماعة قوة مضاعفة ومن المجتمع أكثر قوة.

ولأن الإنسان خُلِق في أحسن تقويم.

إذن هو مقوّم بما هو عليه من قوة.

ولهذا كل ما نراه قوي هو ضعيف أمام قوة الإنسان العقلية والحسية والذوقية، ومهما نظر للإنسان بأنه قوة، فهو الضعيف أمام قوة خالقه، ولذا فإن كل شيء ممكن هو في دائرة النسبية، حيث لا مطلق إلا من عند الله تعالى.

فالإنسان بقوته يتفكّر ويتذكّر، ويستقرا ويستنبط، ويخطط ويَقدِم فينجز، ثم يُقوِّم فيُصحح أو يُطوّر.

ولذا فالقاعدة هي:

الإنسان قوة في دائرة الممكن.

والاستثناء هو:

الإنسان ضعف في دائرة الممكن.

ولأنّ الضعف والوهن هو خروج عن القاعدة، لذا يعمل البحاث والأخصائيون الاجتماعيون والنفسيون عليه عند دراسة الحالات، لأجل تحويله إلى القوة أو عودته إليها.

وبالرغم من أن الإنسان قوة؛ إلاَّ أن هناك بعض من الأفراد الذين يواجهون وهنا في طبيعتهم الخَلقية، حيث المعتوه الذي يعاني من تأخر في قدراته العقلية، والذي تعطّلت بعضٍ من حواسه، ونجد البعض يعيش في تأزماته الحياتية، هؤلاء هم في حاجة لمن يقدم إليهم المساعدة الهادفة: الخدمية والتأهيلية والإصلاحية والمعرفية.

وعليه:

متى يكون الأفراد أو الجماعات قوة؟.

1 . عندما يندمجوا بقوتهم مع قوة الآخرين بإرادة.

2 . عندما يتمكنوا من ممارسة حقوقهم.

3 . عندما يلتزموا بتأدية واجباتهم.

4 . عندما يكونوا قادرين على حمْل المسؤوليات.

5 . عندما يكون لسان حالهم (نحن سويا). كقولهم لا للفساد، نعم للإصلاح– لا للكسل، نعم للعمل.

6 . إذا تمكنوا من استيعاب بعضهم بعضا دون تفرقة وتحسس.

7 . إذا تمكنوا من التطلُّع للآخرين.

8 . عندما يتهيئوا لأحداث التغيير إلى ما هو أفضل وأحسن وأجود.

9 . عندما يلعبون أدوارا وصلاحيات واختصاصات بمهارات متنوعة.

وبما أن كل فرد قوة، إذاً يجب أن يكون لكل فرد دور يؤديه، ومن ينحرف عن دوره تصبح قاعدة الوجوب إصلاحه ليعود إلى مركزه الطبيعي، وهو القوة الفاعلة مع بقية مفردات المجتمع. ونظراً لوجود الفروق الفردية في القدرات والاستعدادات والمهارات والتخصصات، فإن الأدوار تتنوع وفقاً لذلك.

10 . عندما يستثمروا إمكاناتهم المادية الاستثمار الأمثل، تمشياً مع كل حلقة من حلقات التطّور والتقدم التقني والعلمي.

11 . عندما تُشبع حاجاتهم المتطوِّرة.

12 . عندما تسود العدالة في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، ويقدَّروا الأفراد والجماعات حق قدرهم.

13 . عندما يكون التطلّع للمفيد والنافع قيمة في السلوك والفعل.

14 . عندما تصبح الثروة ملكا عاما لأفراد المجتمع دون أي حرمان من الملكية الحرة والاستثمار الحر.

15 . عندما تلغي من القواميس السياسية والاقتصادية والاجتماعية كل كلمات الإكراه والإجبار بغير حق.

16 . عندما تكون الثروة قوة تمكِّن الأفراد والجماعات من تجاوز الحدود.

17 . عندما يكون التعليم قوي. وقوة التعليم ليس ألفاظ ومقررات، ولكن التعليم بما يحققه من منجزات إضافية على قوة أفراد المجتمع.

12 . عندما يرتفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات. فالصحة قوة، والأفراد الذين يغفلوا عن هذه القوة، يضعف مستوى أدائهم وإنتاجهم، ومتوسط أعمارهم. لذلك كلما كانت قوة الإنسان وصحته سليمة، تمكّن من تجاوز الصعاب، والتطلّع بدون تردد إلى الأمام، بما يحقق أهداف، وينجز أغراض، ويبلغ غايات.

وكما عرفنا أن الأفراد والجماعات قوة بوحدتهم وكيانهم، نتعرّف أيضاً كيف أن القوة الكلية تتجزأ إلى الآتي:

. قوة العقل.

. قوة الحواس.

. قوة النفس.

. قوة العاطفة.

. قوة الإرادة.

. قوة القرار.

. قوة التنفيذ.

. قوة العلاج.

. قوة المتابعة.

. قوة التقويم.

. قوة التصحيح.

يستمد الإنسان قوته من قوة خالقه، ويستمد قدرتهُ من قدرتهِ، وكل معطيات القوة يمكن أن تكون بيده إذا عرف أنّ عقله قوة، وقدراته قوة، ومهاراته قوة. وإذا فكر وخطط، ورسم الاستراتجيات أنجز أهدافه بكل قوة، وإذا لم يستثمر ذلك فلن يكون إلا ضعيفا.

ولان الإنسان قوة في خلقه كمفردة بشرية فهو أقوى على المستوى الجماعي والأكثر قوة على المستوى المجتمعي.

وعليه فالإنسان قوة في خلقه كمفردة بشرية، وهو أقوى بمشاركته الجماعة، والأكثر قوة بتوحده مع المجتمع.

وعليه فالقاعدة هي:

1 . الفرد أقوى بمشاركته الجماعة.

2 . الفرد أكثر قوة بمشاركته المجتمع.

والاستثناء هو:

1 . الفرد ضعف إذا ما قورن بقوة الجماعة.

2 . الفرد أكثر ضعفا إذا ما قورن بقوة المجتمع.

ولهذا فإن القوة الاجتماعية تكمن في الأتي:

. قوة العلائق وترابطها.

. قوة المشاركة وحجمها.

. درجة التفاعل وتماسكها.

. قوة التنظيم وتشريعاته.

. قوة الدين وتسامحه.

. قوة العرف و أصالته.

. قوة القوانين وشفافيتها.

. ممارسة الديمقراطية بإرادة.

. اتخاذ قرارات واعية.

. تنفيذ القرارات بوعي.

. حمْل المسؤوليات وتحمُّل ما يترتب عليها من أعباء.

. مستوى التطلع ودرجاته القيمية.

المجتمع مكمن القوة:

ولأن المجتمع مكمن القوة، فقوته تُستمد من تنظيمه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

ـ التنظيم الاجتماعي من حيث قوة القيم والفضائل التي تغرس في نفوس الأفراد الصلابة وتجعلهم في حالة وحدة لا في حالة تجزئة وتفرد.

. التنظيم الاقتصادي من حيث قوة الإنتاج المُشبع للحاجات المتطورة، والمنافسة التي تُمكِّن أفراد المجتمع وجماعاته من التطلُّع إلى كل مفيد ونافع.

. التنظيم السياسي من حيث قوة اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته وتقييم النتائج المترتبة على تنفيذه، وقبوله بتصحيح الأخطاء كلما ظهرت، ولهذا ينبغي أن يُبنى القرار على قوة القاعدة المعيارية المستمدة من الإطار المرجعي الطبيعي كالدين والعرف حتى يكون التمسك بها إرادياً.

وعليه:

القاعدة هي:

1 . قوة التنظيم السياسي.

2 . قوة التنظيم الاجتماعي.

3 . قوة التنظيم الاقتصادي.

والاستثناء هو:

1 . ضعف التنظيم السياسي.

2 . ضعف التنظيم الاجتماعي.

3 . ضعف التنظيم الاقتصادي.

ولذا إذا أرِيدَ للمجتمع أن يكون قوياً، عليه بتمكين أفراده من ممارسة الحرية بأسلوب ديمقراطي في المجالات الآتية:

المجال الاجتماعي.

المجال الإنتاجي.

المجال السياسي.

المجال النفسي.

المجال الذوقي.

المجال الثقافي.

وعليه فالقاعدة هي:

1 . اعتماد القوة في الكلمة.

2 . اعتماد القوة في الفعل.

3 . اعتماد القوة في العمل.

4 . اعتماد القوة في السلوك.

والاستثناء هو:

1 . عدم اعتماد القوة في الكلمة.

2 . عدم اعتماد القوة في الفعل.

3 . عدم اعتماد القوة في العمل.

4 . عدم اعتماد القوة في السلوك.

العقل قوة:

ولان ملكة التمييز قوة، فإن تنميتها تجعلها في حالة فطنه، ولذا فتنمية ملكة التمييز تُمكِّن الإنسان من التمييز والتبيُّن. ولهذا في ملكة التمييز الفطنة دائماً في حالة تأهب واستعداد للإقدام واتخاذ قرارات صائبة، وتحقيق نجاحات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وعليه فالقاعدة هي:

1 . ملكة التمييز قوة.

2 . تنمية ملكة التمييز فطنة.

والاستثناء هو:

1 . ملكة التمييز ضعف.

2 . عدم تنمية ملكة التمييز غفلة.

ولذا فإن تنمية ملكة التمييز يؤدي إلى الأتي:

. زيادة درجة الوعي والفطنة.

. التبيُّن عن ثقة.

. معرفة ما يجب والإقدام عليه.

. معرفة ما لا يجب والإحجام عنه.

. استبصار مكامن القوة ومكامن الضعف.

. الاختيار الإرادي.

ولهذا أسس المنهج على قاعدة الإنسان قوة، ولا ينبغي أن ينظر إلى الإنسان غير ذلك، فإن نظر إليه على غير ذلك قُلل من شأنه واعتباره، ولذا يعمل البحاث والأخصائيين مع الأفراد والجماعات كقوة تفكير وإمكانات مجمّعة، من أجل خلق النُقلة فيهم، وبهم. وبما يحقق منافع لكل فرد وكل جماعة، وبما يعود على المحيط الاجتماعي من فوائد.

لذلك فالمنهج لم يغفل عن قدرات الأفراد، ولا عن استعداداتهم ومواهبهم وطموحاتهم، والاستفادة من ذلك في تحديد مدى فاعلية كل واحد منهم، ووضع استراتيجيات الإنجاز عند التعامل المهني معهم.

وتكمن قوة العقل في الطريقة التي يُفكر بها الإنسان، وفيما يفكر. وإذا ما تمكّن البحاث والأخصائيين من فهم الطريقة التي يُفكِّر بها الإنسان، وفيما يفكِّر، واكتشفوا مكامن القوة والضعف فيه، حينها يستطيعون إرشاده إلى كيف يُفكر بقوة فيما هو أصح.

إن عقل الإنسان، هو الذي يمكِّنه من استقبال المعلومات عن طريق الأعضاء الحسية، ونقلها إلى الدماغ ليقوم بتحليلها وترجمتها في سلوك وفعل مُشاهد وملاحظ. والباحث أثناء دراسته للحالة الفردية أو الجماعية ينبغي أن لا يقف عند حد السلوك والفعل المُشاهد والمُلاحظ، بل عليه أن يدرك مصدر هذا السلوك والفعل، وهو العقل وما يحتويه من قوة هائلة. هذه القوة هي التي جعلت مجموع قوة الجماعة أو المجتمع هي من مجموع حاصل القوة المجمّعة، وليس من حاصل القوة المتفردة.

وعليه:

هناك مجموعة من الخطوات توضح لنا كيفية عمل هذه القوة، لأجل إدراك الكيفية التي يعمل بها العقل (حاصل مجموع أعضاء الجماعة أو أعضاء المجتمع)، ومن تمَّ نجد المبررات التي جعلت الفرد يسلك ويفعل سلوكا سلبيا، أو سلوكا إيجابيا، كما نتمكَّن من تصحيح مسارات بعض الغايات التي يريد الفرد أو الجماعة بلوغها، وبذلك نستطيع خلق نُقلة في عقله أو عقل الجماعة؛ أي خلق النقلة في كيفية التفكير وفيما يُفكر أو تفكر فيه، وبما يعود عليهم من منافع وفوائد قيميّة. وهذه الخطوات هي:

1- تنتظم المعلومات في عقل الإنسان في شكل مسارات عصبية متصلة، وكل معلومة أو فكرة تتحرك في مسارها الخاص، بما يُعطي ترابطا عصبيا بين المعلومة المخزّنة في الدماغ مع ردود أفعال كل إنسان. فعلى سبيل المثال: الإنسان الذي سبق وأن سُجن وأفرج عنه، كلما مر بأسباب مشابهة بالتي جعلته بين الجدران سجينا تفكره بترابط عصبي في تلك الأعوام التي قضاها وهو مسلوب الإرادة.

2- في كل مرة يحدث فيها ترابط عصبي، يبحث عقل الإنسان عن السبب الذي جعله يشعر بالألم أو المتعة، ويُسّجله في جهازه العصبي، بحيث يتمكّن من اتخاذ قرارات أفضل حول ما سيفعله في المستقبل. فمثلاً: الفرد الذي قام بفعل السرقة وعوقب على فعله، يحدث له ترابط عصبي قد يمنعه من تكرار حدوث هذا الفعل.

3- أما الفعل أو السلوك الذي يسلكه الإنسان لأول مرة، ولم يقم بتكراره، يُولّد عنده رابطة عصبية سرعان ما تضمر وتفشل في إرسال إشارات عصبية تُحفِّز على تكرار السلوك والفعل، وهنا يكون التغيير في السلوكيات والأفعال المنحرفة بصورة أكثر فاعلية.

لذا يأتي دور الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي، الذي يسعى إلى إحداث تغييرات في سلوكيات الفرد أو الجماعة المنحرفة انحرافا سالباً، حيث عليه أن يدرك أن أي تغيير في السلوكيات المنحرفة التي تسلك لفترة طويلة من الزمن، تحتاج إلى طريقة فعّالة لإحداث التغيير؛ ذلك لأنها كوّنت روابط عصبية قوية في العقل البشري، مما يجعل الضرورة تُلح لاستحداث أساليب التغيير. ولهذا لا يغفل المنهج عن الآتي:

1- تغيير الأساليب.

2- تبديل الأساليب.

3- تعديل الأساليب.

4- تنوّع الأساليب.

5 . تطوير الأساليب.

عليه:

- قوِّي إرادتك.

. صحي نفسك من غفلتها.

. نمي قدراتك.

. هيئ استعداداتك.

. استثمر إمكاناتك.

. استرجع ماضيك وأخضعه للتقييم.

. استقراء حاضرك وقارنه مع أهدافك.

. تطلّع لمستقبل أفضل.

. تحدى الحاضر وأقبل بتحدي الصعاب.

. أقدم على العمل ولا تتوقف عند التخطيط فقط.

. لا تيأس فأنت قوة.

الحواس قوة:

الإنسان مقوَّم بحواسه، فبها يُميّز ويدرك ويشعر ويسمع ويشم ويلمس وينظر ويشاهد ويُلاحظ ويحب ويكره ويفرح ويحزن .

ولذا فإن القاعدة هي:

قوة الحواس.

والاستثناء هو:

ضعف الحواس.

ولأن الحواس قوة؛ فهي تكمن في الآتي:

1- قوة البصر.

2 . قوة البصيرة.

3 – قوة الاستماع.

4 . قوة الإنصات.

5 . قوة الإحساس.

6 – قوة الذوق.

7 – قوة اللمس.

8 – قوة الشم.

9 – قوة الحاسة التامّة.

وبما أن الإنسان قوة ليس له علاقة بالضعف إلا إذا قورن بخالقه. إذن الذين يركنون إلى الضعف هم الذين اختاروا الجلوس في قاعات الاستثناء. التي لا يليق الجلوس فيها لمن خُلق قويا. ولأن الأفراد والجماعات قوة مندمجة بوحدتهم، فهم بها قادرون على إحداث النقلة كلما تمكنوا من اكتشاف القوة فيهم.

البصر قوة:

البصر نعمة من نم الله علينا، فهو القوة، التي تمدنا بقوة النظر والمشاهدة، حتى تُمكننا من الانتقال والامتداد الحر، وتمكن البحاث والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين من متابعة ردود الأفعال واستقرائها بوعي وتقصي دقيقين، حتى الوقوف على العلل والمسببات الكامنة والظاهرة التي تؤثر على المتغيرات ذات العلاقة بالموضوع قديد الدراسة أو البحث.

ولذا كلما نظر الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي للفرد أو للجماعة، وأعينهم تنظر إلى أسفل وهم في حالة خشية يعرف جيدا أن ما في أعينهم من خشية هي القوة التي تُمكّن الأفراد من مشاهدة الباحث أو الأخصائي ولو خلسة. مما يستوجب الفطنة من الباحث أو الأخصائي لتكون المشاهدة واعية بكل مهم ونافع لدراسة الحالة سواء أكانت حالة فردية أ حالة جماعية أم مجتمعية.

وهكذا عندما ينظر الباحث إلى الفرد والجماعة والعملاء وهم في حالة من الارتخاء، عليه أن يعرف أنهم في حالة تجميع قوة خارقة، تمكّنهم من إخفاء الحقيقة عنه. لذا ينبغي عليه أن لا تغفل عن أهمية المشاهدة وقوتها، وأن يعرف بأنه أمام قوة، وحتى وإن اعتبر نفسه قوة فعليه أن يعرف بأنه أمام قوة تمتلك المشاهد مثلما هو يمتلكها فلا يستهان بمن هو أمامه من المبحوثين. ولا يغفل عن عنصر المفاجأة الذي قد يضعه في دائرة غير المتوقع. فعلى سبيل المثال: من يدَّعي المرض لكي يتحصَّل على ضمان اجتماعي من الدولة، يتظاهر بعدم المقدرة على العمل والإنتاج، إلاَّ ما يمكِّنه من التحرك في خطى غير ثابتة. وبمشاهدة الباحث أو الأخصائي الاجتماعي له في المؤسسة خلال فترة المقابلة، فقد لا يشاهد منه إلا سلوك الكسالى الذي يتظاهر به بغرض استدرار عاطفته أو عاطفة العاملين في المؤسسة. وبمشاهدته

عن بعد في الزمان والمكان اللذين لا يتوقع أنه يخضع فيهما للمشاهدة قد تجده من الذين يركضون ويحملون الأثقال. ولذا فما كان يظهره من سلوك مصطنع هو فقط لأجل حصوله على معاش ضماني (المعاش الذي يدفع لغير القادرين).

ولهذا فإن القاعدة هي:

قوة البصر.

والاستثناء هو:

ضعف البصر.

وعلى الباحث أن يعرف إن من يستطيع أن يُظهر الضعف والوهن أمامه من العملاء فهو قوة، فلو لم يكن قوة ما تمكّن من إظهار ضعفه أمام الأنظار، لأجل أن يحقق غاية في نفسه، ولذا على الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أن يكون يقضا وفطنا وواعيا بمن هو أمامه من قوة وإلا سيقع في دائرة الممكن غير المتوقع.

وعليه فإن الضعف والوهن ليس دائما في المكوّن الكمي للزبائن أو العملاء أو الجماعة أو المجتمع، بل الضعف في معظم الأوقات يتمركز على العقول التي تفكر، والعيون ألتي تنظر، فمن المهم أن يعرف الباحث كيف يفكر الأفراد؟ وكيف تفكر الجماعة؟ وفيما يفكرون؟. وكيف يستطيعون تحديد أهدافهم؟. وكيف يخططون لإنجازها؟ وكيف يُهيئون أنفسهم لذلك؟ وكيف يستثمرون إمكاناتهم؟.

فالمتخلفون اجتماعيا أو ثقافياً أو اقتصادياً أو نفسياً أو سياسياً، يكمن الضعف في الأهداف التي حددوها، والطموحات التي رسموها لمستقبلهم. ولهذا فعلى الباحث العمل على إحداث تغييراً في الطموحات الضعيفة، إلى طموحات قوية، تستمد قوتها من قوة المشاركين في إنجازها. فاقتناع الفرد أو الجماعة أو المجتمع بأنهم قوة تُمكنهم من إعادة صياغة قوتهم فيما يجب.

البصيرة قوة:

البصيرة هي مرتكز قوة الذاكرة التي يستمد البصر منها قوته، ولذا فهي التمييزية التي بها يتمكن الإنسان من التمييز بين ما يجب ويقدم على أدائه، وبين ما لا يجب وينسحب عن أدائه.

والقاعدة هي:

قوة البصيرة.

والاستثناء هو:

ضعف البصيرة.

ولذا فإن البصيرة مُدرك عقلي وليس مُدرك بصري، فيها موازين العقل ومميزاته ومدركاته. بها يتمكّن الباحث من التحليل والتشخيص والتعليل، حتى اكتشاف نقاط الوهن، ومن ثمّ يعمل على تقويتها.

إن الغوص في هذا المُدرك العقلي يُمكِّن من امتلاك الفطنة واليقظة التي بدورها تُحفّز على ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات بدون تردد أو تأخير.

وبالبصيرة الواعية يتمكّن الباحث من التقييم والتقويم الموضوعيين للرؤى والأهداف، ولما يجب ولِما لا يجب. وعليه:

. فكّر بعمق حتى لا تضمر بصيرتك.

. قارن بين الدقيق والأدق منه حتى تقوى بصيرتك.

. فكّر في دائرة الممكن غير المتوقع مثلما تفكر في دائرة الممكن المتوقع.

ـ تمرَّن حتى تمتلك القوة التي تُلفتك لنفسك وتُمكنك من ملاحظة الآخرين وما يدور من حولك.

ـ شخّص كل حالة وتطّلع عليها لتكتشف خفاياها، وتختبر مقدرتك التي بها تتغذى البصيرة.

. استرع محفظتك من الذاكرة وأخضعها للتقييم ثم قوّم حالتك حتى تستبصر ما كنت عليه، وما يجب أن تُغيره بقوة الإرادة.

ـ استوضح نفسك مثلما تستوضح شخصيات الأفراد الذين تتولى حالاتهم بالدراسة حتى تتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة، وإحلال محلها قوة البصيرة، وتُسهم معهم في كشف الخفايا التي تُعثر أقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم حتى تنير الدروب المظلمة أمام بصائرهم، ويسترشدوا إلى سبل الحياة الاجتماعية والإنسانية وفقاً لقاعدة ما يجب، لأجل إحداث النقلة إلى ما هو مُفضّل.

. أكشف قوة البصيرة للأفراد حتى يتمكنوا من استقراء واستنباط الألم النفسي الذي يقع على الضحايا وذويهم (ضحايا الانحرافات السالبة) حتى يستيقظوا من الغفلة التي هم فيها.

. لا تترك البصيرة ملكة عقلية للتخزين فقط، بل أجعلها في حالة حركة ويقظة مع ما يجري ويدور من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وذوقية وثقافية في المحيط الاجتماعي والإنساني.

. اصح وصحي غيرك من الغفلة حتى يتم التعرف على النفس وما يجري من حولها، وأجعل غيرك يستبصر أمره بكل موضوعية حتى يتذكر الماضي الذي أسهم في غفلته عمّا يجب، وأعمل على إعادته بكل ود إلى البيئة والمحيط الاجتماعي.

. فتش نفسك ببصيرة مثلما تفتش شخصية غيرك من الناس، وأكشف أسرارك بتجرد أمام نفسك واسترها أمام الآخرين، وهكذا كُن مع المبحوثين حتى يستبصروا ما بهم دون خجل.

. تنزه في نفسك حتى تستبصر من أنت، وتستبصر ما لك وما عليك، وأعمل على الإصحاح.

. تحدى عقلك بالتفكير فيه حتى تستبصر بصيرتك.

. اعرف أن قوة البصيرة بقوة التفكير فيها، فلا تغفل عنها، وإن قبلت بالإغفال عنها ستجدها السبّاقة على ذلك وتكون أنت من الخاسرين. ولذا فإن البصيرة تضعف عندما تدخلها الغفلة، ولهذا عليك بالانتباه والتيّقظ. فالغفلة تجعلك لا تعي بما فيك، وما لك من قوة (قدرات واستعدادات وإمكانات). ولا تجعلك تعي بمن حولك من الناس، أفرادا وجماعات ومجتمعات أو حكومات. ولا تعي بما تحاط به من ظروف ومواقف وإمكانات وما يحيطك من أفكار ومعلومات.

الاستماع قوة:

قوة الاستماع تكمن في دقة التتبع وتوجيه الأذنين عن وعي لكل كبيرة وصغيرة تُقال، ولذا فهي ترتبط بقوة الإدراك حيث الاستماع القوي يؤدي إلى المزيد من الإلمام بالموضوع.

وعليه:

ـ عليك بالاستماع إذا أردت أن تعرف ما يجري، أو أردت أن تعرف الحقيقة، فما يرويه المبحوث أو العميل قيد الدراسة لا تستهين به فهو مهم سواء أكان صائبا أم على درجة من درجات الخطأ أو الكذب. فإذا كان صادقا: فالأخذ به يفيد كثيرا. وإذا كان كاذبا، فأخذ الحيطة والحذر منه هو الآخر يُفيد كثيرا، ولذا فمثل هذا الأمر يُفطِّن إلى أهمية الإصلاح بعد معرفة المستوى القيمي الذي عليه شخصية العميل أو المبحوث.

. استمع مباشرة لذوي العلاقات المباشرة بالحالة أو الموضوع المدروس، واستمع أيضا لذوي العلاقات بهم، وعليك أيضا أن لا تغفل عن الاستماع لِما يُروى من المحيط الاجتماعي حتى تعرف عن بينة، وإن لم تفعل ذلك فقد يُغرَّر بك.

ـ تفهّم ظروف الفرد والجماعة والمجتمع، حتى لا تصدر أحكام غير موضوعية، وقدّر كل خصوصية ظرفية وفقا للحالة والزمان والمكان.

. هيئ الأفراد للاستماع إليك، ولكن ليس كمستقبلين للمعلومات التي تصدر فقط، بل كمشاركين في عمليات الدراسة. وعليك أن تعرف مثلما ترغب في استماع العملاء إليك هم أيضا يرغبون في استماعك إليهم بكل عناية وانتباه.

. رتب أفكارك وفقا لأولويات ما تستمع إليه، ولا ترتبها وفقا لأولويات الموضوع الذي أعددته مسبقا، ففي بعض الأحيان لا يقبل الأفراد أو العملاء الروتين ما يجعل بعضهم يسرحون وهم على حالة من الملل.

ـ الاستماع والانتباه عن وعي قوة تُحسس العملاء بقوة التتبع التي يلاحقهم بها الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي، وفي مقابل ذلك إذا أحس الأفراد أو العملاء بغفلة أو سرحان من قبل الباحث أو الأخصائي يصبحوا غير مبالين بما يقال، وقد يستهتروا بما يجري أثناء إجراء عملية المقابلة.

ـ الاستماع الجيد يهيئ الأفراد للاستجابة، فاستمع جيد حتى يتهيئون، وإلا لن تبلغ المقاصد المهنية أن كنت أخصائي اجتماعي أو أخصائي نفسي، لذا فسلامة الحواس ضرورة بالنسبة للبحاث.

ولذلك فالقاعدة هي:

قوة الاستماع.

والاستثناء هو:

ضعف الاستماع.

الإنصات قوة:

الإنصات سكوت من أجل الاستماع، وسكون عن الحركة التي قد تؤثر على استقبال ما يُستمع إليه، ولذلك فالإنصات بقوة هو إنصات بوعي وتتبع دقيقين. والسكوت هو متابعة بالعقل لأجل أن يتم استقبال الكلام.

ولذا فإن القاعدة هي:

الإنصات قوة.

والاستثناء هو:

الإنصات ضعف.

وعليه:

ـ أنصت بقوة حتى لا تخسر شيء من الحديث الذي تنصت إليه، وتابع منطلقات الكلام وأساليب إخراجه ودرجة شدَّته ومدى علاقته بالمتكلم من حيث التفاعل مع ما يقال من عدمه.

ـ أسكت فالسكوت تجميع للقوة الشاردة من حالة التمرد والانطلاق بدون حدود إلى السيطرة التامة حتى الإلمام بما يتضمنه الموضوع وما يحتويه من متغيرات.

ـ أنصت حتى يتمكن العقل من استقبال المعلومات ويتمكن من تبويبها وتصنيفها وترتيبها حسب أولويات الموضوع أو الحالة قيد الدراسة.

. تجاوب مع ما تنصت إليه بالسكوت والاستماع، واعرف أن السكوت ليس بضعف، فالضعف هو ما يخالف ذلك في الاتجاه (فالذي لا يستطيع أن يسيطر على حواسه هو الذي يكون على حالة من الضعف).

ـ أنصت حتى تتبيَّن، ولا تستعجل على الكلام فالكلام في غير محله ضعف، والإنصات في محله قوة.

ـ تزامن في إنصاتك مع بداية الحديث ولا تتأخر عن ذلك حتى لا تفوتك بدايات الكلام وحينها قد لا تتمكن من معرفة القواعد التي يُبنى عليها ما تستمع إليه من حديث.

ـ أنصت فالإنصات قوة تحقق التوافق بين المُرسل للكلام والمستقبل له. كما تحقق التوافق بين الكامن من الحديث والظاهر منه.

ـ أنصت من اجل معرفة الحقيقة ومكامنها وخفاياها، حتى تتمكن من التحليل الموضوعي والتشخيص بكل مهارة وفن.

الأحاسيس قوة:

الأحاسيس قوة إيقاظ المشاعر بما يدور في المحيط النفسي والمحيط الاجتماعي والمحيط البيئي، من خلال كل ما يُلاحظ أو يُشاهد أو يُسمع أو يُلمس أو يُشم أو يُذاق. إنها القوة المعرفية التي تمد الإنسان بالطاقة التي تجعله في حالة استيعاب أو في حالة إقصاء وتحديد مواقف قد تُتخذ في محلها وقد لا تتخذ في محلها.

وعليه:

ـ الإحساس قوة، تحقق الفطنة وترتبط بالمدركات الواعية التي تجعل الأفراد والجماعات يميّزون ويتمكنون من الاختيار الحر.

التمييز الحسي قوة، تكمن في درجة التبيُّن، التي تُمكّن من اكتشاف نقاط التداخل والخصوصية والاستقلالية بين المتغيرات الدخيلة والمتداخلة.

. التمييز الحسي قوة مقارنة بها تُصنَّف المعلومات وفقاً للدرجة والنوع والجنس، وبما يميز كل خصوصية عن غيرها، وبما يؤدي إلى كشف نقاط التمركز المشتركة مع بعض الخصوصيات الأخرى وكذلك نقاط التشتت عنها.

ـ التمييز الحسي قوة استيضاح للكلمة التي تحمل دلالة ومعنى ومدى علاقتها بالموضوع حتى يتم فرز المتشابهات عن غيرها من المخالفات.

ـ بقوة الإحساس يستدل البحاثة أو الأخصائي الاجتماعي على ما يَقبله العملاء (أفرادا أو جماعاتا) وما يَرفضونه، قبل أن يبدأ في عمليات التشخيص.

ـ بقوة الحس يتم التعرف على ما هو سلبي والعمل على تفاديه، وما هو إيجابي والعمل عليه أو العمل به.

. الحس قوة استدلالية تربط المشاهد المحسوس بالملاحظ المجرد الذي يُمكِّن من ربط علاقات بين الأشياء كما يُمكِّن من فصلها بمستدلات إثباتيه.

. الحس قوة برهنة، يستند على معطيات ويصل إلى نتائج تُدرك بقوة المنطق والحُجّة.

. الحس قوة لغة وتفاهم بها تُكتب الكلمات بالملامسة، وبها تُقرأ حتى من قبل فاقدي البصر.

. ترتبط الأحاسيس بالوجدان الكامن الذي يتألم بما يترك أثرا سالبا على النفس، وبما يترك أثرا موجبا عليها، ولكل منهما استجابة تختلف باختلاف الأثر ونوعد ودرجة حدَّته أو درجة مرونته.

ـ الأحاسيس قوة تأهب تستقبل المعلومة وتقدمها للترجمة الفورية التي تمكنها من التمييز لتستجيب سلبيا أو تستجيب إيجابيا، وفي كلا الحالتين فالعقل هو الذي يتخذ القرار المناسب لكل فعل وفقا لقاعدة (لكل فعل رد فعل).

ـ قوة الأحاسيس قوة دافعة لتكوين علاقات مع الآخرين، ولذا كلما سلمت الحواس التي بها يتم الإدراك تكوّنت علاقات موجبة بين الأنا والآخر، فالحب المتبادل بين الأطراف قوة ترابطية تجعل لغة مشتركة ومنطق مشترك بين المثنى والجمع وكأنهما طرفا واحدا مما يجعل لغة (النحن هي اللغة السائدة بينهما) وجعل كل منهما يحس بالآخر وكأنه في وسط صدره. وجعلهما على حالة من التأهب لاستقبال بعضهما في المكان والزمان المناسبين للمقام الذي جعلهما في حالة وحدة، وجعل الشوق بينهما شعورا ظاهرا. ولهذا عندما تُحب أحدا تجد مكانه في القلب، وعندما تكرهه أيضا ستجده مكروها في القلب.

ولذا فإن القلب في مثل هذه الحالات لا يعد مجرد مضخة للدم، بل أنه المركز الذي فيه يعيش الحب بين المحبين وهو الذي منه يحدث الفراق، لتبقى فيه الأحزان من بعده، ومع ذلك فالزمن كفيل بإذابتها بالقوة كما تذيب الحرارة أكوام الثلج. ولذلك في القلب المكامن التي تُستثار بما يُفرح وتُستثار بما يُحزن، ولهذا فلكل منهما أثره السالب وأثره الموجب على الفعل والسلوك.

ولذا فإن القاعدة هي:

1 . اتزان الأحاسيس.

2 . قوة الأحاسيس.

والاستثناء هو:

1 . عدم اتزان الأحاسيس.

2 . ضعف الأحاسيس.

اللمس قوة:

الحس أللمسي قوة بها نتمكن من التميز بين ما يليق بنا من نعومة وبين ما لا يليق بنا من خشونة، وبين ما يُدخل السرور في أنفسنا وبين من يَحفُها بالحُزن والأسى مع مراعاة أن لكل مناسبة المظهر الذي يليق بها. ولذا فاللمس قوة إدراكية بها نتعرَّف، وبها نحتكم، وعليها نصدر الأحكام. ولذلك يكمن الحس في قوة التأهب لممارسة أو أداء ما يجب، والابتعاد عمّا لا يجب، وفيه أيضا تكمن الفطنة من الغفلة حتى يتم الاختيار عن إرادة.

ولذا فإن القاعدة هي:

اللمس قوة.

والاستثناء هو:

اللمس ضعف.

وعليه:

. اللمس فعل حركي مقصود، لأجل التمييز بين ما هو ناعم أو خشن، وبين ما هو أكثر نعومة أو أكثر خشونة.

ـ يترتب على الفعل أللمسي القبول والارتياح نفسياً وذوقياً للشيء الملموس، أو الرفض، عندما يكون الملموس غير مقبول، أو أن يكون مخيفاً أو ضاراً.

ـ يتأثر الفعل أللمسي بالملموس استجابة أو رفضا، تعلقا واستجماما بمحققات الرضاء الرفيع، أو سكونا وانسحابا من بعده ورفض بكل قوة.

. حاسة اللمس تُنمي حرارة الالتصاق بعاطفة الأمومة والأبوة، فاحتضان الجنين على صدر أمه، يحقق له الدفء والاستئناس، ولهذا فالملامسة تحسس المتلامسين بالطمأنينة والقبول أو تحسسهم بالرفض.

ـ الملامسة قوة لارتباط المشاعر والأحاسيس تدفع بني الإنسان بقوتها الفاعلة إلى الكلام بالألسن والعيون وعندما تعجز الألسن عن الكلام يصبح الصمت أكبر دليل على المحبة وعلى التفاهم بدون تردد.

وعليه: فاللمس قيمة.

وبما أنه قيمة، إذاً الحفاظ عليه وجوبي.

ولهذا فالمنهج العلمي يُمكِّن البحاث من ملامسة نقاط القوة ونقاط الضعف، ونقاط التقبل والرفض، التي تثيرهم وتحفزهم في دراستهم لأي حالة من الحالات.

الذوق قوة:

الذوق ملكة عقلية وقوة يتمكن من خلالها المتذوق من المعرفة الوافية، التي تُمكِّنه من كشف العلاقات التي تتجسد في المُذاق، وكشف العلائق التي تربطه بالمجرد، فهي لا تقتصر عند حد المشاهدة، بل تمتد لتشمل ما هو ملاحظ، ولذا ترتبط هذه الملكة الذوقية بقوة الإحساس مع ملكتي التفكُّر والتذكُّر.

في الملكة الذوقية تنعدم الغفلة وتسود الفطنة، حتى تتمكن كل خلية من التناغم مع جميع الخلايا المتماثلة معها في المكون البشري، مما يجعل الذوق محقق الرفعة بين الأنا والآخر بالتماثل.

تتوحد الأحاسيس والمشاعر مع الخيال الذي يسعى إلى طي الهوة مع الأمل حتى تتم ملامسة القيم التي تُعزز الإرادة، وتحقق التفاعل الوجداني، بين الرغبات والطموحات التي تُمكِّن الفرد من اكتشاف الحُسن الممتد في المسافة بين المشاهد والمجرد.

الذوق مكوّن قيمي، له من المعايير والمقاييس ما يمد الإنسان بوضوح الرؤية ونضج القرار المترتب على ذلك، ولهذا الجمال قيمة ذوقية لا يكمن في ذاته، بل يكمن في الجميل مشاهدا أو مُجردا، حركة أو سكونا، إظهارا أم إدغاما، تجويدا أم لحنا، لونا أم نغمة، وعليه لا يمكن أن يوصف الجمال بذاته، بل يوصف بالجميل الذي توحّد أو اشتمل فيه.

وعليه:

ـ تذوق وفطِّن الآخرين إلى ذلك، فالذوق حاسة عقلية وملكة تنمو كلما تُنشَّط وتُستثار، وتضعف وتنتهي عندما تُهمل.

. لا تستغرب فالذوق قوة ذهنية تستفز كل من يفكر ذوقياً حتى تجعله متوجا على قمم التأمل وتُمكنه من التقييم الموضوعي بعد تعمق وانتباه عميقين.

ـ ميّز بذوقٍ رفيع فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يميز بين ما فيه رفعة وبين ما لا رفعة فيه.

ـ عليك بمراعاة الذوق العام واحترامه إذا أردت أن تنال الاحترام والتقدير من الآخرين.

ـ اعتبر الخصوصيات الاجتماعية التي يرتسم الجمال فيها كما هو يرتسم بها، ولا تغفل عمّا يُدخل البهجة والفرحة في النفوس، ولا تُعمم معاييرك الاجتماعية ومقاييسك الفنية وتفرضها على معايير ومقاييس الآخرين.

ـ اعتمد الذوق قيمة لتبعث في نفوس الأفراد القوة التي تمدهم بالرفعة ولا تنظر للمبحوث بنظرة دونية خالية من كل ذوق.

. إبداء مع المبحوثين من حيث هم بلطف ولباقة ذوقية إذا أردت أن تغيِّر أحوالهم أو حالاتهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

. كُن فطنا فالذوق قوة قيمية يتمركز على كل الأشياء الجميلة التي نتفاعل معها.

. أعرف جيدا أن الإحساس بأثر القيم التي تُشكِّلها ملكة الذوق، تختلف من شخص لآخر مما يترتَّب عليه تفاوت في درجات التذوق لها، فالشخصية الواقعية مثلاً: هي التي تعتمد على العقل في تقدير وتقييم الأشياء فتقْدِم على أداء الأفعال بعد أن تتبيّن وتعرف ما يجب وما لا يجب، فتكون العلاقة بينها وبين الآخرين علاقة أخذ وعطاء. أما الشخصية الأنانية، هي التي تعتمد على المصلحة الخاصة، تقيّم الأمور برؤاها دون مراعاة للمحيطين بها، مما يجعل علاقتها معهم علاقة مصلحة.

ولهذا فلقاعدة هي:

قوة الذوق.

والاستثناء هو:

ضعف الذوق.

الشم قوة:

الشم قوة قيميّة، تأسست على سلامتها وأهميتها أضخم شركات الورود والزهور المتنوعة والمتعددة وأسست أكبر المصانع للعطور الفوَّاحة من أجل إدخال البهجة

في نفوس البشر، وانتعاشهم بما يُمدهم بالارتياح ويوقظ فيهم روح التطلّع للآخر حتى ملامسة الجمال فيه ومن حوله.

قوة الشم تبعث الروح في الأنفس والأبدان لتمدها بالحياة وتنقلها كالنحلة تطير من زهرة لزهرة لتستنشق من عطرها الفوَّاح مثلما تمتص الرحيق منها. وتتسع صدورنا وتتمدد حتى ننتعش بقوة التنفس التي تزّود الجسم بالأكسجين، وتتحكم في تدفّق السائل الليمفاوي، الذي يحتوي على كريات الدم البيضاء التي تحمي الجسم من المواد السامة.

ولهذا فالشم قوة، من يفتقدها يفتقد لمقومات القوة، ولذا فالمنهج يُبيِّن للبحاث الاجتماعيين والنفسيين كيفية التعامل مع الحالات التي تشعر بالضيق النفسي والاضطراب النفسي، الناتجان عن العطب في حاسة الشم، أو نتيجة للتوترات النفسية التي تضيق بالخواطر. فالشم لو لم يكن قوة ما كان له أثرا موجبا على تغذية الدم بالأكسجين وعلى نقلنا من حالات الضيق النفسي وانكماش رئتينا إلى حالة المتعة المترتبة على التعطر الذي يحركنا من رأسنا حتى قدمينا.

وعليه:

. تطيّب.

. تطهّر.

. كُن نظيفا.

. حافظ على حُسن المظهر.

. جدد الهواء في حُجرات ومكاتب المقابلات المهنية.

. هيئ مكان المقابلة المهنية من حيث الإضاءة.

. هيئه من حيث التبريد أو التدفئة.

. هيئه من حيث الهدوء وانعدام الضوضاء.

ولذا فالقاعدة هي:

قوة الشم.

والاستثناء هو:

ضعف الشم.

الحاسة التامّة:

الحاسة التامة هي التي تتداخل فيها جميع الحواس، البصر والبصيرة والاستماع والإنصات والذوق والتذوق والحس والإحساس والشم واللمس.

ولذا فهي العملية التفاعلية للحواس، حول ما يُشاهد أو يُلاحظ أو يُدرَك أو يُستمَع له أو يُذاق أو يُشم أو يتم التفكير فيه. إنها الحاسة (القمَّة) التي فيها تعمل جميع الحواس في وقت واحد وبكل قوة، حتى تتجسد الحركة في الفعل والسلوك الذي يجعل المتحركين على القوة الإدراكية.

وعندما يتم التداخل بين الحواس، يكون الشيء الذي نفكر فيه ذو قيمة. ولهذا لا تحدث النقلة بحاسة واحدة، بل تحدث بسلامة الحواس واكتمالها في وحدة واحدة تامة.

وعليه:

. المس مع عقلٍ.

. اسمع مع بصرٍ.

. شُم مع ذوقٍ.

. تذكّر مع تفكرٍ.

. شاهدة مع ملاحظة حتى تكون في نُزهة ورفعة عالية وتنال الاعتراف والتقدير من الآخرين.

ولذا فإن القاعدة هي:

الحاسة التامة.

والاستثناء هو:

الحاسة القاصرة.

ومع أن القاعدة هي: الحاسة التامة، والاستثناء هو: الحاسة القاصرة. إلا أنّ بعض الحالات قد أظهرت نجاحات هائلة باستخدامها الحاسة الرئيسة فقط، وهذه تذكرنا بالرجل الألماني الذي أصيب في حادث بشلل رباعي تعطّلت عنده معظم حواسه، وبإصراره تمكَّن من أن يكون من أكبر مستحدثي برامج الكمبيوتر، فهو يعقد

الصفقات مع الشركات والمؤسسات، وهو ملقى فوق سريره لا يستطيع الحركة ولا يستطيع التحدث، فقط يبرمج جهاز الحاسوب بعقله، ووفقاً لمتطلبات عملائه.

النفس قوة:

النفس قوة باطمئنانها، وبتأديتها للعمل الصالح، وإقدامها على قول الحق وسلوكها لأفعال الخير، وكذلك عندما تَحسُن التصرف والمعاملة وتهتدي إلى الطريق المستقيم. وفي مقابل ذلك تأتي النفس الضعيفة الأمارة بالسوء وإلحاق الضرر بالآخرين، وعندما تُظهر مالا تخفي، وعندما تَشُح في وقت ينبغي أن يكون فيه العطاء، وكذلك عندما تركُن إلى إصدار الأحكام الظنية بغير حق.

ولهذا فالفرد قوة بنفسه، والجماعة قوة بمجموع الأنفس التي تكّونها، والمجتمع أكثر قوة، ولذلك يسعى البحاث على معرفة ماهية هذه القوة وكيفية عملها، من أجل استعادتها إلى القاعدة (الإنسان قوة).

تكمن قوة الأنفس في قدرات قابلة للنمو، واستعدادات مهيأة للعمل الفعّال، ومشاعرٍ يخشاها الخوف.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . قوة النفس.

2 . قدرات قابلة للنمو.

3 . استعدادات مهيأة للعمل الفعّال.

4 . مشاعر يخشاها الخوف.

والاستثناء هو:

1 . ضعف النفس.

2 . قدرات غير قابلة للنمو.

3 . استعدادات غير مهيأة للعمل الفعّال.

4 . مشاعر يُداهمها الخوف.

ولهذا يجد الباحث أمامه قوة إما موجبة يستفيد من طاقاتها وإمكاناتها، فيسخرها في خلق النُقلة للأفضل، وإما قوة سالبة، يعمل على تصحيح معلوماتها الخاطئة

بمعلومات صائبة، وكذلك يعمل على تعديل سلوكها وتقويمه إلى ما يجب. ومع ذلك قد لا يُوفَّق الباحث ما لم يعرف مصادر القوة عند الأفراد الذين يتولى حالاتهم بالدراسة.

وعليه تستمد النفس قوتها من قوة العقل وقوة الحواس وسلامتها؛ فالأفراد والجماعات الذين يُفكرون بوعي سليماً يستطيعون تحديد أهداف واضحة ويرسمون خططهم بموضوعية ويحشدون الإمكانات المتاحة ويسعون إلى البحث عن المزيد المفيد.

العاطفة قوة:

الحنان والمحبة هما القوتان التوأم مولودا قوة العاطفة، ولهذا لا مِحنة ولا حب لو لم تكن العاطفة سابقة عليهما. فالعاطفة قوة تقع في دائرة الممكن السالب والممكن الموجب (المتوقع وغير المتوقع)، وهي التي تمد المولود بدفء الأمومة ودفء الأبوة، وتمده بحرارة الالتصاق.

ولذا فإن القاعدة هي:

1 . قوة العاطفة.

2 . قوة الحنان.

3 . قوة المحبة.

والاستثناء هو:

1 . ضعف العاطفة.

2 . ضعف الحنان.

3 . ضعف المحبة.

ولهذا ينبغي أن يعمل الباحث على تقوية عاطفة المبحوثين بما يُفيد الفرد والجماعة والمجتمع. ولهذا من باب الوجوب والضرورة يسعى الباحث الاجتماعي إلى تقوية العاطفة الواعية بأهمية الأبوة والأمومة والأخوة والعمومة وحق الجيرة في الاحترام والمساعدة الهادفة.

ولأن العاطفة قوة فلا ينبغي الإغفال عنها أثناء تناول الحالات أو المواضيع بالبحث والدراسة.

والعاطفة إذا لم تستثمر في أوجهها تدخل في دائرة غير المتوقع السالب، مما يجعل الضعف يدخل إلى نفوس الأفراد بدلا من دخول القوة إليهم. ففي المواقف السالبة عاطفيا لا يتمكن الأفراد من اتخاذ قرارات واعية، ولا يتمكنوا من رسم سياسات موضوعية، ولا يتمكنوا من تصميم استراتيجيات لصناعة المستقبل النافع والمفيد. فبعض الأطباء الجراحين المهرة لا يوفِّقون في القيام بعمليات جراحية لزوجاتهم أو أبائهم أو أبنائهم، بسبب سيطرة قوة العاطفة على قوة المهارة والخبرة. مثل هذه الحالة تقرئ من زاويتين:

الزاوية الأولي: هؤلاء الأطباء يقدَّرون على أنهم يمتلكون قوة عاطفة تجاه أبائهم وأزواجهم أو أبنائهم.

والزاوية الثانية: أن الضعف قد المَّ بهم والضعف ليس بقاعدة، ولهذا يتغلب الاستثناء الذي يستوجب التقويم.

وعليه:

. كُن قويا بقوة عاطفتك لا بضعفها.

. كُن محبا بصحوة نفسك لا بغيبوبتها.

. كُن حنونا بمودتك لا بجحودك.

. ثق أنك قوة.

. تحكّم في عاطفتك دون أن تطمسها.

. ميّز بين العاطفة الثابتة والعاطفة المهتزة.

الإرادة قوة:

الإرادة قوة من يمتلكها يمتلك زمام أمره؛ فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحر عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار وبدون تردد، ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي وتنفيذه بكل وعي وتحمّل ما يترتب عليه من أعباء يدل على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية، ومع ذلك لا إرادة إلا بقدرة، وقرار، وتنفيذ، ومسؤولية، وتهيئ نفسي.

ولهذا قوة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحرية.

وعليه فالقاعدة هي:

1 . قوة الإرادة.

2 . اتخاذ القرار.

3 . تنفيذ القرار.

4 . حمْل المسؤولية.

5 . تنمية القدرة.

6 . التهيؤ النفسي.

والاستثناء هو:

1 . ضعف الإرادة.

2 . عدم اتخاذ القرار.

3 . عدم تنفيذ القرار.

4 . التخلي عن حمْل المسؤولية.

5 . عجم تنمية القدرة.

6 . عدم التهيؤ النفسي.

قوة الإرادة تقوّي المناعة:

بما أن الإرادة تقوّي المناعة.

إذن القاعدة هي:

1 . قوة الإرادة.

2 . قوة المناعة.

والاستثناء هو:

1 . ضعف الإرادة.

2 . ضعف المناعة.

وعليه:

وفقا لقاعدة المتوقع خذ بالقاعدة.

ووفقا لقاعدة غير المتوقع لا تهمل الاستثناء.

ولهذا كلما قويِّت إرادة الأفراد قويِّت مناعتهم.

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار، والاستسلام لِما لا يجب. ولهذا على الباحث أن يعمل على تقوية مناعة العملاء حتى لا يستسلموا للمؤثرات السلبية.

ولذا فعلى الباحث أن يستثمر قوة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصية الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرقي في المهارة والمسلك، حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى كل سالب.

ولهذا، يستثمر الباحث قوة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة، وتنمية أنماط التفكير الصائبة، التي تُمكن الأفراد من أحداث النُقلة إلى مستويات الطموح المتطوِّرة عبر الزمن.

القرار قوة:

تكمن قوة القرار في اتخاذه بمسؤولية، وفي درجة الوعي والإلمام به وبالمعطيات التي تستوجب إقراره. ولذالك كل قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجردة إلى أن يتم الإقدام على تنفيذه، حينا يصبح القرار نافدا وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . قوة القرار.

2 . الإلمام بالمعطيات.

3 . التنفيذ الإرادي.

والاستثناء هو:

1 . ضعف القرار.

2 . عدم الإلمام بالمعطيات.

3 . التنفيذ غير الإرادي.

وعليه: لا تحدث الأشياء إلا بقرار. ولا تنجز المهام والأعمال إلا به.

ولهذا القرار في دائرة الممكن المتوقع هو الوعي بما يجب.

والقرار في دائرة الممكن غير المتوقع هو عدم الوعي بما يجب، مما يجعل البعض يقدمون على أداء ما لا يجب. وهنا يفسح المجال أمام الباحث لممارسة دوره من

خلال الدراسة المهنية للحالات الفردية والجماعية والمجتمعية التي وقعت فيما لا يجب.

وعليه: لو لم يكن القرار سابقا على وجود الأشياء والمخلوقات ما كانت، ولهذا كان الوجود بقرار، والعدم بقرار. وإصدار الأمر بقرار، والنهي بقرار.

وبما أن كل شيء بقرار.

إذن لا شيء بدونه.

ومع أن كل شيء بقرار ولا شيء بدونه، إلا أن القرار لا يخرج عن كونه متوقع أو غير متوقع. ولهذا كل القرارات هي في دائرة (الممكن).

وبما أننا نعرف أن كل شيء يقع في دائرة الممكن.

إذاً لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كل شيء بقرار)، يساوي (كل شيء ممكن).

ولهذا لا ممكن إلا بقرار.

ولا قرار ألا بممكن.

وبما أنه لا مستحيل في دائرة الممكن.

إذاً علينا بقبول تحدى الصعاب دون خوف ودون تراجع.

ولذا فإن القاعدة هي:

1 . اتخاذ القرار.

2 . تحدي الصعاب.

والاستثناء هو:

1 . عدم اتخاذ القرار.

2 . عدم تحدي الصعاب.

وعليه من لا يتحدى الصعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبلا رفيعا. وكذلك في عصر العولمة من لا يسرع إلى تحدي الصعاب لن يجد له مكان ليضع قدميه عليه، أمام الحركة السريعة للمتنافسين، مما يجعل البعض على الرصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويا وكان تنفيذه قويا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوة القرار بقوة اتخاذه.

ولذا فإن قوة القرار تكمن في الآتي:

. ما يحققه ويترتب على إنجازه.

. قوة الالتزام بتنفيذه.

. استيعابه كل من يتعلق الأمر بهم أفراد أو جماعات أو مجتمعات.

. استيعابه للمتغيرات ذات العلاقة بالموضوع.

. تجاوز محققاته لِما كان متوقعا.

. إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابا لكل من لا يتوقع.

أما قوة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوة القرار ذاته.

. قوة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ.

. قوة التنفيذ.

. قوة الهدف.

. قوة الخطة.

. قوة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السلبيات.

. الاقتناع وعدم التردد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

اتخاذ القرار قوة تُمكِّن المجتمع من إحداث النقلة:

بما أن اتخاذ القرار قوة تُكِّمن المجتمع من إحداث النقلة.

إذن القاعدة هي:

1 . قوة اتخاذ القرار.

2 . تَمكُّن المجتمع من إحداث النقلة.

3 . إحداث النقلة.

والاستثناء هو:

1 . ضعف اتخاذ القرار.

2 . عدم تمَّكن المجتمع من إحداث النقلة.

3 . عدم إحداث النقلة.

ولأجل ذلك ينبغي أن تُحدد الأهداف بكل وضوح، وأن تُرسم السياسات المنفذة لذلك، وأن تُحشد الإمكانات الهائلة وتستثمر على أفضل السبل، وأن يكون التطلُّع إلى المستقبل أمل متطور جنبا إلى جنب مع تطوّر الحاجات، حتى يتحقق الإشباع المرضي مع توفر الاختيارات لكل رغبة وفقا للقيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية.

قوة القرار في وضوحه ووضوح المستهدف منه:

بما أن قوة القرار في وضوحه ووضوح المستهدف منه.

إذاً ضعف القرار في غموضه والتباس المستهدف منه.

ولذا فان القاعدة هي:

1 . وضوح القرار.

2 . وضوح الأهداف.

والاستثناء هو:

1 . غموض القرار.

2 . غموض الأهداف.

وعليه فالمنهج يهدف إلى إحداث، فإذا كان المجتمع على حالة من التخلف العلمي أو الصحي أو المعرفي فإن المهنة تُحِث على رسم الخطط ورصد الإمكانات إلى ما يؤدي إلى التغيير إلى الأفضل والأحسن.

ولهذا يتخذ القرار في ضوء معطيات، والإقدام على تنفيذه قد يستلزم حشد الإمكانات المحلية للمجتمع وطلب المساعدة الهادفة من الآخر إلى أن يتمكّن المجتمع من استثمار طاقاته وإمكاناته.

المجتمع الذي يجتاز الصعاب يزداد قوة:

بما أن المجتمع الذي يجتاز الصعاب يزداد قوة.

إذاً المجتمع الذي لم يتمكن من اجتياز الصعاب يزداد ضعفاً.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . اجتياز الصعب.

2 . ازدياد القوة.

والاستثناء هو:

1 . عدم اجتياز الصعب.

2 . انتقاص القوة.

وعليه:

. اقبل بتحدي الصعاب فأنت قوة.

. لا تخاف فالضعف لا يستطيع الصمود.

. نمي قدراتك.

. اغتنم الفرصة فهي قد لا تتكرر.

. اعمل على النجاح فهو أيسر من الفشل.

. بادر وتقدم بعد كل نهاية.

الفصل الثالث

قاعدة

(الممكن المتوقع وغير المتوقع)

(الممكن المتوقع وغير المتوقع)

المتوقع وغير المتوقع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، تؤسس عليهما تساؤلات أو فروض يمكن إثبات صحتها أو بطلانها، وباستخدام الطرق الإحصائية يمكن التمييز بين ما هو متوقع وما هو غير متوقع ومعرفة أثره الإحصائي.
وباستخدام خماسي عقيل لتحليل القيم تتضح الاستخدامات المتعددة لما هو متوقع ولما هو غير متوقع في دائرة الممكن، بما يمكّن من التمييز الإحصائي الذي يتم به قبول أو رفض الفرضية العدمية، ولتوضيح ذلك سنقدم أنموذجاً تحليلياً إحصائياً في الصفحات اللاحقة، بعد أن نقدم إلى القراء الكرام القواعد العلمية لمكونات دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

مكونات دائرة الممكن:

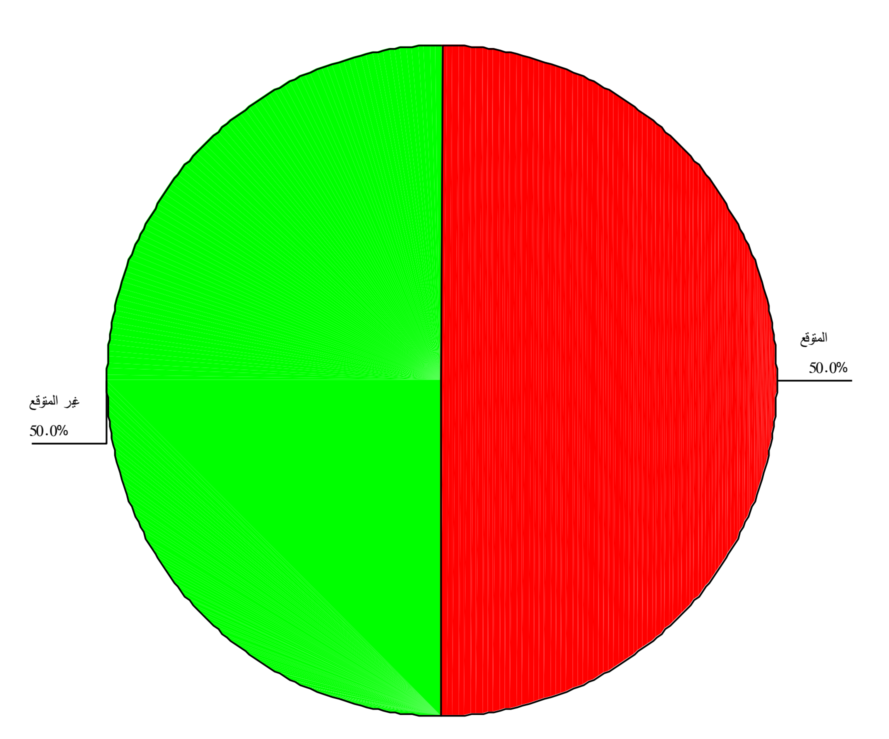
1 - الممكن:

هو الذي (لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلما توفرت معطياته أو شروطه).
ولهذا لا يعد الممكن مستحيلاً، وبما أنه غير مستحيل، إذاً بالضرورة سيقع وفقاً لما نتوقع أو وفقاً لما لا نتوقع.

2- دائرة الممكن:

تتكون دائرة الممكن من (المتوقع وغير المتوقع) التي تتساوى فيها فرص ظهور كل منهما وفقاً للفرض الصفري بنسبة ثابتة قدرها (50%) كما هو مبين بالشكل (1) التالي.

الشكل رقم (1)



3 - المتوقع:

هو الذي (بحدوثه أو ظهوره أو وجوده لا تحدث المفاجئة ولا الاستغراب).

ولهذا المتوقع معطيات حدوثه أو ظهوره متوفرة بين أيدي الباحثين، مما يجعل صحة إثباته (هو كما هو) وعليه إذا ما وقع لا تحدث المفاجئة ولا الاستغراب.

والمتوقع يمكن أن يكون سالبا، ويمكن أن يكون موجبا، كما هو مُوضّحا في الجدول رقم (1) والشكل رقم (2).

جدول رقم (1)

تصنيف الممكن

الممكن	الموجب	السالب
المتوقع	البسطاء	الحُذِرون

غير المتوقع	القادرون	القُصر

الموجب المتوقع: كطاعة الوالدين، والإخلاص في العمل، والتمسك بالقيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية. فمعظم الناس البسطاء (الصادقون) والذين لا يأخذون حذرهم، هم في هذا المربع، ولذلك خططهم، ترسم على موجب متوقع، وكأن الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأن العلائق بين الناس لا تبنى إلا على الصدق فقط. ولذلك هم دائما يفاجئون.

فالموجب المتوقع على سبيل المثال: أن يدخل الطلبة (أي طلبة) الامتحانات ولا يغشون وينجحون بنسبة عالية. لكن هل اجتياز الامتحانات بنجاح غاية في ذاته؟.

الغاية تترتب على ما يترتب على النجاح في دائرة الممكن التي لا تقتصر فقط على ما هو موجب متوقع.

السالب المتوقع: كسرقة المنازل والمصارف والسرقة بشكل عام، والاغتصاب وغيره من السلوك السالب المتوقع.

وعليه قد يتساءل البعض: من هم الذين قد يقعون في هذا المربع؟.

الحذرون هم الذين يقعون في هذا المربع. ومع أنهم يتوقعون في خططهم وجود سالب ويعملون على تفاديه إلا أنهم يقعون في الفخ.

السالب المتوقع بالنسبة للمجتمع: أن الطلبة على سبيل المثال: يدخلون الامتحانات ويغشون وقد ينجحون بنسبة منخفضة جدا. وإذا تخرجوا يصبحون عبئا على المجتمع الذي ينتظرهم في ميادين العمل ورسم السياسات والاستراتيجيات، ما يؤخر المجتمع عن بلوغ غاياته العظام إذا ما اعتمد عليهم في رسم السياسات أو انجاز الأعمال التقنية، وعليه يأخذ المجتمع حذره، ويصبح استيراد الخبرة بالنسبة للمجتمع ضرورة، وإلا التخلف.

4 – غير المتوقع:

هو الذي لا تتوفر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره بين أيدي البحاثة ومع ذلك قد يقع، ما يجعله في حالة تساوي نسبي مع المتوقع في دائرة الممكن، ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجئة أو الاستغراب.

ولذا، يقع (غير المتوقع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، ما يجعله يقع (كما هو) إثباتاً.

وعليه، ينبغي أن يتم التعرف على غير المتوقع وعلى علله ومسبباته لاحقاً ليتم التعرف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المسبق.

فعلى سبيل المثال: كان إعصار كاترينا (Katrina) في 2005/8/24 بالولايات المتحدة الأمريكية متوقعاً، ما جعل الاحتياطات تؤخذ وفقاً لما هو متوقع، ولكن الذي لم يكن في الحسبان درجة شدته ومستوى الدمار الذي خلفه، ولهذا كانت الاحتياطات المأخوذة ليست في مستوى وقوع الإعصار.

فغير المتوقع يمكن أن يكون موجبا ويمكن أن يكون سالبا كما هو مبين في الجدول رقم (1) والشكل رقم (2).

الموجب غير المتوقع:

على سبيل المثال، ميزانية ليبيا وضعت في هذا العام 2005م وفقا لخطة معتمدة على أسعار النفط المقدَّرة 16$ للبرميل المُصدَّر، والذي حدث أن أسعار النفط ارتفعت بشكل سريع في السنة ذاتها إلى ما يزيد عن 60$ للبرميل المُصدَّر، ويجوز أن تستمر في الارتفاع الموجب غير المتوقع بالنسبة للمُصدّرينَ للنفط. وعليه يجب أن يراعى في رسم الخطط والاستراتيجيات الموجب والسالب المتوقع، والموجب والسالب غير المتوقع بنسبة الزيادة والنقصان وفقا لدائرة الممكن.

الموجب غير المتوقع بالنسبة للمثال المطبّق على الطلبة، أنهم يرفضون الركون إلى المذكرات وإلى ما يمليه الأساتذة عليهم من وريقات محدودة إذا ما قورنت بما تحتويه المصادر والمراجع والدوريات العلمية وشبكات المعلومات المتطورة رغبة منهم في المزيد العلمي والمعرفي.

وبناء على هذه النظرة الموجبة قد تكون نتائجهم (نسبة النجاح 100%) وتكون كفاءتهم عالية إذا ما قورنت بنتائج الذين قبلوا بما يمليه عليهم بعض من الأساتذة.

إذاً الذين يقعون في الشكل رقم (2) هم القادرون على صناعة المستقبل، ولذا فإنهم قادرون على إحداث النقلة.

هذا الأمر مع أنه غير متوقع إلا أنه ممكنا، وإلا هل يمكن أن يحدث لو لم يكن ممكنا؟

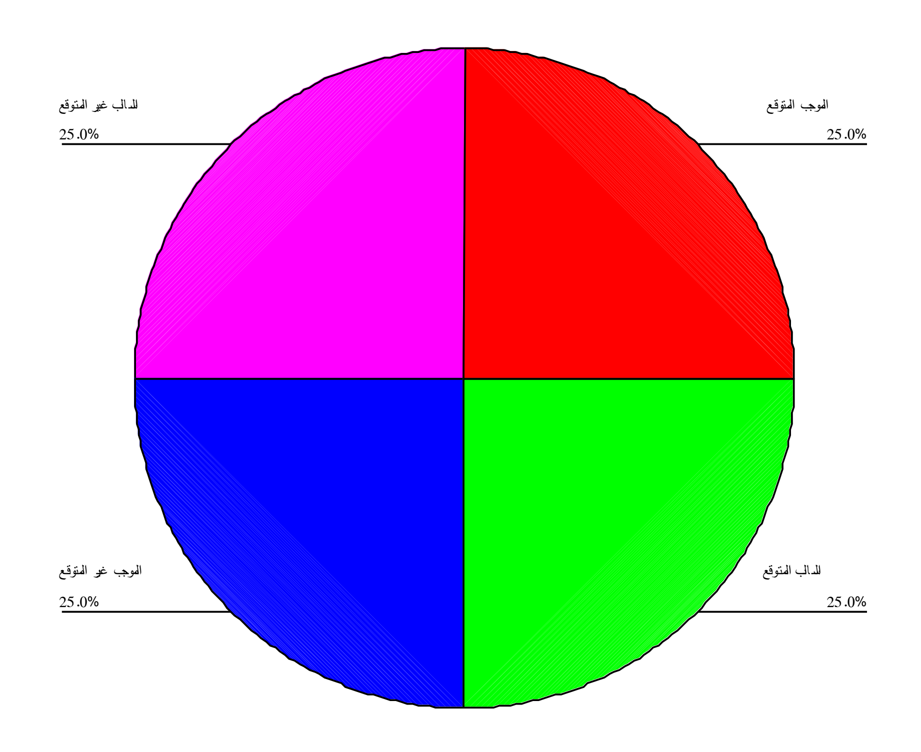
السالب غير المتوقع:

ميزانية ليبيا وضعت وفق خطة متوقعة قبل عشرة سنوات من عام 2005م بناء على أسعار النفط في ذلك الوقت حيث كان سعر البرميل الواحد 18$ تقريبا. الذي حدث أن أسعار النفط انخفضت إلى 8$ تقريبا. هذا الأمر جعل الخطة في دائرة السالب غير المتوقع (فالذي خطط له لم ينفذ منه إلا جزءا).

وعليه، ينبغي أن تُرسم الخطط والسياسات والاستراتيجيات وفقا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقع موجبا وما هو متوقع سالبا، وما هو غير متوقع موجبا وما وهو غير متوقع سالبا.

وبالنسبة للمثال الذي طبّق على الطلبة في دائرة السالب غير المتوقع، أن الطلبة لا يدخلون إلى قاعات الامتحانات في الدور الأول (الفرصة الأولى) ويدخلونه في الفرصة الثانية (الدور الثاني) ما يجعل نسبة الرسوب وإعادة السنة عالية. وعليه السالب غير المتوقع تكون فيه نسبة الرسوب في الدور الأول 100%.

الشكل رقم (2)



أهم افتراضات قاعدة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) هي:

الممكن: هو المتاح المتوفر والقابل للتوفر (الظاهر والقابل للظهور).

ولذا فالممكن ليس مستحيلاً.

المستحيل: هو الذي لا إمكانية لوصوله أو بلوغه عبر الزمن.

ولذا فإن كل ما هو غير مستحيل يقع في دائرة الممكن.

وعليه:

. لا ظهور للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن.

. لا كمون للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . ظهور الممكن.

2 . كمون الممكن.

والاستثناء و:

1 . عدم ظهور الممكن.

2 . عدم كمون الممكن.

لذلك يعمل الباحث بشكل عام وفقا للقاعدة إن كل شيء ممكن.

أما المستحيل لا يمكنه العمل به حيث خروجه عن دائرة الممكن (خارج دائرة عمله- خارج حدود مهنته- خارج طاقاته وقدراته).

ولذا فإن المستحيل من صلاحيات الخالق.

أما الممكن من صلاحيات المخلوق.

الممكن له معطيا وله مؤشرات، ويقع في الزمان والمكان كلما تهيئة له الظروف المناسبة لظهوره.

إذاً الممكن ليس مستحيلاً .

وبما أن الممكن ليس بمستحيل

إذاً عليك بالآتي:

. فكّر.

. أنظر إلى الكيفية التي عليها الأشياء وعليها المخلوقات حتى تعرف العلل والأسباب التي ورائها.

. خطط.

. اعمل بلا تردد.

. تأكد قطعا للشك فإن كل شيء ممكنا.

. لا تيئس إن فشلت في المحاولة الأولى.

. قيّم ما قمت به من جهد.

. كرر المحاولة باجتياز ما وقعت فيه من أخطأ.

. أنت قوة فاقبل بتحدي الصعاب.

. تأكد أن الصعاب تُذلل أمام إصرارك وأمام عملك.

. تأكد أنه لا وجود للمستحيل في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

كل ما هو متوقع وغير متوقع ممكنا:

بما أن كل ما هو متوقع وغير متوقع ممكنا.

إذاً بالنسبة لبني الإنسان فالممكن مؤسس على قاعدة، وغير الممكن مؤسس على استثناء وذلك نتيجة اختصاص الخالق به.

ولهذا لا مستحيل في دائرة الممكن. المستحيل خارج الدائرة.

ولذا فالمتوقع استقراء وفق حسابات أو معطيات أو مؤشرات. أما غير المتوقع هو المتاح لمن لم يضعه في خانة الاستثناء.

وعليه:

لو لم يكن المتوقع في دائرة الممكن، ما كان لأحد أن يتوقعه.

وكذلك لا يمكن أن يحدث أو يظهر غير المتوقع، ما لم يكن في دائرة الممكن.

إذاً دائرة الممكن تحتوي كل من (المتوقع وغير المتوقع).

وبما أن كل شيء ممكنا، إذاً فلماذا الاستغراب؟

الاستغراب: لحدوث أو ظهور غير المتوقع، بدلاً مما هو متوقع. أي ظهور ما لم يكن في الحسبان.

لذا: فالباحث الذي يفكر في المتوقع فقط، في معالجة الظواهر أو المشاكل، قد يواجهه غير المتوقع. وبالتالي من يرسم الخطط والاستراتيجيات، ويعد البرامج وفق ما هو متوقع، فليتأكد أنه سيواجهها الضعف والوهن؛ لمفاجأته بغير المتوقع.

الممكن امتداد متوقع وغير موقع في دائرة الزمان:

بما أن الممكن امتداد متوقع وغير متوقع في دائرة الزمان، وأنّ الزمان يمتد في الماضي والحاضر والمستقبل.

إذاً: بالضرورة ستتباين صوره من وقت لوقت آخر.

في الماضي: بالنسبة لنا ونحن في هذا الزمن الحاضر، ما كان متوقعا أو غير متوقع قد وقع بالفعل أو لم يقع بالفعل، ولهذا يعد الممكن مثبتا ولن يعد متوقعا من حيث الحدوث من عدمه، ولكن مع أنه أصبح مثبتا إلا أنه في حاجة لبرهنة تُمكِّن المتحاورين أو البحاث أو الدارسين من معرفته دليلا وحقيقة.

فعلى سبيل المثال: قيل لأحد الأصدقاء أنّ الشيخ الفلاني أو العلامة الفلاني أو عالم علوم الفقه والدين الذي تعرف عنه كل خير قد قدمَ على أفعال لا أخلاقية (هتك عرض) مع أحد أقاربه قبل خمسة سنوات من هذا العام، فأجاب على الفور وبكل سرعة. هذا ليس ممكنا. أنا لا أصدق. وطلب الدليل والبرهان.

مع أن الأمر قد وقع قبل خمسة سنوات من هذا التاريخ إلا أنّ صديقنا لا زال لم يُصدِّق، وبالنسبة له وكأن الأمر لم يقع بعد. وعندما أثبت له دليلاً وبرهاناً قاطعاً دخل في دائرة الاستغراب وكأنه لم يُصدِّق.

التعليق:

في الأمر الواقع أن الممكن يرتبط بالزمان (الآن) في كل وقت من الأوقات الثلاثة، ولهذا يسبق الممكن وقوع الفعل أو المترتب على ما هو متوقع أو غير متوقع (أي نتوقع أولاً، ثم يقع ما توقعنا، أو لا يقع)، وهذا ما لا ينطبق على الزمان الماضي الذي فيه وقع الفعل أو الحدث.

ومع أن الفعل قد حدث قبل خمسة سنوات، إلا أنّ الاستغراب لازال يلاحق الممكن في غير زمانه، وهذا هو الاستثناء، الذي يحيد عن القاعدة التي تنص على أنّ (المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن) يسبقان حدوث الفعل.

وعليه: لا تُصدِر أحكاما مسبقة على الأشياء السابقة على أحكامك، ولكن تبيَّن، ثم احكم.

والمتوقع وغير المتوقع المتعلق بالزمان الماضي هو في حاجة للبحث عن دليل إثبات أو برهنة تُثبت وقوعه بالفعل أو عدم ثبوته لأجل أن تطمئن القلوب.

أما في الزمان (الآن) الحاضر، فالمتوقع وغير التوقع يسبقان حدوث الفعل أو وقوعه، ويضل الانتظار إلى أن يحدث أو لا يحدث، أما الفعل أو الحدث المتوقع أو غير المتوقع سيضل في الزمان المستقبل، ويكون المتوقعون وغير المتوقعين في دائرة الممكن هم في حالة انتظار إلى أن يأتي الزمان الذي فيه الفعل أو البرهان أو الدليل المثبت.

بناء على ما سبق فالقاعدة هي:

أنّ دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) يسبقان الفعل والسلوك. والاستثناء أن يقع الفعل أو يحدث السلوك قبل توقعه أو عدم توقعه في دائرة الممكن.

ولهذا:

فالممكن يُلاحق الماضي.

ويتزامن مع الحاضر.

ويسبق المستقبل.

وعليه:-

! . فكَّر في المتوقع.

2 . فكَّر في غير المتوقع.

3 . خطط في دائرة الممكن.

4 . لا تستغرب.

5 . تطلّع فإن كل شيء ممكنا.

لا تتاح الأشياء للمخلوق إن لم تكن ممكنة:

هذا صحيح. ذلك لأن المخلوق هو محدود المقدرة.

أما الخالق فهو القادر على كل مطلق.

ولهذا فبالنسبة للخالق القاعدة هي:

(يخلق ما يشاء، كيفما يشاء، متى ما يشاء، وأينما يشاء)، وهذا يعني لا وجود للاستثناء بالنسبة للخالق.

أما بالنسبة للمخلوق فالقاعدة هي:

(خلق الممكن من الممكن)، ومع ذلك فإن أنّ لكل قاعدة استثناء.

الاستثناء نحن بني الإنسان لا نخلق مستحيلا، ولكننا ننظر إليه، ونتعرَّف عليه، ونتمكَّن منه وفقا لقدراتنا واستطاعتنا على الحركة في دائرة الممكن.

وعليه فالمستحيل يُخلق من الخالق الأعظم، والنظر إليه والتفكير فيه وبلوغه يحدث في دائرة الممكن من قِبل المخلوق الأفضل. ولهذا يقول الله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[3]

ولذا لا ينبغي أن يغفل المخلوق عن دائرة الممكن والتفكير فيها، والعمل وفقا للقواعد التي تحتويها أو تتضمنها أو تشير إليها، حيث لا مستحيل في دائرة الممكن.

وعلى الباحث أن يعرف، أنّ علاقة قوية تربط بين الممكن والقدرة.

ولهذا فالممكن في نضج القدرة.

---

[3] الغاشية 17 . 21.

وغير الممكن في قصورها.

وعليه:

فالإنسان يتوقع ما هو ممكن، ولكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته. فما يشاهد أو يُلاحظ أو يُحس به أو ما يتم تذوقه أو شمه أو سمعه فهو الواقع في حدود الممكن. وقد يحدث الاختلاف في درجات التمييز بين ما يوضع في مجال الممكن بالنسبة للمدركات والقدرات والأحاسيس حيث هناك البعض يمّيز بين الأشياء أكثر أو أقل من البعض الآخر.

فعلى سبيل المثال: الوصول إلى القمر كان في الزمان الماضي مستحيلاً وفقا لقدرات الإنسان وعلومه، وفي زماننا أصبح ممكنا، ولهذا خُلق القمر بقوة من يملك الأمر (كن) حيث لا مستحيل أمامه، وبملامسة دائرة الممكن للمستحيل يتم التعرف، ويحدث التمكّن وفقا للقدرة، مما يستوجب التسليم والإيمان بأنه الحق.

ولهذا كلما ظهرت الأشياء أو المخلوقات، إلى حيز المشاهدة أو الملاحظة، دخلت إلى دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولذا، لا ظهور للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن.

ولا كمون للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن.

وعليه يعمل الباحث على الآتي:

. إظهار الممكن.

. إنجاز الممكن.

. بلوغ الممكن.

. التخطيط وفق الممكن.

. التطلُّع وفق لممكن.

. التفكير إلى النهاية فهو في دائرة الممكن.

لا تستغرب كل شيء ممكنا:

الممكن: برغم وجوده؛ إلاَّ أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع)، وهو الذي كلما توفرت شروطه تم تحقيقه أو بلوغه.

وبما أن كل شيء ممكنا.

إذاً فلماذا الاستغراب؟.

الاستغراب هو حدوث غير المتوقع في الزمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقع، أي ظهور ما لم يكن في الحسبان، وعليه يجب أن يضع الباحث في حسبانه كل ما هو ممكن حتى لا يفاجأ.

الممكن برغم وجوده المتجزئ إلا أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع).

مثال (1): البحث عن العمل، لو لم يكن ممكناً، ما كان البحث عنه، ولهذا البحث عن العمل ممكناً، والحصول عليه ممكناً، وعدم الحصول عليه أيضاً ممكناً هذا الأمر هو المتوقع (ما يوضع في الحسبان). لكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان، وأنت تبحث عن فرصة عمل، فهذا الأمر بالنسبة لك غير متوقع.

وعليه: فالحب متوقع، والزواج متوقع، والطلاق كذلك، والانحراف متوقع، والإنجاب متوقع، وأيضا عدم الإنجاب متوقع، والخيانة متوقعة، والطاعة والعصيان متوقعان، والكذب والصدق متوقعان، وأيضا أن يُعطى لك موعد ويُخُّل به متوقع، فعلى سبيل المثال: إذا أردت أن تشتري زياً ليبياً عربياً رائعاً من المتوقع أن تشتريه في عصرنا من السيد ياقوت وأبنائه المحترمين، أما إذا أردت زياً فقط فمن المتوقع أن تشتريه من غيره.

أمَّا غير المتوقع، هو أن تَقدم الأم على ارتكاب فعل الفاحشة مع ابنها فهذا غير متوقع، أو أن يَقدم الأب على فعل الفاحشة مع ابنته، فهذا غير متوقع أيضاً، لأنه لم يوضع في حسبان القيم والأخلاق البنائية للأسرة.

ولهذا، معايير المتوقع هي التي على ضوئها تكون القواعد، وعلى معايير غير المتوقع تكون الاستثناءات.

ولذا فالاستثناء، هو الذي يَقدم الباحث على دراسته، والبحث عنه لأجل التعرُّف على العلل والمسببات التي تظهره من الكمون إلى الفعل والسلوك بغرض تقديم المساعدة أو العلاج أو الإصلاح (العودة إلى القاعدة).

غير الممكن: هو المستحيل، الذي لا يمكن الإقدام على فعله، أو بلوغه مهما فعلنا عبر الزمن.

مثال:

. من غير الممكن أن نأتي بالشمس من المغرب.

. من غير الممكن أن ندمج الشمس في القمر.

. من غير الممكن أن يطير الإنسان من غير جناحين.

. من غير الممكن أن نفكر إن فقدنا عقولنا.

. من غير الممكن أن نحي الموتى بقدراتنا هذه.

وقد يتساءل البعض: ماذا تعني بقدراتنا هذه؟.

أعني: إنَّ إحياء الموتى عبر الزمن كان ممكناً لبعض الرُسُل والأنبياء، ولكن في زمننا هذا فهو غير ممكنا، قال تعالى: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي}[4].

كل ما لم يكن مستحيلاً ممكناً:

بما أن كل شيء ممكناً.

إذاً فما هو الفرق بين الممكن والمستحيل؟

* الممكن: قابل للإثبات أو الاكتشاف، أي أنه في حاجة لمن يثبته ويبرهن على معطياته ومبرراته، ولذا فهو:

. قابل للإثبات.

. قابل للنفي .

. قابل للرفض.

. قابل للاكتشاف.

. قابل للظهور.

. قابل للكمون.

. قابل للشك.

---

[4] المائدة 110.

. قابل للمقارنة.

. قابل للترابط.

. قابل للثبات.

. قابل للاهتزاز.

. قابل للتوافق.

. قابل للتطابق.

. قابل للتشتت.

. قابل للتمركز.

. قابل للدراسة والبحث.

. قابل للتصحيح.

. قابل للعلاج.

. قابل للتقييم.

. قابل للتقويم.

ولهذا لو لم يكن ممكناً ما تم إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشك فيه، ومقارنته ومعرفة ترابطه و ثباته واهتزازه.

* أما المستحيل: فمثبت وهو الذي نعلم به ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم بيوم الحساب، ولكننا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنه موجود إلا أنه لا ينفى.

. عندما يكون اليوم السبت فإن الأحد سيأتي غدا وفقا لعلمنا، ولكن قد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه.

إذن المستحيل: هو الذي لا يمتلك الفرد ولا الجماعة ولا المجتمع ولا الإنسانية كاملة أن تقوم به أو تفعله.

إنه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا.

إذاً: المتوقع وغير المتوقع هما اللذان يقعان من قِبل أو من طرف المخلوق.

المستحيل هو الذي يقع من قبل الخالق.

ولذا فكلاهما يحدث، وفقا لتوقعاتنا، إلا أن الممكن يتحقق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطيع أيدينا على فعله.

وعليه المستحيل نتوقعه ولكن وقوعه من خارجنا أما الممكن نتوقعه ويحدث من داخلنا.

لذا على الباحث أن يضع في حساباته بان ظهور غير المتوقع ممكنا وإذا لم يضع ذلك في حساباته فسيفاجأ به.

الصعب ليس بمستحيل:

الصعب فعل يُنفى ويُثبت، ولهذا فهو ممكنا، وبالرغم من أنه ممكنا إلا أنه ليس سهلا، إنه في حاجه لبذل الجهد، مع إعطاء الزمن الكافي والإمكانات الكافية.

وعليه:

من المستحيل أن يكون الإنسان عالماً بلا علم، ومن الصعب أن يصبح الإنسان عالماً.

وبما أنه من الصعب أن يصبح الإنسان عالماً، ومع ذلك فبالإمكان أن يكون.

إذاً القاعدة هي:

تحدى الصعاب إذا أردت أن تكون عالماً.

والاستثناء هو:

تنسحب من التحدي تبقى جاهلاً.

ولهذا فإن تقدم العلوم قاعدة. وتأخرها استثناء.

إذا متى يكون المثبت مستحيلاً؟

. مستحيل أن تأتي به جديداً.

. مستحيل أن تأتي بمثله بالتمام.

. مستحيل أن تمتلك القوة المماثلة للقوة التي أظهرته.

ولهذا فالمثبت مستحيلاً. أما إذا استطعت أن تأتى به جديداً، أو تأتي بمثله، أو أن تمتلك القوة التي أظهرته، فإن ذلك هو الممكن غير المتوقع (الصعب).

وقد يتساءل البعض:

ما الفرق بين المستحيل والصعب؟

نقول:

المستحيل غير ممكنا.

ومع أن المستحيل مثبتا؛ إلا أنه خارج دائرة المتوقع وغير المتوقع.

الصعب ممكنا:

إنه القابل للإثبات أو النفي، إلا أنه في حاجة لبذل المزيد من الجهد، مع إعطائه الزمن الكافي والإمكانيات الكافية.

مثال: الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي الذي لديه فرضية تقول: (الحالة ميئوس منها) هذه فرضية غير مقبولة وفقا لقاعدة الممكن حيث لا يوجد شيء مستحيل في دائرة التعامل المهني، لكن قد يكون على درجة من الصعوبة. لذلك على الباحث أن يُقدِّم فرضاً بديل للفرض السابق، هو: (التعامل مع الحالة كقوة ممكنا).

ولذلك فالباحث أو الأخصائي يعرف أنه في مواجهة قوة، وإن لم تكن قوته أقوى وأنضج من القوة التي تواجهه، تكون الحالة ميئوس منها فعلاً، وعليه أن يتحدى الصعاب، وأن يتجاوز قوة المواجهة مع الحالة، بقوة تخلق نُقلة لها من المستوى الذي هي عليه، إلى مستوى أفضل، حتى تصبح معه حالة غير ميئوس منها.

وعليه:

فالقاعدة هي:

. تحدى الصعاب.

والاستثناء هو:

. انسحاب من التحدي الصعاب.

ولهذا لا تغفل عن الاستثناء، بل اعمل عليه.

ولذا يُعد في قاموس البحاثة والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين العمل على الاستثناء قاعدة، وذلك لأجل إعادة المدروسين أفراد أو جماعات إلى ما يُمكِّنهم من تأدية وظائفهم الاجتماعية والإنسانية، وبما يُمكِّنهم من أحداث النقلة.

وقد يتساءل البعض:

لماذا النظر والعمل على الاستثناء؟

لأن من يقعون في دائرته هم في حاجة للبحث والدراسة وفي حاجة للمساعدة الهادفة، أو أنهم في حاجة للعلاج والإصلاح.

ولهذا، من لا يغفل عن الاستثناء، يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل.

وعليه:

1 . أنظر إلى المثبت واعمل على الممكن.

2 . تحدى الصعاب، فإن تحديها ممكنا.

3 . خطط وفقاً لما هو متوقع، ولِمَا هو غير متوقع، حتى لا تفاجأ.

4 . لا تستغرب أن يحدث أو يقع غير المتوقع.

5 . لا تصدر أحكاماً مطلقة على ما هو ممكن.

6 . شك حتى ترى اليقين (الحقيقة).

7 . تحدى الصعاب، فإن تحديها يأتي بالجديد.

8 . خطط لمستقبل أفضل، واعمل على صناعته قبل قدوم زمنه.

9 . انتبه إلى الاستثناء، تتفادى الأضرار والمخاطر.

10. انتبه إلى الاستثناء، تعيد إلى القاعدة المنحرفين عنها.

وبناء على ذلك:

أ . جمّع قواك تفعل الممكن.

ب . = = تصنع الممكن.

ج . = = تُحدث النُقلة.

د . = = يُعترف بك.

هـ . = = تنال التقدير.

و . = = تكسب الثقة.

ع . = = تُنجز الأهداف.

غ . = = تزداد إصرار.

ف . = = تبلغ الغايات.

الأنموذج التطبيقي لدائرة الممكن:

في خماسي عقيل لتحليل القيم هناك خمسة مستويات يمكن أن تندرج تحتها شخصية الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات وهي: (الذاتية والإنسحابية والأنانية والتطلُّعية والموضوعية).

بهذه المستويات أيضا تتم معرفة وقياس وتقييم مستوى الخطاب أو النص. للخماسي الذي سجلت براءته باسم المؤلف تطبيقات على خمسة مستويات وستة مجالات قيمية.

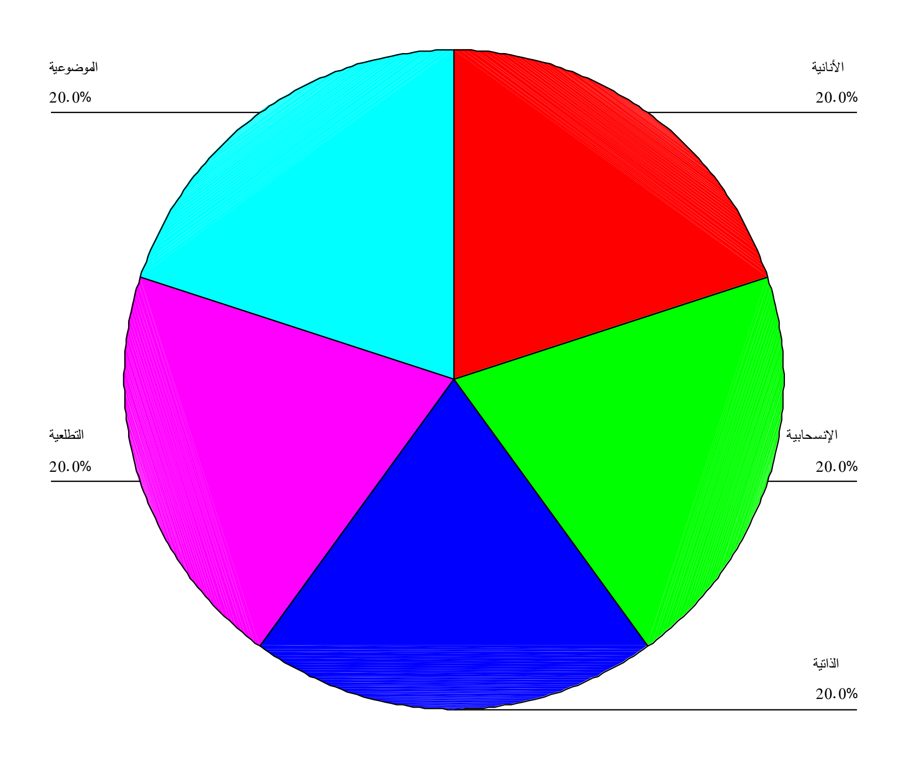
نأخذ أحد مجالاته شاهدا للتطبيق على دائرة الممكن.

- المستويات القيمية في دائرة الممكن:

خمسة مستويات قيمية للشخصية تتساوى فرص الاختيار فيها أمام المبحوثين دون انحياز وبنسبة (20%) لكل مستوى قيمي، وفقاً لفرض العدم كما هو مبين في الشكل رقم (3)، ولهذا كل مستوى قيمي يقع في دائرة الممكن بنسبة (20%) ووفقاً لقاعدة المتوقع وغير المتوقع فإن هذا الأمر قد لا يتحقق ما يجعل الضرورة تستوجب رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل الذي يثبت عدم تساوي اختيارات المبحوثين برغم تساوي فرص الاختيار أمامهم.

ولتبيان ذلك نقدم أنموذجا تحليليا للمستويات القيمية من الدراسة التي أجريت تحت إشرافنا على عينة من العاملين بمصرف الأمة وفروعه في الجماهيرية، خاضعين فيه مجال العلائق الإنتاجية للتفحص والتقصي الموضوعي في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

الشكل رقم (3)



– التحليل الإحصائي للقيم الإنتاجية في دائرة الممكن:

يحتوي مجال العلائق القيمية الإنتاجية على خمسة قيم رئيسة في خمسة مستويات (بدائل) كما هي موضحة في الجدول رقم (2).

جدول رقم (2)

تصنيف القيم الإنتاجية

المجـــــال الإنتاجي	الأنانية	الإنسحابية	الذاتية	التطلعية	الموضوعية
الانجاز	تراجع	سرعة	تأني	انسجام	تصميم
التقنية	إدعاء	انبهار	تفرج	استعارة	تسابق
العملية	بطالة	تسويف	انتظام	رغبة	إنتاج
الإبداعية	تقليدية	حذاقة	مهارة	اكتشاف	خلـــــــق وابتكار
الاقتصادية	فردية	استهلاكية	عفوية	جماهيرية	تخطيطية

لكل قيمة خمسة بدائل معيارية ولكل منها درجة قياسية على خماسي عقيل لتحليل القيم. الذي به تم التعرف على المستويات القيمية لعينة المبحوثين (العاملون بمصرف الأمة وفروعه في الجماهيرية).

اختيرت العينة العشوائية تناسبيا، وفقا للجنس والمهنة والدور الذي به تناط المسؤوليات بالإدارات والعاملين بها. فكان حجم مجتمع البحث (2377)، وكانت نسبة العينة 10% ما جعل حجمها (238) موظفا وموظفة.

تتلخص فكرة اختبار حُسن المطابقة لمجال العلائق الإنتاجية في تبيُّن ما إن كانت هناك علاقة بين توزيع استجابات المبحوثين لموظفي مصرف الأمة وفروعه على المستويات القيمية وما هو متوقع من توزيع استجاباتهم على هذه المستويات. فالممكن يشمل المتوقع وهي البيانات المشاهدة من الاستبيان التي لا تتوزع غالبا بانتظام على المستويات القيمية، كما يشتمل الممكن أيضا على غير المتوقع وهو أن تتوزع استجابات المبحوثين بانتظام وبنسب متساوية على المستويات القيمية وذلك بقسمة مجموع الاستجابات المتوقعة على عدد المستويات القيمية بحيث نقبل فرض العدم بانتظام توزيع المتوقع لاستجابات المستبين آرائهم على غير المتوقع من توزيعهم بانتظام، وأن الفروق فيما بينهم يمكن إرجاعها إلى الصدفة، ونرفض خلاف ذلك.

الجدول رقم (3) التالي يبين توزيع المتوقع وغير المتوقع لاستجابات المبحوثين على المستويات القيمية لمجال العلائق الإنتاجية من خلال عينة عشوائية حجمها 238 موظف وموظفة.

جدول رقم (3)

المستويات القيمية للمجال الإنتاجي في دائرة الممكن:

المستويات القيمية	الأنانية	الإنسحابية	الذاتية	التطلعية	الموضوعية	المجموع
المتوقع $= EO_i$	93	142	244	294	417	1190
غير المتوقع $= UE_i$	238	238	238	238	238	1190

وبحسابنا لقيمة مربع كاي الحسابية طبقا للمعادلة رقم (1) الآتية:

$$\chi^2 = \sum_{i=1}^{n} \frac{(EO_i - UE_i)^2}{UE_i} \qquad (1)$$

حيث: n تمثل عدد المستويات القيمية وهي 5.

تبين أن $\chi^2 = 275.02$ وهي اكبر من القيمة الجدولية 9.488 عند مستوى المعنوية 5% ودرجات حرية n−1=4، علية فإننا نرفض فرض العدم ونقبل الفرض البديل الدال على أن آراء المبحوثين المتوقعة تختلف بشكل جوهري عن ما هو غير متوقع من آرائهم. أي أن الاستجابات المتوقعة لا تظهر انتظاما في توزيعها على المستويات القيمية، وأنها تميل إلى التمركز في بعض المستويات القيمية دون غيرها.

حيث أن فئة الموظفين المستبين آرائهم تشمل الذكور والإناث، ولذا فإننا نرغب في اختبار ما إن كان هناك تأثير للجنس على المستويات القيمية لمجال العلائق الإنتاجية وذلك بتفريغ نتائج الاستبيان في جدول التوافق للصفتين المذكورتين، حيث يمثل المتوقع EO_{ij} الاستجابات المشاهدة من الاستبيان بينما غير المتوقع UE_{ij} أن تتوزع البيانات المشاهدة وفقا لعددها مع مجموع الصف T_{io} ومجموع العمود T_{oj} في كل خلية بناء على المعادلة رقم (2) الآتية:

$$E_{ij} = \frac{T_{io} T_{oj}}{T_{oo}} \qquad (2)$$

حيث : T_{oo} تمثل إجمالي عدد الاستجابات المسجلة في الصفوف والأعمدة.

والجدول رقم (4) التالي يمثل جدول التوافق بين الجنس والمستويات القيمية بقيمها المتوقعة وغير المتوقعة.

جدول رقم (4)

التوافق بين الجنس والمستويات القيمية في دائرة الممكن:

	الأنانية	الإنسحابية	الذاتية	التطلعية	الموضوعية	المجموع
ذكور	52 60.25	86 92.01	157 158.08	212 190.48	264 270.17	771
إناث	41 32.75	56 49.99	87 85.92	82 103.52	153 146.83	419
المجموع	93	142	244	294	417	1190

والفروض التي نرغب في اختبارها هي

H_0 : المستويات القيمية مستقلة عن الجنس

H_1 : المستويات القيمية غير مستقلة عن الجنس

بالتعويض في معادلة مربع كاي الآتية:

$$\chi^2 = \sum_{i=1}^{r}\sum_{j=1}^{c}\frac{(EO_{ij} - UE_{ij})^2}{UE_{ij}} \qquad (3)$$

حيث: r تمثل عدد الصفوف (الجنس)، c تمثل عدد الأعمدة (المستويات القيمية).

تَبيَّنَ أنَّ χ^2=12.649 وهي اكبر من القيمة الجدولية 9.488 عند مستوى المعنوية 5% ودرجات حرية $(r-1)(c-1)$=4، وبالتالي فإننا نرفض فرض العدم ونقبل الفرض البديل الدال على وجود علاقة بين المستويات القيمية والجنس وأنهما يؤثران في بعضهما البعض.

لتحديد درجة العلاقة بين الجنس والمستويات القيمية نستخدم معامل التوافق ذو الصيغة الآتية:

$$C = \sqrt{\frac{\chi^2}{\chi^2 + N}} \qquad (4)$$

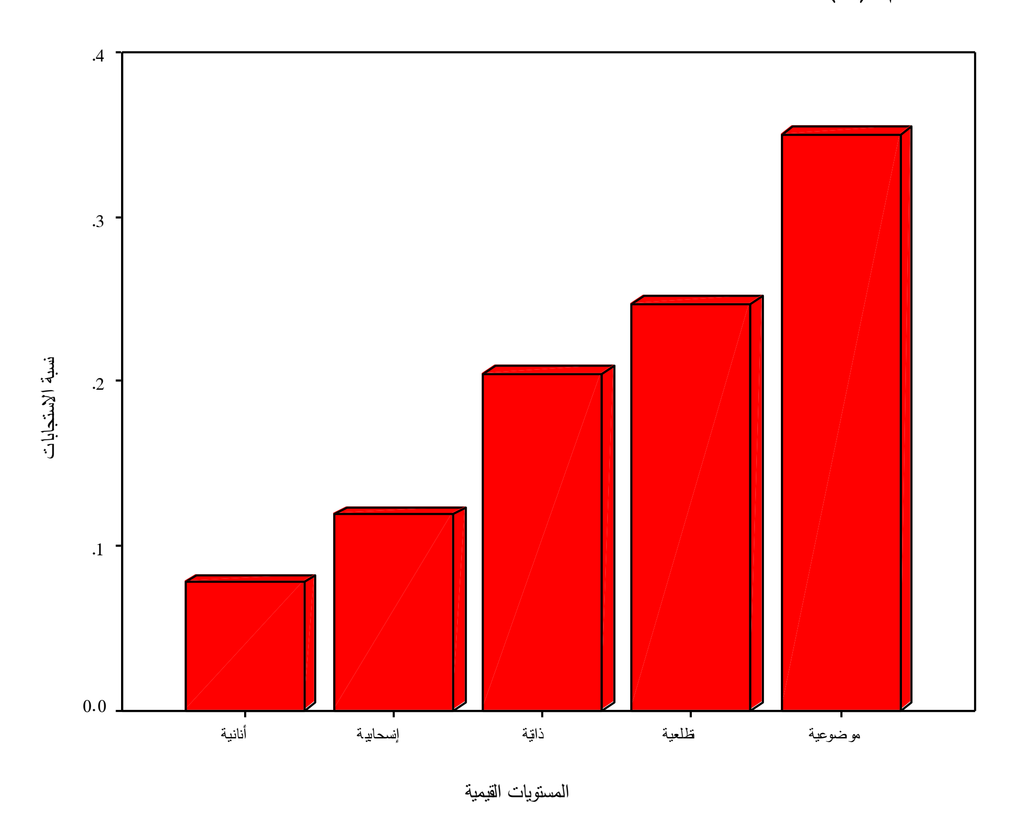
حيث: χ^2 تمثل قيمة مربع كاي المحسوبة من المعادلة (3).

N تمثل مجموع الاستجابات.

وبحساب معامل التوافق من المعادلة (4) تبين بأنه 0.1026 وهي قيمة صغيرة تدل على وجود علاقة بين الجنس والمستويات القيمية إلا أنها ضعيفة وتأثيرها محدود.

نعتمد في الدراسات الإحصائية على العينات العشوائية المأخوذة من المجتمع نظرا لسهولة جمعها من حيث الوقت والكلفة، إلا أن الإحصاء ألاستنتاجي يوفر للباحث الصيغ الرياضية غير المتحيزة لتعميم نتائج العينة على المجتمع المدروس، فمثلا تشير فرضيات الباحث وفقا إلى قاعدة المتوقع الموجب أن استبيان موظفي فروع مصرف الأمة بالجماهيرية ذاتيون على الأقل في اختياراتهم وآرائهم، نظرا لازدياد النسبة المئوية للاستجابات تصاعديا على المستويات القيمية كما هو مبين في الشكل (4).

الشكل رقم (4)



وعلية فقد قسمنا المستويات القيمية إلى قسمين متنافيين في دائرة الممكن.

المتوقع وهو مجموع نسب الذاتية، التطلعية والموضوعية (ذاتية على الأقل).

غير المتوقع وهو مجموع باقي نسب الأنانية والإنسحابية (انسحابية على الأكثر).

ونظرا للفرضية السابقة بأن نسب المستويات القيمية متساوية، علية فإننا نتوقع أن مجتمع الدراسة يكون ذاتيا على الأقل إذا زادت النسبة عن 40% باعتبار أن مجموع ما دون الذاتية 40% لذا فإن الذاتية أو أكثر منها تقل عن 40%.

وبالتالي فالفروض المختبرة يمكن كتابتها على الصورة الآتية:

$$H_0 : p = 0.4$$
$$H_1 : p > 0.4$$

وحيث أن عناصر الاستبيان لمجال العلائق الإنتاجية كبيرة والاحتمال المختبر يقترب من 50%، فإننا نستخدم اختبار النسبة للتوزيع الطبيعي الذي له الصيغة الآتية:

$$Z = \frac{\hat{p} - p}{\sqrt{\frac{pq}{N}}} \qquad (5)$$

حيث: p تمثل المتوقع لنسبة المجتمع المختبر.

q تمثل غير المتوقع لنسبة المجتمع المختبر.

$\hat{p}$ تمثل نسبة العينة الفعلية وتساوي 0.8025.

وبحسابنا لقيمة z المحسوبة وجد أنها 12.675 وهي أكبر من القيمة الجدولية 1.645 عند مستوى المعنوية 5% وعلية نرفض فرض العدم ونقبل الفرض البديل القائل بأن النسبة تزيد عن 40%، أي أن مجتمع موظفي فروع مصرف الأمة ذاتيون على الأقل وهذا ما هو متوقع.

النتائج

آراء المبحوثين المتوقعة تختلف بشكل جوهري عن ما هو غير متوقع من آرائهم. أي أن الاستجابات المتوقعة لا تظهر انتظاما في توزيعها على المستويات القيمية، وأنها تميل إلى التمركز في بعض المستويات القيمية دون غيرها.

وجود علاقة بين المستويات القيمية والجنس وأنهما يؤثران في بعضهما إيجابيا بدرجة ضعيفة.

3- أن مجتمع موظفي فروع مصرف الأمة ذاتيون على الأقل وهذا ما هو غير متوقع.

تعمل البرمجية القيمية في العلوم الاجتماعية والنفسية على تمكين الباحث أو الأخصائي، من دراسة حالات الأفراد، وفقاً للافتراضات المتوقعة وغير المتوقعة.

* على سبيل المثال: إذا افترض الباحث أن (الفرد أو الجماعة أو المجتمع المدروس في حالة قيمية انسحابية). فهو يتوقع أن أفعالهم السلوكية هي أفعال انسحابية. حيث تخليهم عن أداء واجباتهم، وتهربهم من حمْل مسؤولياتهم، ولا يشتركون في اتخاذ قرارات تتعلق بذوي العلاقة بهم.

فالباحث إذا اعتمد في بحثه أو دراسته على هذه الفرضية المتوقعة فقط، قد يفاجأ بنتائج غير متوقعة. كأن يُفاجئ بسلوك أو فعل ذاتي أو تطلعي.

لذا يجب على الباحث أن يصوغ في مقابل هذه الفرضية المتوقعة أربع فرضيات غير متوقعة وفقاً لقاعدة الخماسي التي تعتمد نسبة $\frac{1}{5}$ لإثبات الفرضية المتوقعة في مقابل $\frac{4}{5}$ لظهور أو ثبوت ما هو غير متوقع.

ولذلك ينبغي دراسة العملاء وفقاً لكل فرض متوقع في مقابل أربعة فروض احتمالية غير متوقعة. كما ينبغي إعداد البرمجية المناسبة للشخصية الإنسحابية كشيء متوقع الحدوث، وعدم الإغفال عمّا يناسب الشخصية الموضوعية والذاتية والتطلعية والأنانية لاحتمالية حدوث غير المتوقع؛ وهذا يعني أن لا يقف الباحث عند هذا الحد، بل يضع خططاً بديلة في ضوء حدوث أو إثبات الفرضيات غير المتوقعة، حتى لا يفاجأ بنتائج لم تكن في الحسبان؛ فإذا كان المتوقع (1) يكون غير المتوقع (4) وفي مجملها تكون خمس خطط يتم ترجمتها إلى برمجية تحمل آلية التطبيق وتحقيق الأهداف التي من أجلها صيغت الفرضية المتوقعة.

* أما إذا افترض الباحث أو الأخصائي أن (الأفراد المدروسين في مستوى قيمي موضوعي) فإنه يتوقع إن أفعالهم السلوكية، هي أفعال موضوعية، أي أنهم يُفكرون في ذاتهم كما يُفكرون في الآخرين. ولهذا يتم السعي إلى تحقيق الطموحات دون أن تكون على حساب طموحات الغير، أي من المفترض أن يُقال الحق ويُحرّض على قوله، ويتم الابتعاد عمَّا هو سالب، وفقا للعقل الميزان الذي به تعتدل الكفتين، ولذلك لا يتم الإقدام في دائرة المتوقع على الانحياز، ومع ذلك قد يحدث غير المتوقع الذي يجعل البعض على حالة تطلعية أو ذاتية أو إنسحابية أو أنانية.

لذا يجب على الباحث أن يصوغ فرضياته في دائرة المتوقع وغير المتوقع. وعندما لا يثبت المتوقع (1) تصبح مجالات الاحتمال أمامه هي (4) احتمالات رئيسة وفقاً لخماسي عقيل لتحليل القيم. وكل احتمال هو بحاجة إلى خطة بديلة وبرامج بديلة، بغرض تحقيق الأهداف المرسومة لعمليات دراسة الجماعة.

وهكذا سيكون الحال وفق كل مستوى من المستويات القيمية الخمس في خماسي تحليل القيم.

الفصل الرابع

قاعدة

(الكلمة الحُجَّة)

(الكلمة الحُجَّة)

الكلمة قول يُسمع:

الكلمة أساس كل شيء يُمكن أن يكون، فبها صدر الأمر الإلهي كن فكان، وبها يتفاهم الإنسان مع أطرافه، وبها تتخذ القرارات وتصدر الأوامر والنواهي، وبها يتقدم الإنسان أو يتأخر ولذا فالكلمة فاعلة عندما تمتد في القول والفعل والسلوك.

ولأنها كلمة فعندما تصدر بالألسن تُسمع، وتترك أثرا موجبا أو سالبا في الضمائر والقلوب؛ فهي التي تنقل القيم الموجبة والقيم السالبة، وبها تُحمل التعاليم وتُقوّم الأخلاق.

وبما أن الكلمة قول يُسمع.

إذاً القاعدة هي:

1 . الكلمة قول.

2 . القول يُسمع.

والاستثناء هو:

1 . الكلمة لا تُقال).

2 . القول لا يُسمع.

ولأن القول الذي يُسمع يترك أثراً.

لذا فأثر الكلمة في دائرة الممكن، قد يكون حُجّة لنا ويقد يكون حُجَّة علينا.

أن يكون حجة لنا فهذه القاعدة.

أن يكون حجة علينا فهذا الاستثناء.

ولكن أي كلمةٍ هي حُجَّة لنا؟.

كلمة الحق.

وأي كلمة هي حُجّة علينا؟.

كلمة الباطل.

إذن الحُجَّة دليل إثبات في دائرة الممكن السالب أو الموجب.

وعليه:-

. قُل الحق.

. تحدث وجادل به.

. أنصت حتى تتبيَّن.

. عبِّر عما بداخلك بلسان صدق.

. أحكم بين الناس بالحق.

. أرسل الكلمة بود.

. استقبلها بوعي.

ولذا فعلى الباحث أو الأخصائي الاجتماعي عند دراسة الحالات الفردية أو الجماعية أو المجتمعية أن يراعي الآتي:

1 . أن يكون لسانه لسان صدق مع لباقة ولطف معاملة مع العملاء وبكل موضوعية.

2 . أن يَقدم على حل المشاكل بحُجّة.

3 . أن لا يحل مشكلة على حساب أخرى.

4 . أن يضع في اعتباره عملية الإصلاح ضرورة مهنية تستوجب الاستمرار بحثا وتقصيا.

5 . أن لا يتوقع الاستجابة المرضية منذ البداية.

6 . أن لا يطلب من العميل ما لا يقدر عليه بإرادة.

7 . أن يحدد الأولويات عند القيام بعملية الإصلاح.

8 . أن ينمي مهاراته بالتفكير والتدبُّر الموضوعي.

9 . أن يستعمل الفكاهة إذا ما استدعت الضرورة لذلك.

الكلمة الحُجَّة تُرسم:

ولأن الكلمة التي تُرسم لها صورة وشكل، كالشجرة التي تُحمل في الكلمة الدالة عليها، وكالقلم، والبحر، والجبال والأرض والطيور والأزهار والحيوانات كل هذه الكلمات ذات صورة وجمعيها تُرسم؛ وهكذا الأشكال تتعدد أنواعها بتعدد صورها التي تُرسم، وكذلك كلمة المثلث والمربع والمستطيل والدائرة كلمات دالة بالصورة والشكل.

فعندما يستمع المُستمع الذي سبق له وأن عرف وراء أشكالا أو أجساما، عندما يستمع للكلمات الدالة عليها تُرسم في ذهنه أشكالها وصورها حتى وإن لم تكن ماثلة أمامه، فعندما يقال لك قلم يُرسم القلم في ذهنك، وعندما يقال لك مقعدا أو غزالة أو وردة أو شلال أو نهر، كلها تُرسم في الذهن ما يجعل استيعاب الكلمة ذات الصورة والشكل أقرب إلى الفهم والإدراك عن غيرها من الكلمات التي ليست لها صورة أو شكل.

الكلمة الحُجَّة حركة:

لو لم يكن في الكلمة الحُجَّة حركة، ما امتدت من ذهن القائل إلى ذهن وعقل المستمع، ولَمَا تركت أثرا يمكن أن يؤثر على النفس أو يؤثر فيها سلبا بالنكوص والانطواء والانسحاب، أو إيجابا بالفطنة والصحوة والتيقظ الذي يمد الأفراد بأخذ الحيطة والحذر، والتطلّع لكل مفيد ونافع.

وبما أن في الكلمة الحُجَّة حركة.

إذاً للكلمة الحُجَّة مجال امتداد.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . الكلمة امتداد.

2 . الحُجَّة حركة.

والاستثناء هو:

1 . الكلمة انكماش.

2 . الحُجَّة سكون.

ولذلك ينبغي على الباحث أو الأخصائي الاجتماعي والنفسي أن لا يغفل أحد منهم عن الآتي:

1- أن يعمل بالكلمة الموجبة من أجل تصحيح الكلمة السالبة.

2- استخدام الكلمات التي تَرتَسِم إيجابيا على وجوه العملاء أو الأفراد والجماعات، وذلك بما يترك أثراً موجباً.

3- استخدام الكلمات التي لها دليل إثبات قابل للمطابقة والتقصي.

4- استبدال الكلمات الجافة بأخرى مملوءة بالعواطف والمشاعر والذوق الرفيع.

5- استبدال الكلمة الخبيثة بالكلمة الطيبة.

6- استبدال الكلمة الفاقدة للحُجَّة بالكلمة المتضمنة لها.

وبما أن الكلمة بين سكون وحركة، وامتداد وانكماش.

إذاً تقع الكلمة في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) ولهذا تحدث الكلمة أو تقال أو تصدر وفقاً لما هو متوقع سالباً أو لما هو متوقع موجبا.

وفي مقابل المتوقع السالب والموجب قد تقع أو تحدث الكلمة وفقاً لما هو في دائرة غير المتوقع السالب أو غير المتوقع الموجب.

والحركة تنقسم إلى جزأين اثنين هما:

الجزء الأول:

حركة واعية بإرادة الاطمئنان، وتحقق أهدافاً شخصية، أو ذاتية، أو موضوعية، دون أن تؤثر سلباً في الآخرين، مثل إشباع الإنسان لحاجاته وهو راضٍ، ولا يمس حاجات الآخرين حتى ولو كان بإمكانه تناولها، وهذه الحركة تحقق الانسجام والتراضي، وتؤدي إلى الوحدة.

الجزء الثاني:

حركة واعية بإرادة الخوف، وتحقق أهدافاً شخصية، أو ذاتية، أو موضوعية، وتؤثر سلباً في الآخرين، مثل إشباع الإنسان لحاجاته على حساب حاجات الآخرين، وهذه الحركة تؤدي إلى الصراع والشقاق، وتؤدي إلى الفرقة، وكل ذلك يحدث من أجل المستقبل، مما يجعل للحركة مستقبلاً، وللمستقبل حركة؛ وتعبر الحركة عن وجود طاقة ظاهرة أو كامنة تجعل الجسم أو الشكل في حالة حركة ثابتة، أو متغيرة، من وقت إلى آخر.

حالتا الحركة:

أولاً . الحركة الممتدة:

وهى التي تحدث عندما تمتد القوة في مجالها الذي تتمكن من الوصول إلية كلما سنحت لها الفرصة في ذلك. وقد تكون الحركة فكرية ، وقد تكون مادية.

1_ الحركة الفكرية:

هي التي تحدث عندما تمتد الأفكار من عقول وصدور حامليها إلى عقول وصدور آخرين ، فتشغل حيزاً عندهم نتيجة امتدادها إليهم، وهكذا تمتد الأخبار، والإشاعات، وتنتشر بين الناس حسب قوة تأثيرها سلباً أو إيجاباً وحسب القوة الفكرية أو الحُجَّة التي تتضمنها. والأفكار الموجبة عندما تمتد خارج المجال أو البعد الذي يمكنها التأثير فيه قد تحقق نتائج سالبة، فالمناداة بالوحدة العالمية إنسانياً موجبة ، ولكن عندما تتجاوز أهمية البعد القومي في البناء والتنظيم الاجتماعي تكون على حسابه، وتكون نتيجة الجهد المبذول في التنشئة الاجتماعية تساوي صفراً في حالتين:

الحالة الأولى:

مهما بدل من جهد تجاه المجتمع من أجل تحقيق البعد العالمي على حساب البعد القومي لا يتحقق مما يجعل الصفر هو نتيجة الجهد المبذول .

والحالة الثانية :

تركيز الجهد التربوي على تنمية أو تطوير الاتجاهات العالمية لدى الناشئين يضُعف وعيهم بأهمية البعد القومي، وتكون النتيجة: مستقبل المجتمع يساوي صفراً، ويصبح سيره (مشيته) كالغراب الذي كان يعتقد أنَّ بإمكانه أن يقلد الحمامة في مشيتها فنسي مشيته ومشية الحمامة معا.

وقد يوُجّه المجتمع كذلك فكرياً أو سياسياً تجاه تحقيق البعد القومي على حساب البعد المحلي، فتكون النتيجة هي الأخرى صفرية في حالتين:

أ . عدم تحقيق الوحدة القومية نتيجة انسلاخ المجتمع عن مكوناته الأساسية للأمة وهي الأسرة والعشيرة والقبيلة .

ب . عدم تحقيق الوحدة المحلية على المستوى الاجتماعي نتيجة إهمالها في التربية الاجتماعية.

وكذلك العمل على ترسيخ التكوين الاجتماعي المحلي على حساب البعد القومي تكون النتيجة صفرية في حالتين:

أ . تشتت المستوى المحلي لفقدانه مجال الامتداد الطبيعي (التربية القومية).

ب . فقدان البعد الاجتماعي (الأمة) أو فقدان الإحساس بها يجعل حياة الأفراد في خطر لفقدانهم المظلة الاجتماعية.

2- الحركة المادية:

هي التي لها القوة الملموسة أو المحسوسة والقابلة للمشاهدة والملاحظة، ويكون لها أثرا إيجابيا، أو أثرا سلبيا باختلاف المتأثرين بها، مثل امتداد السيل الجارف في الوادي الذي يقتلع بقوة امتداده كل مهتز منتهٍ إذا ما وقع في طريقه، وهذه قد تكون سالبة أو موجبة، حسب الموضوع، والمقيِّمين له، وباختلاف الزمان والمكان، ومع أنه قد يحدث سلبيات أو أضراراً، إلاّ أنه قد يحقق العمار، بإروائه للأرض وإحيائه للأشجار أو للنباتات التي كادت أن تموت أو تختفي لو لم يكن سببا مسخَّرا لإحيائها.

وقد تكون الحركة نتيجة انفجار بركاني يحدث بعد تمدد القوة الكامنة في باطن الأرض عندما تضعف أمامه مقاومتها، فتفتح له الطريق للخروج إلى النهاية، وحسب مجال قوته ودائرة تأثيره، وهكذا يتمدد الجنين في بطن أمة، وتتمدد النبتة من نواتها إلى النهاية، أو تتكمش إلى النهاية.

وعليه، إذا سألك أحد:

هل الحركة تشاهد أم تلاحظ؟ فبماذا تجيب؟

في اعتقادنا أن الحركة لا تشاهد، ولكنها تُلاحظ، ولأجل الإيجاب أتساءل: بما أن الحركة لا تشاهد، إذاً ما هو الذي يشاهد أثناء الحركة؟

إنه المتحرك، فاليد تُشاهد كمتحرك، ولا تُشاهد حركتها، ولذا فالذي يُشاهد هو المتحرك (اليد) والذي يلاحظ هو الحركة التي تدرك إدراكا، ولهذا لا يمكن أن تكون اليد هي الحركة، بل أنها المتحرك.

إذاً الحركة تختلف عن المتحرك، فالمتحرك قابل للمشاهدة والملاحظة معاً، أما الحركة فتلاحظ فقط، ذلك لأنها غير ملموسة لافتقادها للمادة التي تتوحَّد فيها. ولذا فإن الحركة هي الكامنة في المتحرك، وهي التي تحدث كلما حدث لها تمدد بالقوة التي تجعلها في حالة ظهور بدلاً من حالة الكمون، وهي العلاقة التي تحدث بين المتحرك والمحرك، فإذا اعتبرنا على سبيل المثال كرة القدم هي المتحركة، فمن يكون المحرك لها؟ هل هو أللعيب، أم قدم أللعيب؟. بالتأكيد لو لم يكن اللعيب محركاً للقدم ما كان القدم محركاً للكرة، لذا فهناك محرك مباشر وهو القدم، ومحرك

غير مباشر وهو العقل والجسم كوحدة واحدة، وتتداخل العلاقة بين المتحرك والمحرك باتصال وانفصال، تتصل في الفكرة والدرجة، وتنفصل في الأداء والخصوصية.

تتصل حركة اللاعب وتتداخل من الفكرة التي تمتد من العقل إلى البدن، مما يجعل لليدين وللرأس والقدم حركات مختلفة، كلٍّ حسب وظيفتها، ودورها في أداء المهمة التي تناط بها. وحسب هذه الأدوار يشاهد المتفرج حركة اللعيب متسقة، ولكنه يشاهد بالتحديد حركة القدم في علاقة مباشرة ومنفصلة مع الكرة أثناء دفعها إلى الأمام، أو الخلف، أو أحد الجانبين، فتمتد الكرة بقوة دفع المتحرك (القدم) إلى نقطة انتهاء القوة أو المسافة المقطوعة، ولهذا قوة الحركة هي التي تحدد مسافة الامتداد، وليس المتحرك هو الذي يحددها، مع أنه لولا المتحرك ما عرفنا الحركة ولا كانت تشغل حيزاً.

ثانياً: الحركة المنكمشة:

هي الحركة التي تطوي حركة الامتداد، أو هي العودة إلى الأصل، كعودة الشجرة إلى النواة التي كانت تكمن فيها، حيث أن كل شجرة منتهية باعتبارها شيئاً (وكل شيء منته) ولكن هل ستنتهي الأشجار بعد موت كل ما نبت منها؟

بالتأكيد لا.

في عالم الوجود الحي ستنتهي كل الأشجار الموجودة على قيد الحياة، وحسب أعمارها الممكنة لبقائها، وستنمو أشجار أخرى منكمشة في نواها، ولهذا لا امتداد إلاّ من انكماش؛ فالانكماش هو أساس كمون القوة الممتدة؛ فقوة النهار لا يمكن أن تمتد إلاّ إذا انكمش الليل، وقوة الليل هي الأخرى لا تمتد إلاّ إذا انكمش النهار. أما اندفاع قوة الليل، وقوة انبساط اليد لا يمكن أن تتم إلاّ إذا انتهت قوة انكماشهما، ونتيجة الانكماش، والامتداد، تسير الكواكب في أفلاكها، وهكذا امتد الكون لحظة الانفجار العظيم، وهي نقطة البداية، وسيعود الكون إلى الانكماش عند نقطة النهاية، مصداقاً لقولة تعالي: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[5] أي يوم أن تنكمش السماء، يكون الله قد أعادها إلى حالتها التي كانت عليها (إلى سيرتها الأولى).

---

[5] الأنبياء 104.

وكما أن الامتداد لا يقتصر على المادة المشاهدة، أو الملاحظة، كذلك الانكماش لا يقتصر على ذلك، لأن كل ممتد لا بد وأن ينكمش سواء أكان مادياً أم فكرياً؛ فالأفكار في أساسها منكمشة في العقول والصدور، ثم تمتد من خلال الاتصال، بالتبشير، والتحريض، والتنظير، ووهي بالجدل تترسَّخ، أو تصحَّح، وتكون في حالة شك إلى أن تثبت، أو تنفى، وقد تمتد أفكار وتُنشر بقوة حُجَّتها، ثم تعود إلى الانكماش عندما تضعف حُجّتها، وكل من الانكماش والامتداد يتضمن قوة؛ ففي مرجحة القدم أثناء دفع الكرة تنكمش بقوة في حركة إلى الخلف، لتمتد بقوة إلى الأمام لدفع الكرة ودفعها إلى الهدف، وإذا انكمشت القدم بقوة إلى أعلى وإلى الأمام يتم دفع الكرة بقوة إلى الخلف، وهكذا في حالة الجانبين، لأن القوة هي التي تظهر في حالتي الامتداد والانكماش، وهي التي لا تقاس إلاّ بعد الظهور من الكمون إلى الحركة.

في الفرحة والبهجة قوة تمتد إلى أن تمتلئ الصدور بها، وتنكمش الأحزان أمامها، وإذا انكمشت الفرحة والبهجة امتدت الأحزان والاضطرابات؛ ففي حالة العلاج ينبغي أن يهتم الباحث بامتداد حركة الإيجابيات، وانطواء حركة السلبيات، وقوة الإرادة تساعد على ذلك وتحقق النجاح.

وبما أننا نتكلم عن الامتداد والاتصال الاجتماعي علمياًّ، فما هو الامتداد الاجتماعي؟

هل هو المتكوّن من المفرد والمثنى والجمع والمكان والزمان؟ أم أنه الأكثر من ذلك؟ فلو كان المتكوِّن من امتداد الأفراد المتزايدين عددا، كان المجتمع في هذه الحالة كمًّا، وإذا كانت الجموع من كل شيء تكوِّن كمًّا، فهل المجتمع هو الآخر مجرد كمّا؟ وهل الكمّ المجتمعي يبيِّن صورة للمجتمع الذي نحن أفرادا منه، أم يبين صوراً للبشر المتجمعين؟

في اعتقادنا لا تكتمل صورة المجتمع الذهنية إلاّ إذا تم اللقاء بين عناصره، وأن يكون بينها تفاعل، وأن يكون لها امتداد (امتداد ثقافي وحضاري).

إذاً المجتمع هو: التقاء وتفاعل امتداد مجموع الأفراد والجماعات المتفاهمين على أهمية المكان والزمان والموضوع لكل واحد منهم (إنه مجتمع الأمة الواحدة). أما المجتمعات الأخرى فهي عبارة عن حشود مؤقتة تلتقي على مصلحة وتتفرق على

مصلحة، ولذا فإن امتداد الأفراد بأعداد هائلة بدون تفاعل الأهداف الخاصة والعامة عبارة عن حشود (كمية) لا تعطي معني للمجتمع، ولذا فإن المجتمع كمًّا وكيفا، (كمّ من البشر، وكيف من الفضائل والقيم).

ولهذا المجتمع كمفهوم يُصوّر ذهنياً ولا يُرسم، لأنه لم يكن مثلثاً ولا مربعاً ولا أي شكل من الأشكال الهندسية، وهكذا حال التطوُّر كحال المجتمع لا يُرسم مع أن دلالته تُرسم بيانياً بالمنحنيات والمضلعات والأشكال البيانية والهندسية الأخرى. ويتضح التطوُّر بمقارنة أثر المتغيرات على الموضوع عبر الزمان سواء أكان الموضوع قابلاً للمشاهدة أم قابلا للملاحظة.

وعلى الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي مراعاة الآتي:

1 . التركيز الصحيح على الكلمات والأفكار.

2 . أن يركز على الكلمات والتعبيرات المهمة.

3 . أن يستخدم أساليب تليق بالآخرين بمختلف مستوياتهم القيمية.

4 . أن يُعرِّف المبحوثين على ما يجب بمرونة.

5 . أن يتحدث عن أهمية كل فعل موجب يَقدم الأفراد على فعله.

6 . أن يربط بين أهمية المساعدة الهادفة والإصلاح.

7 . أن يُحفِّز الأفراد بالكلمة القوة ويوجههم لِما هو مفيد.

الكلمة الحركة تترك أثراً ولا تُرسم:

وبما أن الكلمة التي تُرسم هي التي لها صورة وشكل.

والكلمة التي لها حركة تترك أثراً قابلاً للتقصي.

إذاً الكلمة الحركة دليل إثبات قابل للمطابقة.

ولذا فإن القاعدة هي:

1 . الكلمة الحركة تترك أثرا.

2 . الأثر لا يرتسم.

3 . الأثر قابل للتقصي.

والاستثناء هو:

1 . الكلمة الحركة لا تترك أثرا.

2 . الأثر يرتسم.

3 . انعدام الأثر القابل للتقصي.

ولأجل إظهار الدليل أو إثباته تكمن الحركة في الكلمة ومن يتمكَّن من إثبات الدليل وإظهاره يتمكَّن من ملاحظة الحركة في الكلمة، ولهذا في الكلمات الآتية تكمن حركة وتُلاحظ:

. هجرة.

. تقدم.

. انسحاب.

. وثب.

. هجوم.

. قفز.

. جلوس.

. قيام. ...الخ.

ولهذا لا يمكن لأحدٍ أن يرسم هجرة أو تقدم أو انسحاب أو قفز، ولكنه يستطيع أن يرسم المهاجرين والمتقدمين أو المنسحبين أو الذين هم على حالة من الوثب.

وعليه الكلمة الموضوعية تستوجب التحديد وإلا علق بها اللبس والغموض، وقد تُزوّر الحقائق إذا لم تُقدَّم الكلمة كما هي بوضوح.

ولهذا فكلمة هجرة في حاجة للتوضيح فهي غير محددة موضوعيا مما يجعل الشكوك والظنون تلاحقها حتى يتم التبيُّن والتوضيح بدلائل وإثباتات علمية. فهل يا ترى هي دالة على هجرة الطيور، أم الهجرة الخارجية، أم هجرة الأسماك من المياه الباردة إلى المياه الدافئة؟ أم أنها هجرة داخلية من الأرياف والقرى والضواحي إلى المدن؟. أم أنها هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة؟. أم هجرة ماذا؟

وكذلك أي قفز؟ أو أي تقدم؟ أو أي انسحاب تعنى؟

ولذا فالكلمة الحركة تقع في دائرة الممكن بين متوقع (سالب وموجب) وغير متوقع (سالب وموجب) ولهذا كل شيء نسبي؛ فتقدم الجيوش الغازية يعد موجباً للدول

الغازية، ويعد سالباً للبلدان والدول المغزية (المعتدى عليها) ما يجعل المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن، حيث يكون من المتوقع انتصار الجيوش الغازية في أقصر وقت وبأقل خسارة، وقد تحدث لهم الخسارة والهزيمة غير المتوقعة إذا أنتصر الجيش المغزو عليه مما يجعل الجيش الغازي في حاجة لإعادة حساباته التي سبق وأن وضع على ضوئها خطته في دائرة المتوقع فقط.

الكلمة الحُجَّة تَرتَسم:

ولأن الكلمة التي تَرتسم لا تُرسم.

ولأن الكلمة التي تَرتَسِم تترك أثراً في دائرة الممكن، لذا فإن كانت الكلمة المرتسمة نتاج فعل سالب، كالموت تترك أثراً يدل على الحزن وإن كانت نتاج فعل موجب كالفرحة تترك أثراً موجباً كالانبساط والابتسامة.

ولهذا فالابتسامة تَرتَسِم على الوجه وتترك بسطة عليه وعلى النفس بهجة وسعادةً.

لذا فالبهجة والسعادة من الكلمات التي تَرتَسِم ولا تُرسم مع أنها تترك أثراً موجبا.

ولذا فإن القاعدة هي:

1 . الكلمة تَرتَسِم.

2 . الارتِسام حُجّة.

3 . الارتِسَام يُشاهد.

4 . الفرحة تُلاحظ.

والاستثناء هو:

1 . انعدام الكلمة المرتسمة.

2 . انعدام الارتسام الحُجّة.

3 . الارتسام لا يُشاهد.

4 . الفرحة لا تُلاحظ.

الارتِسام يخضع للمشاهدة، ولهذا فالابتسامة تشاهد، والفرحة تُلاحظ.

وهكذا تَرتسم الكلمة المُحزِنة على الوجه فتترك أثراً في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) وبنسب تتفاوت من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة ومن مجتمع لمجتمع.

فالموت على سبيل المثال مع ما يتركه من أثر مُحزن على الغالبية البشرية إلا أنه يعد لدى البعض المنقذ من الآلام والمآسي والكروب، وهذا لا يعنى أنه لا يترك أثراً محزناً.

ولأن كل شيء نسبى، فالموت لا يترك أثراً مُحزناً على المُتوفى، وفي معظم الأحيان يترك أثرا من الحزن وبنسب متفاوتة على ذوي العلاقة به.

أما الاستشهاد الذي فيه تتم مفارقة التعامل مع الآخر فيتم عن فرحة، وفي كثير من الأحيان يترك الاستشهاد أثراً موجباً على ذوي العلاقة وفقاً لقاعدة النسبية في دائرة الممكن.

الكلمة الحُجَّة ذات معنى ودلالة:

بما أن الكلمة الحجة ذات معنى ودلالة.

إذاً القاعدة هي:

1 . الكلمة الحُجّة ذات معنى.

2 . الكلمة الحُجّة ذات دلالة.

والاستثناء هو:

1 . الكلمة الحجّة بلا معنى.

2 . الكلمة الحُجّة بلا دلالة.

وبما أن للكلمة معنى ودلالة.

إذن للكلمة مضمون.

ولهذا فالكلمة المضمون قاعدة.

والكلمة بدون مضمون استثناء.

وعليه تقع الكلمة المعنى في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

فكلمة الدور، والموقف والمبدأ، والهدف، والغرض والغاية، كلمات ذات معاني ودلائل ولكنها لا تُرسم، ولا تَرتَسِم، وغير ذات حركة مباشرة، ولهذا فهي في حاجة لمن يُعرِّفَ بها، مما يجعل البحَّاث يحددون لها تعريفات إجرائية يتم العمل بها في سلوك وفعل وحركة، وحينما يصبح للكلمة معنى ودلالة وأثر وحينها يستوجب التقصي العلمي والتتبع الموضوعي لكشف الأثر أو التعرُّف عليه.

والكلمة المنطوقة تُقرأ وتُكتب، وتأخذ احتمالين:

. إما أن تكون صادقة.

. وإما أن تكون كاذبة.

1 . الكلمة الصادقة تحتوي على مضمون إثبات التطبيق عبر الزمن، حيث تطبيقها في الزمن الحاضر نتيجة سلامة تطبيقها في الماضي، وإثبات تطبيقها في الآن دليل للرابطة القيمية معها ومع الأثر الموجب الذي تتركه باستمرارية التجديد، ما جعلها في حالة امتداد وتطلّع للمستقبل في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

2 . الكلمة الكاذبة: هي التي تفتقد إلى المصادق، لاحتوائها على مضمون الإثبات السالب وذلك لانعدام العلاقة بينها وبين الموضوع، ومع ذلك فلولا الكذب ما عشقنا الصدق وتمسكنا به.

وبما أن الكلمة الكاذبة مكشوفة المضمون وقد تكون غير مكشوفة المضمون لمن قيلت له وقد يصدق قائلها إذا لم يسبق وأن عُرِفَ بهذه الصفة وتستمر كاذبة إلى أن يكشف أمرها.

وبرغم ذلك كله فالكلمة دائما حرة ولا يمكن أن تُسجن مع أنها تؤدي بصاحبها أو قائلها في بعض الأحيان إلى السجن. ومع ذلك قد يتساءل البعض:

هل الكلمة هي التي تجعل الإنسان كاذباً، أم أنّ الإنسان هو الذي يجعل من الكلمة كاذبة؟

نقول: في اعتقادنا لم تكن الكلمة هي الفاعلة، بل الإنسان هو الفاعل الذي يجعل من الكلمة كاذبة. ولذلك الكلمة دائماً صادقة، أمَّا صاحبها (مصدرها) فقد لا يكون كذلك، والكلمة دائماً حرة، أمَّا صاحبها فلا، فعندما تُقال الكلمة، أو تُكتب، أو حتى تكون في الصدور، تكون معروفة، ولذلك قد يسجن صاحبها، أو تُمزَّق الكتب والصحف التي كُتبت عليها، وهي باقية لم ولن تُمزَّق حتى وإن قُتل مصدرها، وهي كذلك لن تُدخل السجن حيث لا يوجد من يستطيع إدخالها اليه، إنها الحرة التي ينبغي أن تُحترم، لأننا بها كنَّا، وبها نتكلم ونتعلم ونتطوَّر، وبها آمنَّا، وبها نُحب ونكره، ونحكم ونملك ونقاتل. فينبغي أن تُحترم في أي وقت وأي مكان إلى النهاية.

الكلمة الحُجَّة مرونة:

بما أن الكلمة مرونة إذن في أساسها قابلة للامتداد والحركة والأخذ والعطاء والنقد والبناء والهدم.

وبما أن الكلمة الحُجَّة مرونة.

إذاً ليست بجامدة.

ولهذا فالقاعدة هي:

. الكلمة الحُجَّة مرونة.

والاستثناء هو:

. الكلمة الحُجَّة بلا مرونة.

ولذا فالمرونة قبول بالآتي:

. بالآخر.

. بالتغيّر.

. بالتغيير.

. بالاستيعاب.

. بالاعتراف.

. بالتقدير.

. بالتفهّم.

ولهذا؛ فبالمرونة يتم القبول والتغيير والاستيعاب والاعتراف والتقدير والتفهَّم والشفافية والتوافق والمساواة والعدل والاحترام.

و بما أن كل شيء ممكنا.

إذاً: ينبغي أن يكون الباحث أو الأخصائي الاجتماعي على درجة عالية من المرونة وإلا سيقع في المحضور المهني الذي يستوجب منه تقبل المبحوثين كما هم والعمل على نقلهم لِما يجب، ولذا فإن الكلمة المرنة تُمكِّن من الآتي:

. استيعاب الأفراد أو العملاء والزبائن.

. تفهَّم ظروفهم وأحوالهم.

. تقدير المواقف والظروف الخاصة أو الطارئة لكل منهم.

. إظهار الاستجابة المناسبة وذلك بما يغرس الثقة في الأنفُس.

وبما أن كل شيء ممكنا، إذن ما المانع من أن يكون الباحث أو الأخصائي الاجتماعي على درجة عالية من المرونة؟، ولآن المرونة تُمكِّن من استيعاب الأفراد المبحوثين والعملاء والزبائن وتُمكّن من تفهُّم ظروفهم وأحوالهم.

إذاً فالقاعدة هي:

1 . الاستيعاب بمرونة.

2 . التفهُّم بمرونة.

3 . التغيير بمرونة.

والاستثناء هو:

1 . الاستيعاب بدون مرونة.

2 . التفهُّم بدون مرونة.

3 . التغيير بدون مرونة.

ولذا فإن الكلمة الحُجَّة هي:

. مرونة.

. تُحدث النقلة.

. تُسهم في صناعة المستقبل.

. تقع في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولأنها تقع في دائرة الممكن فلا ينبغي أن يستغرب الباحث أو الأخصائي الاجتماعي إن حدث التغيُّر أو التغيير، بل عليه أن يستغرب إذا لم يحدث التغيُّر أو التغيير.

وعليه إذا حدث الاستغراب عليك بالآتي:

. تساءل عن مبررات حدوثه أو ظهوره.

. ضع الفرضيات وفقاً لدائرة الممكن.

. جمِّع المعلومات المتعلقة بموضوع الاستغراب.

. حلِّل المعلومات موضوعياً.

. شخَّص الحالة قيد البحث والدراسة.

. قف عند النتائج بكل وضوح.

. قوِّم ما بذلته من جهود من خلال تتبع واعي لكل خطوة خطوتها وأنت باحث.

وبناء على ما سبق:

تقع الكلمة المرنة في دائرة الممكن (المتوقع، وغير المتوقع) ولهذا الكلمة المرنة في دائرة المتوقع هي ثابتة وفي دائرة غير المتوقع ليست كذلك.

فهي ثابتة من حيث: أنها حُجّة لها معايير ومقاييس موضوعية، ومرنة حيث أنها قابلة للحركة من الكل إلى الجزء إلى المتجزئ.

فعلى سبيل المثال: الحِجارة الصغيرة لها شكل أو صورة من خلال ما تكون عليه من هيئة، وإذا تمّ سحق الحِجارة الصغيرة ونُفخت من الطابق المائة، فإنها ستتطاير مع الهواء حتى تفقد شكلها والصورة التي كانت عليها، وهذا لا يعنى أن الحِجارةُ التي تم سحقها بكل عناية ودقة فقدت وجودها بل تطايرت فاتسعت دائرة انتشارها جغرافيا وقد لا تخضع للمشاهد بالعين المجردة. وهكذا كلمة الوقود (البنزين) ذات مدلول يشاهد وبها يتم امتلاء خزان الوقود سواء للطائرة أم للسيارة أم البواخر وكل ما يتحرك بالوقود، وبعد قطع مسافات ينفذ وينتهي الوقود (البنزين) من الخزان من خلال عمليات الاحتراق التي غيَّرت الشكل أو الهيئة التي كان عليها الوقود.

فأين البنزين؟

إنه قد نفذ.

إلى أين نفذ؟

داخل عالم الوجود.

إذا الوقود الذي نفذ لم ينفذ من عالم الوجود. بل أن الذي حدث أنه قد احترق فتغيرت عناصره إلى عناصر أخرى متطايرة في عالم الوجود، فلم يعد على شكله السابق حيت احتراقه وفقدان عناصره الرئيسة وتبدُّله إلى شيء آخر قد يصفه العض بأنه على حالة هيولية لا صورة ثابتة لها.

الكلمة الحُجَّة مفعولة:

الكلمة المفعولة تحتوي معطيات تنفيذها فيها.

ولذا فهي تختلف عن الكلمة التي تسبق أداء الفعل أو القيام به.

ولهذا فالكلمة المفعولة تستثني الفعل الماضي والمستقبل وتتمركز على الفعل الآن (الحاضر).

إنها الكلمة المثبتة عن واقع، ولذا فالفعل في زمن وقوعه أقوى وأصدق من الكلمة التي تسبق حدوثه.

والقاعدة هي:

1 . الكلمة تحتوي فعل ممارستها.

2 . الفعل يحمل الكلمة التي تدل عليه.

3 . الفعل يسبق الكلمة في الظروف المفاجئة.

والاستثناء هو:

1 . الكلمة لا تحمل فعل ممارستها.

2 . الفعل لا يحمل الكلمة التي تدل عليه.

3 . الفعل لا يسبق الكلمة في الظروف المفاجئة.

ولهذا عندما يسبق الفعل القول، تصبح الكلمة مفعولة، كالزلزلة التي يتفاجئ بها الناس وتُحدث دمارا، فهي الفعل بدون سابق معرفة أو إنذار، وفي هذه الحالة الفعل يسبق القول، مصداقا لقوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}[6]. من هذه السورة الكريمة عرفنا أن الزلزلة فعل حدث أولا، ثم جاء الناس من بعد ذلك يتساءلون: ما الأمر؟! ماذا حدث؟! (مالها). بعدها يقال لهم إنها هزة أرضية شديدة. وهكذا في حالة الصواعق التي تصيب البشر أو المباني أو الأشجار، فهي تحدث أولاً (وقوع الفعل أو حدوثه)، ويأتي الناس من بعدها يتساءلون بعد أن وجودوا الأثر أو وقفوا عليه، وحينها سيقال لهم السر الذي كان وراء ما حدث.

وعليه:

. حدد أولويات الحديث لتتمكن من تحقيق الأهداف.

. تكلم بوضوح لتتمكن من استبصار الغايات.

. اجعل لكلماتك معنى ودلالة لتجد من ينصت لما تقول.

. تأكد من أن أفكارك تنساب بمرونة ومع وافر الحُجَّة.

---

[6] الزلزلة 1 . 6.

. اجعل أفكارك عند قولها منطقية ومتتابعة.

. كن مرنا حتى تترك أثرا في الآخر.

. أجعل أفكارك وكلماتك تطلُّعية لتُسهِم في صناعة المستقبل.

الكلمة الحُجّة توليد وإثراء:

وهذا يعنى أن للمنطق واللغة دورا في توليد الكلمة الحُجّة وإثرائها.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . توليد الكلمة الحُجّة.

2 . إثراء الكلمة الحُجّة.

3 . الكلمة منطق.

والاستثناء هو:

1 . انعدام توليد الكلمة الحُجّة.

2 . انعدام إثراء الكلمة الحُجّة.

3 . الكلمة بلا منطق.

الكلمة الطيبة تُولِّد كلمة طيبة، والكلمة الخبيثة تُولِّد كلمة خبيثة، والكلمة الصادقة تؤدي إلى الفعل الصادق، والكلمة الكاذبة تؤدي إلى الفعل الباطل. وهكذا الحُجّة تقابلها الحُجّة لتؤيدها أو تبطلها، فبالكلمة تُجمّع المعلومات وبها تُحلل وتُشخَّص الحالات ويوصف العلاج، وبها يتم التقييم والتقويم، وبها تتم المطالبة وتُقدّم المساعدة ويتم الإصلاح، وبها تزداد المعارف وتتطوّر العلوم.

الكلمة المَعرِفة:

يعتمد المنطق التحليلي على تحديد المفاهيم، سواءً أكانت ذات دلالة كمية أو كيفية، من أجل تقديم معلومات ومعارف خالية من الغموض واللبس، لأن تحديد المفاهيم يساعد على عملية المعرفة التي يستدعيها العقل كتذكّر، أو تفكّر، بقدرات متفاوتة نتيجة الفروق الفردية بين الأفراد، وعند استدعاء المعلومات أو التفكير فيها، قد ينسى الإنسان جزءاً هامًّا منها، ولم يتم استدعاء كل المعارف جملة واحدة، بل حسب الموضوع المثار للبحث والنقاش.

وقبل الخوض في هذا الموضوع أتساءل:

هل كل ما أتذكره يعد معرفة ويؤدي إلى التطوُّر؟

هل كل ما أشاهده يعد معرفة ويؤدي إلى التطوُّر؟

هل كل المعارف تعبر عن حقائق؟

يتربّى الإنسان بالمعارف، ويتعلم بالمعارف، حسب معارفنا يتعلم الإنسان ويعرف، ولكنه قد يسلك سلوكاً لا يعبِّر عن معرفة حُجّة، وبالتالي هل في هذه الحالة قد عرف؟ بما أنه قام بسلوك يخالف ما سبق له أن عرف، فسلوكه الجديد يعبر عن معارف جديدة، وإن الإجابة على السؤال السابق تكون نعم إنه قد عرف، وبما أنه عرف أشياء جديدة تخالف القديمة، فهل بالضرورة أن ما يسلكه بالمعارف الجديدة يكون صواباً؟.

إن الذي يحدد الإجابة الصائبة من الخاطئة هو الموضوع، والقياس، فإذا كان الموضوع هو طاعة الوالدين والسلوك الذي تم معهما هو معصيتهما فيما أمر الله، فالمعرفة السابقة تستوجب طاعة الوالدين في غير معصية الله، والسلوك الذي حدث لم يعبر عن هذه المعرفة، بل عبَّر عن معرفة أخرى لا أدري أنها عصرية أم أنها من عصر الجاهلية، المهم هنا هو القياس، وقياسنا هو الدين الذي ينصُّ على طاعة الوالدين في غير معصية الله العزيز، ولكن لو كان المجتمع غير مسلم فقد يكون قياسه شيئاً آخر، وليكن العرف، وفي هذه الحالة قد تكون الإجابة تختلف عن الإجابة السابقة، وبالتالي ليس بالضرورة أن ما يسلكه الإنسان بالمعارف الجديدة يكون صواباً مطلقاً، فقد يكون وقد لا يكون، وأن الذي يحدده هو الموضوع، والقياس.

وبما أننا ربطنا المعرفة بالبحث والتعلم والقدرة على الاستدعاء، إذاً فبالضرورة ترتبط المعارف بالتذكّر، وتكون الإجابة على السؤال السابق، بنعم، إن كل ما أتذكره يعد معرفة. لأن الإنسان بطبعه يتذكر ما يعرف، ويفكر في أخرى، وتكون النتيجة بما أني أفكر إذاً أنا أعرف. وهذه خاصية الوجود الإنساني التي تُمكِّنه من التطوُّر، ولكن الاقتصار على التذكر فقط لا يؤدي إلى التطوُّر، لأنه استرجاع لما سبق مما يجعله تحصيل حاصل، ولأن التفكير من خاصية الإنسان فهو الذي به يتطلّع إلى المستقبل، ولكن العقل المتكامل الذي يحتوي على ملكتي التذكُّر والتفكُّر يربط بين

الاسترجاع والتطلُّع، وفي هذه الحالة يكون الماضي القاعدة الأساسية للتطوّر، ويكون التطلع إلى المستقبل هو المجال الفسيح له (التطور)، وتتكامل المعرفة وتتسع بالتطلُّع إلى المنافع العلمية التي تُثري العقل الإنساني وتغيِّره إلى الأحسن عندما يتخلّص من أنانية التملّك.

ومن خلال محاولاتنا الإجابة على السؤال الثاني: هل كل ما أشاهده يعد معرفة ويؤدي إلى التطور؟. نلاحظ أن الإجابة عليه، تستوجب منا جدلاً فلسفيًّا، من أجل برهنة عملية، فإذا تعرَّف الإنسان على صفات، وخصائص المشاهد، كان المشاهد معرفة علمية، وإذا لم يتعرف على ذلك تكون معرفة عامة.

لقد شاهدنا الجبال وعرفنا صفاتها، وخصائصها، وشاهدنا السيارة والطائرة، وركبناهما، فعرفنا محاسنهما، ومخاطرهما، ونظرنا إلى الإبل كيف خُلِقت، وركبناها وعرفنا نعمها. ولكننا شاهدنا على الجبل الغربي بليبيا، وعلى جزئية منه، أنَّ الأشياء تسير في الاتجاه المعاكس لانحدارها. فإذا وضعت سيارتك على المنحدر الذي أعنيه فإنها ستسير في اتجاه الصعود (إلى أعلى) بدلاً من الانحدار إلى أسفل. وكانت المشاهدة الأولى لسائق أوقف سيارته على جانب من الطريق المنحدر، ونزل منها، ووضح حجارة أمام العجلات حتى لا تنحدر السيارة إلى أسفل، وعندما انتبه شاهد السيارة وهي مطفأة تتحرَّك إلى أعلى، بعكس وضعه للحجارة، إنها تسير إلى الخلف، إلى الصعود بدلاً من النزول. وبعدها أصبحت مشاهدات، وخرج إلى المكان بعض من المتخصصين، وجربوا أجساماً أخرى، فوجدوها تصعد إلى أعلى بدلاً من أن تنحدر إلى أسفل، ولم يتم التفسير العلمي للظاهرة بعد. إذاً المشاهدة حدثت، ولكن المعرفة العلمية التي تكوَّن إجابتها تحتاج إلى تحديد قانون قد يخالف قانون الجاذبية الذي سبق لنا معرفته بأن الأجسام عندما تُوضع طبيعياً تسقط وتنحدر من أعلى إلى أسفل، وإذا ادعى البعض بأنه عرف، فأقول له ماذا عرفت؟ وهل ما عرفته يتمشى مع ما سبق وأن عرفته، بأن الجسم وفق صفاته وخصائصه عندما يوضع في وضعه الطبيعي يندفع من أعلى إلى أسفل؟ إذا كانت الإجابة بنعم، إذاً لا يمكن للأشياء أن تصعد من أسفل إلى أعلى بدون قوة دافعة لها، وهذه معرفة سابقة. وإذا كانت الإجابة بلا، فما هي الخصائص، والصفات الجديدة التي تُبرهن على

بطلان الحُجَّة السابقة على الأقل في المكان الذي تحدثنا عنه؟ وما هو الاستثناء للقاعدة بما تم معرفته؟ وبما أننا لم نحدد البديل ونحضره، فإننا لم نعرف شيئاً علميًّا جديداً بعد، مع أننا أضفنا إلى المعرفة العامة شيئاً جديداً.

إذاً المعرفة العلمية هي الحُجّة المصنَّفة التي تمكننا من معرفة الصفات والخصائص والقوانين التي تضع للمعرفة العلمية قاعدة يمكن الاحتكام بها أو الاحتكام إليها، وتؤدي إلى التطوُّر، وتسمى المعرفة الواعية، وعليه يعد ما نشاهده معرفة ولكنه قد لا يؤدي إلى الجديد.

ولأن الكلمة هي البداية لكل حديث والمستمرة فيه حتى النهاية، لذا فهي تحتاج لمنطق ولغة وحجة وإلا ستضل حديث في ذاته لا يفيد لرسم السياسات ولإنجاز الأهداف وبلوغ الغايات.

وفي هذا الأمر يرى دانيال ويبستر في قوله: "إذا سُلبت مني جميع مواهبي وقويا وكان لي الخيار في اختيار واحدة فقط من تلك القوي فسأختار بلا تردد قوة الحديث لأني من خلالها أستطيع أن أتكلم واستدرك كل ما ينقصني في علاقات العمل".

بناء على ذلك لا ينبغي أن يغفل الباحث أو الأخصائي الاجتماعي عن قوة الكلمة وما لها من أثر على نفوس الأفراد، فالنفس البشرية تقوى وتضعف بالكلمة وتتأرجح بين الخيال الممكن وغير الممكن تارة وبين المتوقع وغير المتوقع تارة أخرى، وعندما تضعف تضطرب، وعندما تقوى تطمئن.

وعليه:

. أبحث عن الكلمة القوية.

. استخدم الكلمة الحُجَّة.

. استخدم الكلمة المنطق.

. استخدم الكلمة المرنة.

. كن ماهراً في تقديم النصح.

. أعمل على ترك أثراً موجباً في نفس العميل.

. أجعل في أسلوبك التشويق.

. أجعل الذوق رفعة في مشاركاتك الآخرين.

. أنصت عن وعي واهتمام.

. حدد هدفك واجعله على الوضوح.

. كن متسلسلا في عرض أفكارك.

. حافظ على اتزانك أمام غير المتوقع من الحديث.

. اجعل ردود أفعالك استيعابية.

الاستماع للعملاء يؤدي إلى التواصل الفعَّال:

بما أنّ الاستماع إلى ما يقوله الأفراد يؤدي إلى التواصل الفعّال، ويؤثر إيجابيا في الآخرين.

إذن القاعدة هي:

1 . الاستماع إلى ما يقوله الأفراد.

2 . الاستماع يؤدي إلى التواصل.

3 . الاستماع يؤدي إلى التفاعل.

والاستثناء هو:

1 . عدم الاستماع إلى ما يقوله الأفراد.

2 . الاستماع لا يؤدي إلى التواصل.

3 . الاستماع لا يؤدي إلى التفاعل.

لذلك: فإن الاستماع بإنصات، يُعد استجابة وفعل بنّاء. أما الاستماع بدونه، يخلو من الاستجابة البنّاءة.

وعليه:

- تعلَّم كيف تكون منصتاً جيداً.
- أعرف متى يجب أن تتكلم.
- تعرَّف على المعطيات التي تسمح للعميل بأن يتكلم.
- أنصت عن وعي ووجّه الاهتمام لِمَا يدلي به المبحوث أو العميل عن إرادة.
- لا تقاطع المبحوث أو العميل عند انسيابه في الحديث الذي يتعلق مباشرة بحالته.
- ادفع المبحوث أو العميل وحفزه على الحديث الحر.

– كُن متابعا لكل ما يُقال من قبل الأفراد وتأكد بأنهم يستجيبون لِما تود بلوغه من أجل دراسة حالاتهم بموضوعية.

الاستماع بإنصات فضيلة:

بما أن الاستماع بإنصات موجب.

إذاً الاستماع بدون إنصات سالب.

ولكي نميّز بين الاستماع الموجب، والاستماع السالب، ينبغي أن نتعرَّف على معطيات ونتائج كل منهما.

* معطيات الاستماع الموجب:

1- الاستماع لكل ما يقوله المبحوث أو العميل إلى النهاية.

2- الاستماع لأجل التعرف على المبررات التي دفعت بالمبحوث أو العميل لحدوث الموقف الإشكالي.

3- تفهُّم الموقف الذي عليه المبحوث.

4- قدِّر ظروف كل مبحوث أو عميل واحتياجاته الخاصة.

5- الاعتراف بحق المبحوث في التعبير عن رأيه ومشاركته في عمليات الدراسة.

6- التحسس مع المبحوث أو العميل لموقفه الإشكالي حتى يشعر بأنك قريب منه.

7- التمييز بين الحق والباطل في كل ما يقوله المبحوث أو العميل دون تشنج ولا إكراه.

8- اختيار الطريقة الأنسب في الاستماع، بما يتناسب مع الموقف والمؤسسة وحالة كل فرد وظروفه الخاصة.

9- تقبل المبحوث أو العميل كما هو لا كما ينبغي أن يكون عليه.

* نتائج الاستماع الموجب:

1- تحقيق التفاعل الاجتماعي مع المبحوثين أو العملاء.

2- عدم إهدار طاقات المبحوثين أو العملاء.

3- الوقوف على أبعاد المشكلة.

3- استثمار الزمن في عمليتي المساعدة والإصلاح.

4- التمكُّن من تنمية قدرات المبحوثين أو العملاء.

5- تحقيق العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بين النزلاء بالمؤسسة الاجتماعية في كل ممارسة للمناشط أو في تقديم الخدمات.

6- استيعاب المبحوثين أو العملاء كما هم عليه.

7 . التطلع بالأفراد إلى مستقبل أفضل.

* معطيات الاستماع السالب:

1- أن تكون متلقياً للكلمة فقط.

2- أن لا تكون مشاركاً للمبحوثين أو للعملاء في أحاسيسهم ومشاعرهم التي يفيضون بها إراديا.

3- أن تكون غير متفاعلاً معهم فيما يقولون.

4- أن تقاطع المبحوث أو العميل أثناء استرساله في الحديث عن الحالة التي تحت الدراسة.

5- أن لا تكون متفهما لظروفه واحتياجاته التي يحس بها.

6- أن تكون غير مقدّرٍ لظروف المبحوث أو العميل وإمكانياته.

7- أن لا تتقبل الواقع الذي عليه حالة المبحوث أو العميل.

* نتائج الاستماع السالب:

1- ازدياد الهوة بين الباحث أو الأخصائي الاجتماعي وبين العملاء.

2- هدر طاقات الأفراد والجماعات وإمكاناتهم.

3- لا تتحقق العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بين الأفراد وأعضاء الجماعة.

4- الانقياد إلى الأحكام المسبقة، والآراء غير الصائبة.

5- الزيادة في حجم الأخطاء التحليلية والتشخيصية والعلاجية.

6- عدم التمكُّن من التركيز على رأي كل فرد أو عميل من أفراد الجماعة أو العملاء النزلاء بالمؤسسة.

7- الانقياد ورأي الاستبداد بالرأي.

8- عدم التمكن من التطلع لمستقبل أفضل.

9 . التفسير غير الموضوعي أو الخلط بين التفسير والتحليل الموضوعي.

الكلمة المحّركة للإنصات الفعّال:

تعرفنا على قاعدتي الاستماع بإنصات، والاستماع بدونه.

ونتعرف الآن على الكلمة التي تؤثر على القاعدتين السابقتين.

أولاً: الكلمة الأنا.

ثانياً: الكلمة السواء.

ثالثاً: الكلمة الحُجَّة.

الكلمة أنا فقط:

الكلمة الأنا هي التي إذا سادت بين طرفي أي علاقة، يكون لسان حال كل طرفٍ هو: أنا فقط.

أنا الأخصائي الاجتماعي دون غيري.

أنا الفرد دون غيري.

أنا الجماعة دون غيري.

أنا الدولة دون غيري.

أنا الحزب دون غيري.

أنا الحاكم دون غيري.

هذه الكلمة المتقاطعة يستهدفها المنهج بالإصلاح؛ حيث أنها لا تتفق مع الفضائل والقيم الحميدة التي يرتضيها الناس، ولذا تُرفض الكلمة أنا فقط للأسباب الآتية:

1- لأنها تتضمن الهيمنة والسيطرة والاستعلاء.

2- تحتوي أملاءات فوقية.

3. إصدار قرارات من طرف على حساب طرف آخر.

4 - تخلق التهميش والتقوقع والانسحاب.

5 - لا تؤدي إلى تبادل الآراء والعلوم والمعارف والخبرات.

6 - لا تحدث النقلة للمستقبل.

7. تقفل باب المشاركة.

8. لا تؤدي إلى التفاهم.

9. لا تؤدي إلى التفهُّم.

10. لا تؤدي إلى التفاعل البناء بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية.

* أما الاستثناءات التي يقبل فيها المنهج بكلمة الأنا، هي:

1- عندما تتضمن الكلمة الأنا، العزة والأنفة والكبرياء.

2- عندما تكون الكلمة الأنا، إثباتا للذات.

3- عندما تكون الكلمة الأنا، في حدود ممارسة الحقوق.

4- عندما تكون الكلمة الأنا، في حدود أداء الواجبات.

5- عندما تكون الكلمة الأنا، في حدود حمْل المسؤوليات.

6 . عندما تحقق الاعتبار بإرادة.

بناء على ذلك:

يكون الفرد قوة بقوة الكلمة (الأنا الموجبة)، التي تجعل لسان حال كل فرد هو:

- أنا قوة.
- أنا قُدرة.
- أنا أستطيع.
- أنا تملؤني الثقة.
- أنا قدرات وإمكانات متعددة.
- أنا طاقات هائلة.

ويكون الفرد ضعفٍ بضعف الكلمة الأنا السالبة، التي تجعل لسان حال كل فرد هو:

- أنا ضعيف.
- أنا غير قادر.
- أنا لا أستطيع.
- أنا فاقد الثقة بنفسي.
- أنا لا أساوي شيء.
- أنا لا أستحق النجاح.
- أنا وحيد وليس لي أسرة وأصدقاء.

الكلمة السواء:

الكلمة السواء هي الكلمة الجامعة للأنا والآخر، وليس المانعة لأحد منهما.

ولذا فإن الكلمة السواء هي القاعدة، حيث تعادل كفتي الميزان على ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، فكما أن للأنا حقوق تمارس كذلك للآخر حقوق تمارس، وهكذا على مستوى أداء الواجبات وحمْل المسؤوليات.

إن اعتماد الكلمة السواء بين الناس على أي مستوى من المستويات الاجتماعية والإنسانية سواء أكانت على مستوى أفراد الأسرة أو المجتمع المحلي أو مجتمع الدولة أو المجتمع الإنساني، إن اعتمادها يعني اعترافا إراديا بالتماثل العلائقي في كل ما يتعلق بالأفراد أو الجماعة أو المجتمع من أمر، سواء أكان أمرا سياسيا أم اجتماعيا أم اقتصاديا أم ثقافيا، وسواء أكان في حالة السلم أم في حالة الحرب.

وفي مقابل الكلمة السواء قاعدة، تكون فيها الكلمة الأنا فقط استثناء.

لذا: ينبغي أن تكون الكلمة السائدة بين الفرد والأفراد الآخرين، والجماعة والجماعات الأخرى هي الكلمة السواء، التي بها يعتمد الآتي:

– العقل معيارا للتقييم والتقويم.

– التعارف بين الأنا والآخر.

– التواصل وتبادل الأفكار والرؤى.

. تنجز الأهداف وتتحقق الأغراض ويتم بلوغ الغايات.

– تتحقق المعادلة الإنسانية في المشاركة وتكافؤ الفرص.

– يُعبر الفرد والجماعة والمجتمع عن كل ما يتعلق بهم من أمر، وأن يفصح الجميع عن كل رغبة وغاية بلا تردد وبدون خوف.

وعليه فبالكلمة السواء يُقضى على الأنانية والتهميش والسيطرة والاستعلاء، ولذا فعلى الباحث الاجتماعي أو النفسي أن يعمل بقاعدة الكلمة السواء، وأن يعمل من أجلها، حتى يتحقق الرقي الذوقي والرفعة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات تحت مظلة المهنة الإنسانية المتطلعة والمستوعبة للجديد المفيد والنافع الذي به تُقدم المساعدة الهادفة ويتحقق الإصلاح، وتُحدث النقلة.

بناء على ذلك: فإن القيم التي تجمع بينها الكلمة السواء تتمركز على الآتي:

1 . التجرد من رغبات الأنا، وأطماعها ومصالحها الشخصانية.

2 . لا تعترف إلا بما يجب، ولا تؤدي إلا الأفعال الواجبة السلوك.

3 . تقيِّم الأنا والآخر قياسيا وليس عاطفيا.

4 . تسلك أفعالا حضارية تتماثل مع الثقافة المستوعبة لكل خصوصية.

5 . تعترف بوجوبية أخذ الحقوق.

6 . تعترف بأحقية أداء الواجبات.

7 . تعترف بأهمية تحمّل المسؤوليات.

8 . التقدير لمن يجب ولمَا يجب.

الكلمة الحجة قوة فاعلة:

ولأن الكلمة الحُجَّة قوة فاعلة، لذا فهي ذات الأثر الموجب والأثر السالب.

ولأنها كذلك، فهي إما أن تكون حجة لنا، أو تكون حجة علينا.

فالكلمة الحق حُجّة لنا، وهذه قاعدة.

أما الكلمة الباطل حجة علينا، وهذه استثناء.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . الكلمة حُجّة.

2 . الحُجَّة قوة فاعلة.

والاستثناء هو:

1 . الكلمة ليست حُجّة.

2 . الحُجَّة ليست قوة فاعلة.

وعليه، فإن الكلمة الحُجُّة دليل إثبات في دائرة الممكن الموجب أو السالب.

الفصل الخامس

قاعدة

(التواصل الاجتماعي)

(التواصل الاجتماعي)

التواصل قاعدة قيمية اجتماعية وإنسانية ذات حلقات مترابطة من الفضائل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، تُرسِّخ أفعال وسلوكيات استيعابية تجعل الإنسان دائما في حالة تطلّع للآخرين في ضوء ما يفيد وينفع، وبما يُسهم في صناعة التاريخ ويحافظ على الهوية وبناء الحضارات بعمليات التواصل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والنفسي والذوقي والثقافي من ماضي بعيد إلى يومنا هذا مع التطلع إلى مستقبل أفضل، ولهذا تتطور المجتمعات وتتقدم كلما زادت قيمة الطموح قوة بين الأجيال عبر التاريخ.

ولان الإنسان كفرد يتربى في أسرة ويتشرب القيم الاجتماعية والإنسانية منها، ويمتد في علائقه مع محيطه البيئي. لذا ينطبع بمورثها الثقافي والحضاري وتتشكل شخصيته التي بها يتميز عن غيره من الأفراد الآخرين الذين ينتمون إلى مجتمعات أو حضارات أخرى.

ولان التقدم البشري والإنساني لا يبنى إلا بجهود مشتركة من مختلف الشعوب والأمم فان التواصل بين بني الإنسان بمختلف أعراقهم وأديانهم وثقافاتهم يثري حركة التغير والتقدم الاجتماعي والإنساني.

واستنادا إلى القاعدة التي تنص على أن الإنسان اجتماعي بطبعة، يتواصل الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميا مع بعضهم البعض في دائرة الأنا والآخر، حيث الضرورة والوجوب.

الضرورة: من حيث الحاجة للرعاية والعناية (يلد المولود وهو في حاجة لمن يُقدِّم له العناية والرعاية) ويمتد نموا ليتشرَّب القيم والفضائل الاجتماعية (قيم الأمومة والأبوة والأخوة والعمومة وذي القربى)، ولذلك سيظل الفرد قاصرا، وسيظل في حاجة لمن يُقدِّم له المساعدة مما يجعل الضرورة تتطلب من الآخرين أن يُقدِّموا له كل ذلك حتى يشُبّ ويقتدر على مبادلة الرعاية والعناية والمساعدة مع كل من يُقدِّم له يدا العون.

والوجوب: من حيث الحاجة للإشباع المعرفي والثقافي (حيث التعلم من الآخرين والتطوّر معهم) مما يجعل للإنسان علاقات وروابط، وحضارات تتواصل، ولهذا يمتد

في علائقه وهو قادر على استيعاب النظم والقوانين والمعتقدات والأعراف التي تتميز بها كل خصوصية. وقادر على ممارسة حقوقه بلا إنابة، وتأدية واجباته بلا تردد، وحمْل مسؤولياته بإرادة. ولذلك فمن الواجب أن يتواصل الأفراد والجماعات والمجتمعات مع الآخرين حتى يكونوا مفردات نافعة من مفردات المجتمع الإنساني.

وعليه فإن التواصل الاجتماعي قاعدة قيمية ذات حلقات مترابطة من الفضائل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، تُرسِّخ أفعالا وسلوكيات استيعابية تجعل الإنسان دائما في حالة تطلّع للآخرين في ضوء ما يفيد وينفع، وبما يُسهم في صناعة التاريخ ويحافظ على الهوية وبناء الحضارات بعمليات التواصل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والنفسي والذوقي والثقافي من ماضي بعيد إلى يومنا هذا مع التطلع إلى مستقبل أفضل، ولهذا تتطور المجتمعات وتتقدم كلما زادت قيمة الطموح قوة بين الأجيال عبر التاريخ.

ولان الإنسان كفرد يتربى في أسرة ويتشرَّب القيم الاجتماعية والإنسانية منها، ويمتد في علائقه مع محيطه البيئي. لذا ينطبع بمورثها الثقافي والحضاري وتتشكل شخصيته التي بها يتميز عن غيره من الأفراد الآخرين الذين ينتمون إلى مجتمعات أو حضارات أخرى.

ولان التقدم البشري والإنساني لا يبنى إلا بجهود مشتركة من مختلف الشعوب والأمم لذا فان التواصل بين بني الإنسان بمختلف أعراقهم وأديانهم وثقافاتهم يثري حركة التغير والتقدم الاجتماعي والإنساني.

ولهذا فالقاعدة هي:

. التواصل يؤدي إلى القوة.

والاستثناء هو:

. الانفصال يؤدي إلى الضعف.

الترابط الاجتماعي يحقق القوة:

بدون شك مثلما ترتبط القوة بالكلمة، ترتبط بالفعل والسلوك، الذي كلما أزداد عدد الممارسين له ازدادت درجة القوة الدافعة لإنجازه. فمع أن الفرد في خلقه قوة إلا أنه سيضل على حالة ضعف إذا ما تواجه مع القوة المجمعة أو الموحدة.

ولهذا فالترابط الاجتماعي هو في أساسه موحّد قوة، بهدف انجاز الأغراض المشتركة (الأهداف التي لا يمكن أن تنجز بالقوة المنفردة). ولذا فالفرد مع أنه قوة كما سبق أن بينا إلا أن بمقارنته مع قوة الجماعة لا يعد قوة، بل يعد ضعفا، وهكذا الجماعة القوية تعد ضعيفة إذا ما حدثت لها المواجهة مع المجتمع، وهكذا سيكون حال المجتمع المحلي أو مجتمع الدولة إذا ما قرر أن يواجه المجتمع الإنساني بأسره. فما حدث مع المجتمع العراقي ليس بالبعيد، بالرغم مما بدله من قوة مقاومة عندما وضع ذاته في مواجهة المجتمع الدولي، سقط نظامه وتحطمت قوته التي لم تستطع المواجهة، ولهذا كانت قوته ضعف أمام مواجهة القوة الدولية (القوة المجمعة).

ولذلك مثلما يزيد الترابط الاجتماعي القوة بين مكوناته الاجتماعية، يزيد الترابط الإنساني القوة بين روابطه الإنسانية. وفي مقابل ذلك كلما ازداد التفكك الاجتماعي أزداد ضعف أفراده وجماعاته.

التواصل ضرورة اجتماعية:

بما أن التواصل الاجتماعي ضرورة تحتمها طبيعة الإنسان الاجتماعية ليتشرَّب القيم والفضائل ويتميز بها عن غيره.

إذاً التواصل الاجتماعي قاعدة لا يمكن للفرد أو الجماعة أو المجتمع تجاوزها، حيث أنَّ تجاوزها يترتب عليه خروج عن القاعدة والانفصال عن الآخرين سواء أكانوا أفرادا أم جماعات أم مجتمعات أم منظمات أم مؤسسات اجتماعية.

وعليه التواصل ضرورة اجتماعية لربط حلقات الصلة بين الأجيال المتعاقبة، ولأنه ضرورة يعد قاعدة لبناء الوحدة الاجتماعية بين أبناء الأمة الواحدة أو الشعب الواحد، والوحدة الإنسانية بين بني الإنسان فبدون التواصل يكون الفراغ النفسي المسبب للعزلة، والقاضي على الطموح الذي يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل.

التواصل يؤدي إلى الترابط:

بما أنّ التواصل يؤدي إلى الترابط.

إذاً التواصل مكوّن علائقي بين الأنا والآخر.

ولهذا كلما اتسعت دائرة التواصل قويت العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات على المستوى القيمي الاجتماعي والمستوى القيمي الإنساني.

وعليه يتضمن الفرض المثبت (التواصل يؤدي إلى الترابط) قاعدتان، واستثناءان هما:

أولا: القاعدتان:

1 . التواصل مشبع الحاجة (الحاجة للمعرفة والتعاون).

2 . الترابط مشبع الحاجة (الحاجة للاجتماع والقوة)

ثانيا الاستثناءان:

1 . الانغلاق لا يُشبع حاجة.

2 . التفكك لا يُشبع حاجة.

ولهذا التواصل والترابط يؤديان إلى اللُّحمة والوحدة ويمكِّنان من الاستيعاب الذي يظهر القدرات والاستعدادات والإمكانات، ويؤديان إلى امتلاك مقاليد القوة أيضا. وفي مقابل ذلك التفكك والانغلاق يؤديان إلى الانسحاب من ميادين المعرفة ويؤديان إلى التخلف والضعف أيضا.

التواصل العاطفي يقوى الروابط الاجتماعية:

العاطفة غريزة خَلقية، تنمو وتتهذب لدى بني الإنسان، فتربط علاقات متنوعة ومتعددة حتى تصطبغ العلاقة بالمسمى العاطفي الذي كوّنها أو أسهم في إظهارها في الفعل والسلوك الإنساني.

مثال على ذلك: العلائق الأبوية تُغرس من عاطفة الأبوة، وعلائق الأمومة تُغرس بعاطفة الأمومة، وهكذا تتكون علائق الإخوة والعمومة وذي القربى بعواطف الأخوة والعمومة وذي القربى. وهكذا تأخذ العلائق الاجتماعية والإنسانية مسمياتها من العواطف التي تُسهِم في غرسها أو إظهارها إلى حيز الوجود.

ومع أن العاطفة في أساسها مكوّن غرائزي، إلا أنها لدى بني الإنسان تختلف عن بقية الكائنات الأخرى؛ فعند الكائنات الأخرى لا تنمو، وعند بني الإنسان تنمو حتى تصير حُباً مقدساً. ولذا كلما ازدادت القوة الدافعة والجاذبة بين الزوجين ازداد الحب عندهما سموا ورقيا.

ولهذا، فالعاطفة قوة.

. الحب قوة.

. المودة قوة.

. الألفة قوة.

. الوفاء قوة.

. الرحمة قوة.

. العطاء المتبادل قوة.

. التقدير المتبادل قوة.

. الاحترام المتبادل قوة.

. الاعتراف المتبادل قوة.

. التوافق قوة.

. الانسجام قوة.

. الوحدة قوة.

. الترابط قوة.

. التواصل قوة.

هذه القواعد القيمية وغيرها معطيات معنوية تُسهِمُ في بناء القوة المُمكِّنة من إحداث النقلة للأفضل.

وعليه:

كلما قويت العاطفة ازداد الترابط الاجتماعي لُحمة، وكلما تطوّرت العاطفة إلى الحب أزداد التماسك البنائي للمجتمع قوة ومتانة؛ وفي مقابل ذلك الاقتصار على العاطفة أو الانغلاق عليها لا يُمكِّن من اتخاذ قرارات موضوعيه.

ولهذا إذا دخلت مجالات التفاوض في القضايا السياسية لا تجعل العاطفة مرتكزا رئيسا في ملكاتك العقلية حتى لا تغفل عن الآتي:

1 . اعتمد في أرائك على دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

2 . لا تضع أهدافك الرئيسة في مواجهة العاصفة.

3 . أعرف أنك ستتعرض للاستفزازات من وقت لآخر.

4 . أقبل الاستفزازات إذا كانت المفاوضات تسير في الاتجاه الموجب، حتى تمتص الغضب، ثم أرسل ما يقابلها في الوقت المناسب الذي تكون فيه الفرصة سانحة للطرف الآخر لامتصاصها.

5 . أرفض الاستفزازات في وقتها إذا كانت المفاوضات لا تسير في الاتجاه الموجب لقضيتك.

6 . إذا أردت إطالة زمن التفاوض لأسباب تخدم القضية فأعمل ما من شأنه أن ينهي التفاوض ليتأجل حتى تكسب وقتا للعودة في زمن لا حق.

7 . إذا كنت في حالة ضعف عليك بإطالة زمن التفاوض.

8 . إذا كنت قويا ومنتصرا عليك بالإسراع بإنهاء زمن المفاوضات فطولها قد يعطي الفرصة للخصم بأن يُجمِّع قواه من جديد فلا يُمكِّنك من تحقيق ما أنت تريد.

9 . إذا تماثلت قوة المفاوضين فعليهم باعتماد المنطق في التفاوض.

10 . إذا كنت منتصرا وخصمك ضعيف اعتمد على اللغة، فخصمك بلا شك سيحاول قدر المستطاع أن يعتمد المنطق ليضعك في دائرة الإدانة.

11 . عند الضرورة أقبل بالتنازل ولكن لا تُقدِّم تنازلاتك دفعة واحدة.

12 . إذا قررت التنازل للضرورة فلا تتنازل إلا بمقابل.

13 . لا تضع حُسن النية رفيقا لك في زمن التفاوض.

14 . إذا قبلت أن تكون مفاوضا نيابة عن الحكومة فلا تستغرب إن تكون الضحية.

15 . كن فطنا لكل ما يقال في الجلسات الرسمية أو في جلسات الراحة المشتركة.

16 . إقراء كل ردَّت فعل سواء أكانت كلمة أم حركة أم فعل.

17 . استقراء أفكار الخصم أو من ينوب عنه قبل أن تُقدِّم رأيا أو مقترحا.

18 . قبل الاتفاق عليك بالاعتماد على التحليل أكثر من أن تعتمد على تقديم الآراء والمقترحات.

19 . بعد الاتفاق لا داعي للتحليل فزمنه قد ولى.

20 . كن قادرا على الإنصات ولا تترك شاردة ولا واردة إلا وتلمَّ بها.

21 . كن صبورا فالصبر يُمكِّنك من المغالبة.

22 . أحسس الطرف الآخر بحرصك واهتمامك واضع اللوم عليه كلما تهيئة لك الفرصة في إلصاق ذلك به.

23 . تقبَّل الآخر كما هو لتعمل على نقله لما يجب.

24 . إذا أحسست من الطرف المفاوض سيجرُّك إلى ما لا ترغب فعليك بأن تطلب زمنا للراحة فيه تتمكن من أنْ تستجمع أفكارك وقواك العقلية.

25 . حاول قدر الإمكان في بعض الأحيان أن يحس الطرف المفاوض وكأنك محايدا بما تقدمه من نصائح لخدمة الطرفين أو الأطراف ذات العلاقة.

26 . إذا طلب منك الطرف المفاوض (الآخر) رأيا فلا تستعجل على تقديمه حتى وإن كنت واثقا، بل عليك أن تناقشه أولا مع فريقك المفاوض.

27 . إذا طلب منك الخصم رأيا، تأنى وفكِّر جيدا حتى لا تقع في الفخ من الغاية المترتبة عليه.

28 . لا تظن أن المفاوضين المتقابلين معك على طاولة المفاوضات هم بسطاء، إن ظننت ذلك تأكد أنك استعجلت استعجالا في غير محله.

29 . كن مرنا من أجل القضية التي تفاوض من أجلها ولا تكن مرنا على حسابها، أي كن صلبا من اجلها.

30 . حاول قدر الإمكان أن تستكشف نقاط الضعف في بعض من أعضاء الطرف المفاوض لك، وأعمل عليها، ولا تجعل القيم قيدا عليك، بل أعمل عليها حتى تكون قيدا بين يديك، ولا تغفل حتى لا تؤخذ منك، وبها تُقيَّد.

31 . كُن قادرا على الاستقراء والاستنباط فمعظم ما يثار بين المفاوضين خاصة في جلسات الحوار الأولى هو حديث مُبطَّن.

32 . لا تغفل عن قوانين نظرية الاحتمالات التي بها تُقلَّب المعلومة على عدد زواياها وأركانها فعلى أساسها أسس حديثك أثناء الحوار والتفاوض ليكون حمَّالا لأوجه، ولِعلمك أن المفاوضين قادرين على استقراءه من أوجه عدة فلا تظن أنهم غير متمكنين من الفهم المتعمَّق لنظرية الاحتمالات، ولكن بحوارك حمَّال الأوجه تمتلك الحق الذي به تؤكد على أية كيفية أنت تقصدها في اتجاه استمرار الحوار أو في اتجاه توقُّفه.

33 . إذا أحسست بأنك أصبحت مؤيدا من الطرف الآخر أعرف أنك تحتاج لمراجعة نفسك أو مراجعة الكيفية التي بها قد أثرت الموضوع، وإلا ستجد نفسك في اتجاه بداياته لا تؤدي إلى النهايات التي من أجلها كنت مفاوضا، إلا إذا كنت عن قصدٍ ودراية بالمترتب عليه.

34 ـ أعرف كيف يُفكِّر الخصم لكي تتمكَّن من تقديم الحُجَّة المناسبة في وقتها المناسب. فعلى سبيل المثال: إذا كنت ليبيّاً والطرف المفاوض لك فرنسياً، فعليك أن تُفكر في القضية مع المفاوضين الفرنسيين بعقل باريس، وإذا كان الطرف المفاوض لك ألمانيًّا ففكر وحلل واستخلص وفسّر بعقل برلين. وهكذا إذا كان المفاوض أمريكيا فعليك أن تفكِّرَ وتحلل وتستنتج وتفسِّر بعقل واشنطن. إما إذا فكرت وحللت واستنتجت وفسرت بعقلك فإنك قد لا تتمكن من اختراق عقل الآخر والتأثير فيه والوصول إلى نتيجة مرضية.

بناء على هذه المبادئ التفاوضية، أين العاطفة؟.

عندما تتعلق القضايا بمصير البلد أو الوطن فلا يُمكن أن تجد العاطفة مكانا لها لتتبوأه بين المتفاوضين. ولهذا يحل المنطق والعقل محلها ليتم التواصل مع الآخر بالرغم من كل الخلافات أو الصراعات، ولذا دائما تزول الصدامات والصراعات ويبقى التواصل سيدا في ميدان العلائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين بني الإنسان.

ولهذا فمن تربطك به عاطفة تربطك به علاقة، تشغل حيزا في نفسك وتشدك إليه. ولهذا الشد قوة تواصل بروابط عاطفية، تُبرز الانحياز الشخصي مع من يبادلك عاطفة تحمل مودة وتهدف إلى حرص.

ولذا فإن التواصل العاطفي يقوي الروابط الاجتماعية، فعاطفة الزوجية تشدُّ الزوجين إلى بعضهما بعضا، وعاطفة الأبوة تشد الأبناء والآباء إلى بعضهم بعضا، وعاطفة الأمومة تشد الأمهات والأبناء إلى بعضهم شدّ، وهكذا تتواصل العلائق الاجتماعية وتشدُّ بعضها شدًّا.

وعليه بعض من الناس يفتقدون العاطفة التي تُشد الآخر أو تربط الأنا به، فبعض الأطفال المحرومين من العيش مع أبائهم هم يفتقرون إلى عاطفة (الأمومة والأبوة)

التي تمتلئ بالمودة والحب والألفة، ما يجعلهم يفتقدون للتواصل العاطفي الطبيعي الذي يستمد من عاطفة الأم، ولأن دور الأم تحوَّل إلى وظيفة تقوم بها مؤسسات الرعاية والموظفين الذين يعملون فيها، لذا فالموظف أو العامل الذي يؤدي مهمة الرعاية وظيفة لن يكون قادرا على غرس عاطفة الأمومة التي لا يمكن أن تُغرس إلا من الأم، ولا عاطفة الأبوة التي لا يمكن أن تُغرس إلا من الأب.

وعليه فإن دور الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي في المؤسسات الاجتماعية هو دورا يرتكز على المهنة، ومهما كان العمل أو الدور الذي يقوم به الأخصائي لا يمكن أن يعطي أو يمنح عاطفة الأبوة والأمومة التي تَقوى الرابطة الاجتماعية بقوتها.

وإذا ما شبّ الأبناء على قيم المهنة والوظيفة فقد يكونوا أكثر من غيرهم على تتبع الأوامر والنواهي التي تصدر ممن يُقدِّم لهم الخدمة التي تجعل العلائق معهم وفقا للحاجة (الحاجة للإشباع المادي) وليس وفقا للإشباع العاطفي الذي يمد الأفراد بالحنان والدفء والطمأنينة.

ولهذا من يفتقد لعاطفة الأمومة والأبوة والأخوة والعمومة يفتقد بالضرورة إلى عاطفة الأسرة التي تمد أفرادها بروح التواصل معها ومع المحيط الاجتماعي الذي تشرَّبت منه قيمها واكتسبت منه أعرافها ومعتقداتها التي بها تتميز عن غيرها كما غيرها يتميز عنها.

ولذلك فإن للتواصل العاطفي إستراتيجية، تعمل على تقوية الروابط الاجتماعية مع الآخرين، ولهذا عندما ترتبط العاطفة بالفعل والسلوك تأخذ صفتين:

الصفة الواعية: التي تميز بين ما يجب وما لا يجب مما يجعلها المنتجة للتواصل الإيجابي، ويجعلها في حالة قوة امتدادية لملامسة البعد ألقيمي الإنساني.

الصفة الساذجة: التي في كثير من الأحيان تتعرض للوقوع في الفخ، وهي التي تعد المنتجة للتواصل السلبي، مما يجعلها في حالة قوة انكماشية على الذات.

ولذا فإن القاعدة هي:

1 . قوة العاطفة في الامتداد.

2 . قوة العاطفة في الانكماش.

والاستثناء هو:

1 . ضعف العاطفة في الامتداد.

2 . ضعف العاطفة في الانكماش.

ولهذا فالأبوة والأمومة، والأخوة والعمومة والمخولة والجيرة، والحي السكني والوطن هي مكامن توليد العاطفة في نفوس بني الإنسان، ومن يُحرم منها سيواجه حاجة للدفء، وحاجة للانتماء، وحاجة لاستدرار المودة والتسامح.

ولذا لا يُمكن أن تنوب المؤسسات الاجتماعية البديلة لرعاية الطفل عن دور الأبوين أو احدهما، وذلك لأن المؤسسات تؤدي وظيفة ومهنة، يقوم بها عاملون ويمارسها مهنيون، بخلاف الأسرة الطبيعية التي تغرس عاطفة من أفئدتها، ولهذا من يفقد أبويه معا هو في حقيقة أمره يفتقد لعاطفة الأمومة والأبوة القوة التي تمده بالدفء والمحبة، وتفسح له مجالات للامتداد الطبيعي على الساحة الاجتماعية والإنسانية.

ولذلك يقوم البحاث الاجتماعيون والأخصائيون ومساعديهم من العاملين المهرة في المؤسسات الاجتماعية بالأدوار البديلة، أي الأدوار التعويضية.

وعليه يعد لعب الأدوار الرئيسة (الأصلية) قاعدة، ولعب الأدوار البديلة استثناء.

ولذا لا يمكن أن يكون البديل مماثل لما هو أساسي أو أصلي، وذلك بأسباب التعرض للتزوير والتبدل.

وبناء على ذلك فإن فاقد الشيء لا يعطيه، النشء الذي يتربى في المؤسسات لا يمكن أن يكون قادرا على التمسك بالقاعدة (غرس عاطفة الأمومة والأبوة) التي لم يتشربها في صغره، ولهذا لا يمكن أن يكون قادرا على إعطائها.

ولعل هذا الأمر يدفعنا إلى التأكيد على أهمية الدور التربوي في إحداث النقلة لمن هم قد فقدوا عاطفة الأبوة والأمومة، ليتم نقلهم من المستوى القيمي الذي هم عليه إلى المستويات القيمية الأفضل من حيث الآتي.

. من الشعور بالإحباط إلى الطموح والأمل.

. من الأنانية إلى الذاتية.

. من الإنسحابية إلى التطلعية.

. من التطلعية إلى الموضوعية.

. من الحرمان من الحقوق إلى التمكُّن من ممارستها بإرادة.
. من الحرمان من تأدية الواجبات إلى المشاركة في تنفيذ كل ما يتعلق بهم من أمر.
. من الحرمان من حمْل المسؤوليات إلى تحمُّل الأعباء المترتبة عليها.
. من التهميش إلى الاعتبار والتقدير.
ولا ن التواصل يقوي الروابط الاجتماعية.
فالقاعدة هي:
1 . قوة التواصل.
2 . الترابط الاجتماعي.
والاستثناء هو:
1 . ضعف التواصل.
التفكك الاجتماعية.
وبما أن التواصل يقوي الروابط الاجتماعية.
إذاً التواصل مكَّونا قيميا علائقيا.
ولهذا كلَّما تواصل الأفراد قويت الروابط الاجتماعية بينهم وكلما انطووا وانسحبوا ضعفت روابطهم الاجتماعية مما يجعلهم في حالة من الضعف الذي يهدد حياتهم الحاضرة ولا يرسم لهم مستقبلا، وقد يؤدي بهم إلى الانعدام أن لم يفيقوا من غفلتهم ويتواصلوا مع الآخرين الذين يمتلكون زمام القوة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
وعليه:
. كلما ضعفت الرابطة الاجتماعية تصدَّع البناء الاجتماعي.
. كلما تواصل الأفراد ازدادوا قوة.
. كلما انغلق المجتمع على ذاته ضعفت علائقه الاجتماعية والإنسانية.
. التواصل يؤدي إلى المزيد المعرفي.
. التواصل يؤدي إلى التطلُّع للأفضل.
. التواصل يؤدي إلى ربط حلقات التاريخ المستمرة.
. التواصل يؤدي إلى طي الهوة بين الأجيال المتلاحقة.
. التواصل ينمي الثقافة والعلوم وينمي المقدرة الذاتية للمجتمع.

وبناء على ذلك:

. تطلَّع للآخر المفيد.

. اطوي الهوة بينك وبين أبنائك.

ـ تقدم إلى الأمام وأنت تمتلك حاستي المشاهدة والملاحظة حتى لا تقع في شباك الصيادين.

. لا تنسحب من بلوغ المواقع المتقدمة فالانسحاب منها ردة إلى التخلف.

. تطلع ليزداد الأمل عندك.

ولهذا كلما اتسعت دائرة التواصل قويت العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات على المستوى ألقيمي الاجتماعي والمستوى ألقيمي الإنساني.

وعليه يتضمن الفرض المثبت (التواصل يؤدي إلى الترابط) القواعد القيمية الآتية:

1 . الحاجة للمعرفة.

2 . الحاجة للتعاون.

2 . الحاجة للاجتماع.

4 . الحاجة للقوة.

والاستثناءات هي:

1 . المعرفة ليست بحاجة.

2 . التعاون ليس بحاجة.

3 . الاجتماع ليس بحاجة.

4 . القوة ليس بحاجة.

ولهذا التواصل والترابط يؤديان إلى اللحمة والوحدة ويمكنان من الاستيعاب الذي يُظهر القدرات والاستعدادات والإمكانات، ويؤديان أيضا إلى امتلاك مقاليد القوة. وفي مقابل ذلك التفكك والانغلاق يؤديان إلى الانسحاب من ميادين المعرفة ويؤديان أيضا إلى التخلف والضعف.

التواصل الحضاري يقوي الروابط الإنسانية:

المجتمع الإنساني مكوّن من تجمعات متعددة من الأمم والشعوب، ولان لكل امة شرعة ومنهاج، لذا فإن لكل أمة من الأمم والشعوب خصوصية تميزها عن غيرها

كما يتميز غيرها عنها بخصوصيته، ولهذا فان التواصل بين الأمم والشعوب يُظهر المزيد من التفوق بأسباب أخذ التميز وإضافته لما تمتاز به الأمم والشعوب حتى تستطيع أن تبني حضارة وتتواصل مع حضارات الآخرين بقوة التميز التي استطاعت معرفتها وتكوينها أو بنائها.

ففي التواصل الحضاري المزيد العلمي، والمعرفي، والقيمي، والمادي الذي يؤسس اقتصاداً منافساً ومتقدماً في عمليات الإشباع ألحاجي.

وبما أن التواصل الحضاري يقوي الروابط الإنسانية.

إذن القاعدة هي:

التواصل الحضاري

تقوية الروابط الإنسانية.

والاستثناء هو:

الانفصال التواصل.

ضعف الروابط الإنسانية.

ولهذا فان التواصل الحضاري يطوي مسافات التخلف.

ولان الحضارة التي تنغلق على ذاتها تتأخر وتتخلف.

لذا فكلما تواصلت حضارة مع حضارات أخرى ازداد قومها أو شعبها علماً وثقافةً وتقدماً ومعرفة، ولهذا عبر التاريخ تتواصل الحضارات ولا تتصادم كما يعتقد هنتغتون. فالذين أن جاز الصدام أن يتصادموا هم البشر الذين ينتمون إلى حضارات متعددة.

وعليه فإن ذُكِّرنا بالرسومات التي نشرتها صحيفة دينماركية وتسئ لأخلاق النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ترتب عليها ردود أفعال غضب من جميع المسلمين في العالم، فكان الغضب منصبا على من قام بفعل الإساءة والحكومة الدينماركية التي لم تعتذر في حينه، ولم يكن موجهاً ضد حضارة أهل الغرب، ولا ضد شعوبها المحترمة.

ولذا فالصدام دائماً بشري يحدث بين البشر وليس بين الحضارات التي هي مُكون مادي وقيمي.

المسلمون لا يمكن أن يقوموا بمثل هذه الأفعال وذلك لأنهم كما يؤمنون بمحمد رسولا ونبياً ويُصلون ويسلمون عليه كذلك هم يؤمنون بموسى وعيسى ويصلون ويسلمون عليهما كما يصلون ويسلمون على جميع أنبياء الله تعالى ورسله الكرام.

ولذا عندما يؤسس التواصل على قيم إنسانية فانه يتجاوز حدوده الإقليمية، ويمتد في حلقات ترابط واستيعاب للآخرين النافعين والمفيدين ثقافياً وحضارياً واقتصادياً.

التواصل الحضاري في دائرة الممكن:

من المتوقع أنَّ التواصل الحضاري يقوي الروابط الاجتماعية.

من غير المتوقع أنَّ التواصل الحضاري يضعف الروابط الاجتماعية.

وعليه إذا تحقق الفرض الأول بإثبات صحته فلا غرابة في ذلك، لكن لو تحقق بدله الفرض البديل تكون المفاجئة والاستغراب، خاصة وأننا نعني بالتواصل الحضاري (التواصل ألقيمي المقدَّر من قِبل الأنا والآخر).

إذن من أين يأتي الاستغراب؟

يأتي من الفارق بين ما يقال أو يُسمع وبين ما يُمارس أو يُفعل.

لذا فعلى الباحث أو أخصائي الاجتماعي أن لا يأخذ المسلمات من كل ما يقال. وعليه أن يُقدِّر المسافة بين الظاهر من القول والسلوك وبين الكامن من ورائهما.

التواصل الحضاري يطوي مسافات التخلف:

بما أن التواصل الحضاري يطوي مسافات التخلف.

إذاً القاعدة هي:

طي مسافات التخلف.

والاستثناء هو:

مد مسافات التخلف.

ولهذا فالحضارة التي تنغلق على ذاتها ولا تتواصل مع حضارات الآخرين، تتخلَّف فكريا وماديا وتعجز عن المنافسة، وإذا ما تعرضت لصدام قيمي مع الحضارات المنافسة لقيمها لن تستطيع أن تدافع عن ذاتها، ويصبح المنتمون إليها على حُجج قيمية ضعيفة، مما يجعلهم يحنّون للماضي أكثر من تطلعهم للمستقبل الأفضل.

ولأن التواصل الحضاري يفتح آفاق التعامل والتقارب والتعارف مع الآخرين، فإن انعدامه يؤدي إلى الغربة والتفرُّد والانغلاق على الذات.

ولذا فإن القاعدة هي:

التقارب الحضاري مع الآخرين.

والاستثناء هو:

التباعد الحضاري عن الآخرين.

وعليه: بالتواصل يتم التعارف والتحاور والتقارب والتلاقي الفكري والمادي وتبادل المنافع والعلوم وزيادة التألق في الإبداع الذي يُسهم في طي مسافات الغربة والتخلف الاجتماعي، والاقتصادي والثقافي، والسياسي والنفسي والذوقي، حتى تضيق الهّوة التي تُفرِّق بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات أو الأديان والثقافات والحضارات أو تنتهي إلى أبد الآبدين.

ولهذا كلَّما تواصلت أمة مع أمة حضاريا تلاقحت أفكارهم وعلومهم وازدادوا ثقافة وعلما رقيا، وهكذا فالحضارات الإنسانية في حالة تواصل وترابط عبر التاريخ، ولا تتصادم كما يعتقد (صموئيل هنتجتون في كتابه صدام الحضارات) فلو تصادمت ما وصلت الشعوب إلى ما وصلت إليه من تقدم ورقي.

ولذا فالتواصل الحضاري يؤدي إلى التقدم والقوة.

أما الانفصال الحضاري فيؤدي إلى التخلف والضعف.

ولذلك فالتواصل الحضاري فعلاً موجباً.

والانفصال الحضاري فعلا سالبا.

إذا كلَّما أزداد التواصل الحضاري ازدادت القوة والفعل الموجب، ولهذا تستمد الحضارات قوتها من التواصل الذي يطوي مسافات التخلف.

ولأن التواصل قوة لذا فهو:

1 . ينمي ويقوِّي المعرفة.

2 . يزيد الخبرة.

3 . ينوِّع المهارة.

4 . يبني التقدم.

5 . يصنع التغيير.

6 . يُحدث النقلة.

ولذلك فإن الحضارة التي تنغلق على ذاتها، ولا تتطّلع إلى حضارات الآخرين تتخّلف، عن حركة التغير الاجتماعي والإنساني.

الانفصال الحضاري يؤدي إلى التخلف:

بما أن التواصل الحضاري يؤدي إلى التخلف.

إذاً:

التواصل الحضاري فعل موجب.

والانفصال الحضاري فعل سالب.

لذا فكلما تواصلت الحضارات ازدادت قوة.

وكلما انفصلت الحضارات ازدادت ضعف.

ولأن الإنسان قوة فينبغي عليه أن يضع نفسه في أماكنها وإلا سيتعرض إلى الضعف والوهن.

وعليه:

. تواصل تزداد قوة.

. انفصل تزداد ضعف.

. اتصل تبني حضارة.

. انفصل تهدم حضارة.

. تمسك بالقيم الإنسانية تُقَّدر.

. تبنى أفعال الخير.

. اجتنب أفعال الشر.

ولذلك فإن التواصل الحضاري يقوي الروابط الإنسانية ويرتقي بها، أما الانفصال فيضعف الروابط الإنسانية وقد يؤدي بشعوبها إلى الانغلاق والانعزال.

ولذا لا ينبغي أن يغفل الباحث أو الأخصائي الاجتماعي والنفسي عن الأتي:

. المبادرة بدراسة الحالات التي تظل في حالة انفصال حضاري.

. المبادرة بغرس القيم التي تعزز التواصل .

. تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

. تحفيز أفراد المجتمع على التمسك بالقيم والفضائل الإنسانية.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أهمية التواصل في تأكيد الكرامة الإنسانية.

. الإلمام بالقيم التي تعد قاسما مشتركا بين الحضارات وجعلها ضمن أولوياته القيمية ليُسهم في تحقيق التواصل الإنساني.

وعليه ينبغي أن لا يُغفل عن الآتي:

1 . المبادرة بغرس القيم البديلة النافعة.

2 . معالجة المعلومات الخاطئة وتصحيحها بمعلمات صائبة.

3 . الوقاية من الوقوع في الانحراف.

التواصل الموجب يؤدي إلى غرس الثقة:

بما أن التواصل يؤدي إلى غرس الثقة بين المتواصلين سواء أكانوا أصحاب حضارات أم أديان أم مصالح.

إذاً التواصل الناجح يترك أثراً موجباً ويغرس الثقة المتبادلة.

ولذا فالقاعدة هي :

1 . التواصل الموجب.

2 . غرس الثقة.

والاستثناء هو:

1 . التواصل السالب.

2 . سحب الثقة.

وعليه: كلما أزداد التواصل قوة زاد المتصلون إصراراً على عملية التواصل، وكلما ضعف التواصل أو انعدم ازداد الأفراد تفككاً وانغلاقاً.

لذا فالتواصل يجعل أفراد المجتمع المتواصلين يتجهون إلى ملامسة مكامن القوة فيهم، والانفصال يجعل أفراد المجتمع في حالة غياب عما هم عليه، وعما يحيط بهم في البيئة الاجتماعية والإنسانية.

عليه:

. تطلّع إلى الآخرين.

. اعرف أسباب الانفصال وتجاوزها.

. تواصل مع الآخرين.

واعلم انك إذا تواصلت معهم يتحقق لك الأتي:

. ازدياد القوة.

. ازدياد الخبرة.

. ازدياد المعرفة.

. تتحقق الأهداف.

. تنجز الأغراض.

. تبلغ الغايات.

. تصنع المستقبل الأفضل.

ولذلك فمن بين نتائج التواصل الموجب توليد الثقة بين المتواصلين، سواء أكانوا أصحاب حضارات أم أديان أم أصحاب مصالح. وبالتالي التواصل الناجح يترك أثراً موجباً وهو الثقة المتبادلة، التي تُمكِّن من تحقيق النجاحات.

فكلما ازدادت الثقة، ازداد المتواصلون بعدا عن الانفصال.

تواصل الأجيال يصنع القدوة الحسنة:

تواصل الأجيال يصنع القدوة الحسنة التي تتأصل فيها أخلاقيات وقيم الأسرة والجيرة وبني الوطن والأمة وقيم الذين ساهموا في بناء الحضارات التي جعلت للأجيال تاريخا وجعلتهم في حالة تواصل مع تراثها وعلومها التي تمدهم بالقوة والهيبة وتحقق لهم الاعتبار، لهذا فالقدوة قيمة سابقة على من يقتدي بها.

وبما أنها سابقة.

إذاً بالضرورة تستوجب ملاحقة برغبة.

وعليه: لا ملاحقة إلا بتواصل.

وبما أنه لا ملاحقة إلا بتواصل.

إذاً لا تواصل إلا مع قدوة.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . تواصل الأجيال.

2 . القدوة الحسنة.

والاستثناء هو:

1 . انفصال الأجيال.

2 . القدوة السيئة.

ولأن الأبناء في مراحلهم العمرية (المتعددة) يقتدون بآبائهم من خلال تواصلهم معهم في القول الصادق، والفعل الدافئ، والأخلاق الرصينة، والعمل المُبدع، والمهارة المتنوعة، ويقتدون بالعبر التي تركها الأجداد والقيم المستمدة من نواميس السماء والأعراف التي بها تميزت عاداتهم وجعلت لهم خصوصية وصلة تربط الماضي الاجتماعي بحاضرة وتمتد في حالة تواصل مع الذين سيأتون؛ وهكذا يتواصلون ويقتدون بالآخرين في كل فعل متميز، وكل قول وثقافة وحضارة وحُجَّة وعلوم نافعة.

ولهذا فالآباء قدوة لأبنائهم فيما هو سالب وفيما هو موجب، ومع ذلك لكل قاعدة شذ.

القدوة الحسنة تترك أثرا طيبا في نفوس الأبناء أو الأجيال التي تعاصرها، وهكذا القدوة السيئة تترك أثرا غير طيب في نفوس المعاصرين لها. الأم ذات الخلق الطيب من المتوقع أن تترك أثرا طيبا لدى أولادها وبناتها، والأم المنحرفة كما سبق أن بينا من المتوقع أن تترك أثرا غير حسن لدى أولادها وبناتها. أما غير المتوقع فلكل قاعدة شذ عنها.

وعليه: في دائرة المتوقع من يقتدي بالقول والسلوك والفعل الطيب سيكون طيبا أو أكثر طيبة، ومن يقتدي بالقول والسلوك والفعل السيئ سيكون سيئا أو أكثر سوءا.

والقدوة تبقى قدوة حتى ولو انتهى صاحبها (الأنموذج المثالي):

. فمحمد صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة بصدقه، بأمانتهِ، بأخلاقهِ، بمسلكهِ، برسالته السماوية، وبرفقته مع صحابته. ولهذا يقتدي المسلمون به.

ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدوة حسنة في حكمه وحكمتّه، وحزمة وعدله، وفي إيمانه بمحمد ورسالته.

. أبي لهب قدوة سيئة في أقواله وأفعاله وفي كفره بمحمد وبرب محمد.

ـ الشيخ الشهيد عمر المختار قدوة حسنة في جهاده واستشهاده، وفي إيمانه بالله تعالى وبالوطن الذي قبل بالاستشهاد على ترابه. وهكذا كان قدوة حسنة في صبره وعزمه، وشجاعته، وكفاحه.

وهؤلاء أصحاب القدوة الحسنة مع الفارق بينهم في المستوى ألقيمي للقدوة الحسنة إلا أنّ جميعهم قدوة، ولهذا مع أنهم انتهوا من أداء المهام والالتزامات والتكليفات، ومن الوجود المشاهد، إلا أنهم لا زالوا القدوة، ولهذا تتواصل الأجيال بالقيم والفضائل التي تُسهم في خلق الأنموذج القدوة.

وعليه تستمد الأجيال قوتها من الآتي:

1 . التاريخ الذي صنعته القدوة.

2 . الثقافة التي أسست لغة ومنطقا وعلما.

3 . الحضارة التي تركت رقيا في البناء والعمران.

4 . الأنموذج الذي صنعته القيم التي احتوتها النقاط الثلاثة السابقة.

هذه النقاط هي التي تجعل من الآباء قدوة لأبنائهم، ومن المعلمين قدوة لطلابهم، ومن المسؤولين قدوة لمن ينضوون تحت إشرافهم، ومن الأخصائيين قدوة لعملائهم وزبائنهم.

ولهذا فالقاعدة هي:

القدوة الحسنة.

والاستثناء هو:

القدوة السيئة.

ولذا فعلى القدوة أن يكون قدوة لعملائه في:

. تميُّز أخلاقهِ.

. تنوع مهاراتهِ.

. حُسن قيمهِ.

. أسلوب تفكيرهِ.

. صدق فعله.

. نزاهة مسلكهِ.

. صفاء شفافيتهِ.

. تعدد خبراتهِ.

. لين أسلوبه.

. حسن تدبُّرهِ.

. قوة فطنتهِ.

ووفقاً لقاعدة الممكن (المتوقع وغير المتوقع)، ليس بالضرورة أن تورَّث القدوة.

1 . القدوة الموجبة تصنع القدوة الموجبة (متوقع) مع أن كل شيء ممكنا.

2 . القدوة السالبة تصنع القدوة السالبة (متوقع) مع أن كل شيء ممكنا.

3 . القدوة الموجبة تصنع القدوة السالبة (غير متوقع) مع أن كل شيء ممكنا.

4 . القدوة السالبة تصنع القدوة الموجبة (غير متوقع) مع أن كل شيء ممكنا.

القدوة: قول وفعل وسلوك، وطموحات، وغايات عظام، ولهذا كان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم قدوة حسنة، وكان عمر المختار وعبد القادر الجزائري قدوة حسنة. ولهذا كان للرسالات وللتاريخ معنى.

ومع ذلك قد تكون القدوة موجبة، وقد تكون القدوة سالبة.

. فالتربوي يكون قدوة موجبة، إذا نقل تجاربه الموجبة، وخبراته وقيم المهنة وفضائل المجتمع الإنساني لعملائه، ويكون قدوة سالبة إذا لم تتطابق أخلاقه (القول والسلوك والفعل) مع أخلاق المهنة وقيم المجتمع.

وهكذا المعلم قدوة موجبة، إذا نجح في حمل المعلومة المتجددة، بأسلوب موضوعي ليترك أثراً قيمياً لدى المتعلمين، وساهم في تخليصهم من معطيات الضعف والوهن، وإن لم يفعل فما بلَّغ رسالته، ويكون قدوة سيئة.

ـ الأم قدوة موجبة، إذا نجحت في ترك أثر عاطفي يقوي الروابط الاجتماعية، وإذا غرست مشاعر الأمومة في نفوس أبنائها، وتكون قدوة سيئة إذا كانت منحرفة في سلوكها وأفعالها.

ـ الأب قدوة سالبة، إذا لم ينجح في ترك أثر الأبوة في نفوس أبنائه، وقدوة موجبة حسنة إذا ساهم في غرس الأثر الطيب في نفوسهم. فالأب الذي يتعاطى لن يترك أثرا موجبا لدى أبنائه ولدى أبناء الآخرين.

هذه النماذج السابقة الذكر هي وفق قاعدة المتوقع السالب والمتوقع الموجب.

أما وفقا لقاعدة غير المتوقع الموجب والسالب. فإن أبناء الأب المدمن والمتعاطي، الذي لا يعرف قاموسه الكلامي صدقا، فقد يتَّعِظوا من سلوك أبيهم فلا يتخذونه قدوة ولا مثالا لهم في حياتهم، ويتجهون إلى ما يخالف ذلك بالصدق والعمل الطيب، والسلوك الخيّر، وهذا ما أود تسميته بغير المتوقع الموجب.

أما غير المتوقع السالب: أن أبناء الأحبار والوعاظ والأساتذة المحترمين والزعماء وأهل التقوى، لا تجد أبنائهم على السلوك والفعل المُقدّر الذي عليه أبائهم الكرام.

ولهذا التواصل يتطلب القدوة الحسنة، ويتطلب القوة التي بها يتم تحدي الضعف والوهن.

وعليه:

1 . تواصل الأجيال يصنع القدوة.

2 . تواصل الماضي مع الحاضر يصنع الذاكرة.

3 . تواصل الحاضر مع الآتي يصنع الأمل.

ولذا ينبغي أن نغفل عن الآتي:

. أهمية تواصل الأجيال.

. أهمية تواصل التاريخ.

. أهمية صناعة المستقبل.

. أهمية إحداث النقلة.

. الإسهام في جعل الأفراد قادرين على صناعة المستقبل.

ـ الإسهام في خلق الشخصية القوية، التي لا تقف عند الزمن الماضي، ولا تنغلق على الحاضر، بل تتطلع إلى الآتي لكي تحدث النقلة.

ـ مساعدة الأفراد على التفكير والتخطيط، لصناعة حياتهم، التي تفوق حياة الجيل السابق، وتتجاوز جيلهم إلى جيل صناعة المستقبل.

التواصل يحقق الاندماج و المشاركة الفعَّالة:

بما أن التواصل يحقق الاندماج والمشاركة الفعَّالة إذن الانفصال يحقق الانغلاق والانغلاق يؤدي إلى الضعف.

وبما أن التواصل يحقق المشاركة الفعَّالة (الموجبة) إذن الانفصال يؤدي إلى التجزئة السالبة.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . التواصل يُحقق الاندماج.

2 . التواصل يُحقق المشاركة الفعّلة.

والاستثناء هو:

1 . التواصل لا يحقق الاندماج.

2 . التواصل لا يحقق المشاركة الفعّلة.

وعليه فالوهن والضعف يؤديان إلى الهزيمة والتخلف، والقوة مدد للتطلُّع وتؤدي إلى كل ما من شأنه أن يحقق النصر والتقدُّم الحضاري.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . القوة تُحقق النصر.

2 . القوة تحقق التقدم.

والاستثناء هو:

1 . القوة لا تحقق النصر.

2 . القوة لا تُحقق التقدم.

ولذا فعلى الباحث أو التربوي أو الأخصائي الاجتماعي تفطين أفراد المجتمع ومؤسساته العاملة وجمعياته الحكومية والأهلية إلى ما يجب أن يتم الإقدام عليه وعدم التخلي عنه، وتفطينهم إلى كل ما من شانه أن يؤدي إلى الوهن والضعف ويلحق الهزيمة.

وعليه تواصل مع الآخر لتزداد مهارة وخبرة وعلماً وتقدماً وتقديراً وقوةً واعتزازاً بذاتك حتى تُحدث النقلة وتصنع لك مستقبلاً رائعاً يرضيك ويرضي الجيلين اللذين أنت تشكل بينهما حلقة وصل.

ولذا أعمل على التواصل فالعمل عليه يُمكِّن من الآتي:

1 . إنجاز الأهداف.

2 . المشاركة الفعَّالة.

3 . المزيد المعرفي.

4 . غرس الثقة.

5 . التفهُّم المتبادل.

6 . الاستيعاب الموضوعي.

وعليه لكي تتواصل معرفياً وثقافياً عليك بالمنطلقات القيمية الآتية:

. التعّرف على ما هو كائن.

. التطلّع إلى ما يجب أن يكون.

. الاكتشاف بعد تساؤل.

. تجميع المعلومة من مصادرها.

. تفكيك المعلومة وتركبها بمنهج تحليلي.

. تشخيص الحالة بموضوعية.

. إدُراك المحيط البيئي.

. تفهُّم الظروف.

. الاستنتاج وفقا لدائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

من هذه المنطلقات القيمية يستمد الباحث أو التربوي أو الأخصائي الاجتماعي دوره المهني المتميز وفقا للآتي:

1 . التعرف مهنيا وموضوعيا على المستويات القيمية التي عليها حالات الأفراد، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ونفسيا وذوقيا وثقافيا، وتمكينهم من معرفة ذلك دون زيادة ولا نقصان.

2 . التطلّع بالأفراد من الحالة التي هم عليها إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

3 . أن يضع الباحث تساؤلاته ويصوغها في خطة علمية حتى يتمكن من تجميع معلومات ذات علاقة بموضع الحالة قيد البحث أو الدراسة.

4 . تجميع المعلومات من مصادرها (البشرية والمكتوبة أو المخطوطة) وفقا للخطة المرسومة.

5 . تحليل المعلومات بالتفكيك والتركيب والمقارنة المنهجية التي تُمكِّن من المعرفة الواعية.

6 . تشخيص الواقع الذي عليه الحالة، في ضوء المعلومات المحللة موضوعيا.

7 . إدراك المحيط البيئي بالحالة قيد البحث والدراسة.

8 . تفهُّم ظروف الأفراد من حيث المقدرة والمهارة والتأهيل والإمكانات ومدى توفرها من عدمه.

9 . إجراء عمليات الدراسة الخمس (جمع المعلومات وتحليلها وتشخيصها وعلاجها وتقويمها) دون إغفال عن دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

ولهذا إذا تولى الباحث أو الأخصائي الاجتماعي دراسة حالة من الحالات المختلفة أو المتباينة عنه في الثقافة، ولم يكن ملما بمقومات الخصوصية الثقافية والدينية والعرفية للمبحوثين، فلن يوفَّق أو يكلل بالنجاح الذي يُمكِّنه من التغيير إلى ما يجب. ولذا عليه أن يتعرف على خصوصيات الأفراد والجماعات الثقافية وليس على أسرارهم الخاصة، فهذا الأمر (الأسرار الخاصة) لم يكن من شأن الباحث ولم يكن مستهدفا من مستهدفات المؤسسة.

التواصل المعرفي يقوي الروابط الإنسانية:

المعرفة وعي بما يجب وبما هو كائن وبما لا يجب وبما هو غير كائن مع حُسن تصرف وتدبر تجاه كل من هذه المتغيرات بمراعاة كل من الظرف ألزماني والمكاني والموضوعي المناسبات للتدخُّل أو العمل أو الإصلاح أو الإقدام أو الانسحاب، ولذلك فالمعرفة حُسن تصرف في ظروف متباينة، ومع متغيرات متنوعة ومختلفة، مع استقراء مُسبق لردود الأفعال في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، ووعي بما يجب قبل الإقدام عليه.

ولهذا فإن نتائج التواصل المعرفي الموجبة متوقعة بالنسبة للذي قرّر الاتصال عن معرفة، أما الاتصال غير المعرفي (غير المؤسس على معرفة مسبقة) فقد يجعل الأفراد في مواقف الذهول والاستغراب والتعجب نتيجة لوقوع ما لم يكن في الحسبان. ولذا فالمعرفة تتسع على المستوى الإنساني وتمتد لتستوعب الشعوب والأمم حتى تعم المعمورة، وتُسهم في إنارة الدروب والسُبل المحققة للنجاح والتقدم، وحتى لا يحدث الاستغراب أو المفاجئات ينبغي أن تُقدَّم المعارف والحقائق كما هي، فتقديمها كما هي يُسهم في إنهاء الجهل وتحقيق النُقلة.

وعليه فالقاعدة هي:

1 . التواصل المعرفي.

2 . تقوية الروابط الإنسانية.

3 . تقديم الحقائق كما هي.

والاستثناء هو:

1 . التواصل بلا معرفة.

2 . ضعف الروابط الإنسانية.

3 . عدم تقديم الحقائق كما هي.

وبما أن التواصل المعرفي يقوي الروابط الإنسانية.

إذاً التواصل المعرفي يحقق الاندماج القيمي بين بني الإنسان، أمَّا التواصل بدون معارف فقد يؤدي إلى نقل معارف مزوّرة وحينها تحدث المفاجئات والظنون بين الأفراد والجماعات والمجتمعات ما يرتب انتكاسات في الفعل والسلوك والتوجه السياسي والاقتصادي، ويؤدي إلى مرجعات قد تكون موضوعية وقد تكون نتيجة ردود أفعال وانعدام المنطق والحُجَّة.

وعليه:

. تعرَّف قبل أن تُقرر.

. تقدَّم بعد أن تعرف.

. اعترض أو أيد بعد أن تستمع.

. نفذ بعد أن تقرر بوعي.

. قوِّم جهودك قبل النهاية.

. حدد أهدافك.

. ارسم خططك.

. توقّع ما سيتوقع منك وفكّر بمتسع.

. توقع ما لا يتوقع منك وفكّر بقوة.

. حدد ما تتوقعه من الآخر.

. حدد ما لا تتوقعه من الآخر.

هذه المرتكزات القيمية إذا ما وضعت في الحسبان، فان الخطط والاستراتجيات والبرامج تصاغ وتوضع في دائرة الممكن الذي لا يترتب عليه المفاجئة والاستغراب.

التواصل الثقافي يقوي الروابط الاجتماعية والإنسانية:

الثقافة: إنارة للعقل والفكر الإنساني وإلماما بمعلومات ومعارف وخبرات وإدراك لقيم سائدة وسلوكيات وأفعال معتبره أو غير معتبره من قبل البعض للبعض.

والذي يُمكِّن من ذلك هو التواصل الواعي والإطلاع المدرك لما يُثار مباشرة، ولما يثار غير مباشر (بشكل ضمني) واستقراء بين الأسطر حتى تتم عمليات التبيُّن العقلي والمعرفي للإنسان ولان الثقافة مُكوّن جمعي من جهود البشر، لذا لا ينبغي أن تُحتكر أو يوضع سقفاً عليها من قبل البعض؛ ولهذا فالمجتمع المثقَّف دائما يتطلَّع بدون مخاوف إلى الآخر والى ما يمتلكه من علوم وثقافات متعددة ومتنوعة سواء أكانت بائدة كالتراث والحضارة أم كانت متطلِّعة كالعلوم والتقنية.

وبما أن التواصل الثقافي يقوي الروابط الاجتماعية والإنسانية.

إذاً القاعدة هي:

1 . التواصل الثقافي.

2 . قوة الروابط الاجتماعية.

3 . قوة الروابط الإنسانية.

والاستثناء هو:

1 . انعدام التواصل الثقافي.

ضعف الروابط الاجتماعية.

ضعف الروابط الإنسانية.

ولذا فعلى الباحث أن يتبيَّن الثقافة ومكوناتها القيمية وحاجات الأفراد والجماعات والمجتمع منها حتى لا يكون للانفتاح عائد سلبي يؤثر على علائق الأفراد والجماعات والمجتمعات في الوسط الاجتماعي.

وبما أن التواصل الثقافي يقوي الروابط الاجتماعية.

إذاً بتحقيق التواصل الموجب تقوى العلاقة القيمية وتزداد الرابطة الاجتماعية في تمكين وتحفيز الأفراد للتطلُّع المفيد حتى يزدادوا منفعة ومعرفة.

ولهذا الازدياد المعرفي يُمكِّن من الاختيار عن وعي وإرادة.

ومع أن الثقافة ليس لها حدود إلا أن لها نهاية تقف عندها فمع أنها امتداد عبر الزمن إلا أن الوقوف على ما وصلت إليه البشرية من علوم ومعارف وثقافات لا يعد نهاية في الزمن الحاضر بل تستمر الثقافة والمعارف والعلوم في ازدياد إلى النهاية (نهاية الإنسان).

التواصل يُشبع حاجة اجتماعية وإنسانية:

ولأنّ التواصل يشبع حاجة اجتماعية وإنسانية، لذا فالتواصل ضرورة إشباعية، مما يجعل الأمر بدونه في حالة عوز وحاجة.

فمثلما يروي الماء العطش، ويشبع الأكل الجوع، يزيل التواصل العزلة والفرقة ويقوي اللحمة، ولذا فالتواصل يشبع حاجات اجتماعية وإنسانية متنوعة ومتطوّرة.

وعليه: فالتواصل بنائي، مثلما الشرب والمآكل بنائيين، إلا أن التواصل بنائه قيمي معنوي، أما الشرب والمآكل فبنائهما مادي (بناء الجسم ونموه).

ولهذا التواصل يؤدي إلى المزيد من التماسك والقوة، أما الانغلاق والتفكك فيؤديان إلى المزيد من التباعد والجمود والوهن.

ولأن التواصل (الموجب) يشبع حاجات اجتماعية وإنسانية، فهو بالضرورة يحقق للأفراد والجماعات والمجتمعات الطمأنينة والأمن والمحبة والتعاون والمشاركة الفعّالة، حتى يزيل عنهم الخوف والقلق والظنون، ويزيل علامات الاستفهام والاستغراب التي قد تعلق بأذهانهم، وهو كذلك يجيب على كل سؤال، ويفتح مجالات البحث أمام العقل الذي يسعى إلى المزيد المعرفي، ويُمكِّنه من التساؤل الحر دون تردد.

التواصل قوة امتداد كلما تهيئة لها الظروف:

بما أنّ التواصل قوة امتداد كلما تهيئة لها الظروف.

إذن القاعدة هي:

1 . قوة التواصل الامتدادي (قوة دفع).

2 . تهيئة الظروف.

والاستثناء هو:

1 . ضعف التواصل الامتدادي (قوة شد).

2 . عدم تهيئة الظروف.

والسؤال الذي قد يعلُق بذهن البعض هو:

كيف يكون ضعف التواصل الامتدادي (قوة شد)؟

نقول:

عندما يصاب الأفراد بالانطواء أو النكوص، أو الإدمان في تعاطي المخدرات، ويصعب علاج حالاتهم ألا تُعد هذه الصعوبة قوة لا يستهان بها، في مواجهة القوة التي تستهدف العلاج؟

بالتأكيد أنها صعوبة لا يستهان بها، أي بالتأكيد أنها قوة، وإلا لماذا استطاعت أن تصمد في ميادين المواجهة مع القوة التي تود أن تمتد في الاتجاه الإصلاحي الايجابي.

ولهذا فالقوة الهدمية أو التدميرية أو السالبة للإرادة هي قوة سلبية، أمَّا القوة البنائية والتطلُّعية هي قوة إيجابية، ولذا يعد الضعف قوة تستوجب تغييرا من حالة السلب إلى حالة البناء.

وعليه عندما يواجه القوة ضعف ليس بالضرورة أن يتحقق النصر، فعلى سبيل المثال: إذا قرر الشعب أن يسقط الحكومة واتخذ المقاومة السلبية سبيله في ذلك ألا يعد ذلك كفيل بإسقاط الحكومة؟

إذاً عندما تحدث الاستجابة تمتد القوة بلا تردد، وعندما تنعدم الاستجابة يصعب على القوة أن تمتد بلا تردد.

فالحب على سبيل المثال يعد قوة امتداد عندما تتهيأ الاستجابة من الطرفين، أما إذا تهيئة القوة الدافعة من طرف واحد، ولم تتهيأ من الطرف الآخر (الطرف الذي يعاني من ضعف في هذا الأمر) فقد تُهزَم القوة الدافعة للطرف الأول (المُحب) بقوة ضعف الطرف الثاني (غير المحب)، وإذا ما تحقق ذلك، تحقق انهزام القوة بالضعف.

ولهذا هناك من ينظر برؤية أخرى وهي: أن الطرف الأول (المُحب) هو الذي يمر بحالة ضعف، والطرف الثاني (الذي لم يحب) متماسكا وهو في حالة قوة. وإذا ما صَحَّ هذا الرأي تكون النتيجة إن قوة الامتداد لم تحقق هدفا، وقوة الانغلاق

والانكماش صمدت ولم تمتد حتى زال المؤثر. في هذا المثال لم يكن للحب أثرا، أنه مجرد نظرة من طرف يعتقد أنه يمتلك القوة وأول محاولة لاستخدامها لم تحقق هدفا. ولهذا فالضعف قوة سلب الإرادة، في مواجهة قوة دافعة لبنائها.

ولأن التواصل يقوى الروابط الإنسانية التي تربط المجتمعات في نسق قيمي علائقي على المستوى الإنساني، لذا يسود بين الأفراد الحب والتفاهم وتقوى عندهم روح الاعتزاز والانسجام والمودة التي تُولِّد لديهم الشعور بالولاء والانتماء لمجتمعهم بما يقوي الرابطة بينهم على مستوى الوطن أو الأمة فيجعلهم في حالة تضامن وتآزر ومودة.

أما التفكك والانفصال فَيُضعِفْ الروابط الاجتماعية ويجعلها في حالة الاستثناء فيعم التصادم والصراع بين الأفراد وينعدم الاستقرار الذي يؤدي إلى التجزئة والعنصرية بين بني الإنسان.

التواصل احتواء على سابق وتطلّع للاحق:

بما أنّ التواصل احتواء على سابق وتطلّع للاحق.

إذاً التواصل حلقة ترابط بين سابق ولاحق.

ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

ولهذا فالتواصل يُمكِّن من الاحتواء على السابق والتطلُّع للأفضل.

وعليه فالقاعدة هي:

1 . التواصل مع التاريخ.

2 . التواصل مع الآخر.

3 . التواصل مع القدوة.

4 . التطلّع للمستقبل.

5 . العمل على بلوغ الأمل النافع.

والاستثناء هو:

1 . عدم التواصل مع التاريخ.

2 . عدم التواصل مع الآخر.

3 . عدم التواصل مع القدوة.

4 . عدم التطلّع للمستقبل.

5 . عدم العمل على بلوغ الأمل النافع.

وعليه:

1 . أعمل على تفطين ذاكرة الأفراد.

2 . بيِّن لهم نقاط الضعف التي شوَّهت ذاكرتهم وطمستها.

3 . مكِّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

4 . مكِّنهم من معرفة المعلومات الصائبة.

5 . مكِّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

6 . مكِّنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

7 . أغرس فيهم حب الآخر.

8 . حفِّزهم على التطلُّع الموجب.

9 . عودهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

10 . مكّنهم من المشاركة التي تُيَسِّرَ لهم النُقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذاكرة تُصنع بقوة الإرادة وقوة العزيمة التي تخلق شخصية قوية. فالشخصية القوية هي التي لا تغفل عن معطيات الزمن الحاضر ولا تنغلق عليها بل تتطلُّع إلى ما هو آتي، كي تصنع مستقبلا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرة.

لذا يكْمن دور المخطط في مساعدة الفرد والجماعة والمجتمع على رسم السياسات والتخطيط لصناعة المستقبل.

ولذا تُصنع الذاكرة بنوعية التواصل الآتي:

. تواصل الأجيال مع الأجيال.

. تواصل التاريخ مع التاريخ.

. تواصل الحضارة مع الحضارة.

. تواصل الثقافة مع الثقافة.

. تواصل المقتدي مع القدوة.

ولهذا فالتواصل مع التاريخ يصنع الذاكرة.

ولذلك فالقاعدة هي:

صُنع الذاكرة.

والاستثناء هو:

طمسُ الذاكرة.

التواصل يُحدِث النُقلة:

بما أن التواصل يُحدِث النُقلة، وإحداث النُقلة يصنع المستقبل.

إذاً الثبات والجمود لا يحدث النقلة ولا يصنع المستقبل.

ولهذا فالقاعدة هي:

إحداث النُقلة.

واستثناء هو:

الجمود والسكون.

لذلك إحداث النُقلة فعل موجب، والجمود فعل سالب.

فعندما تُترجم الثقافة إلى سلوكيات وأفعال تمدُ الأفراد والجماعات والمجتمعات بالقوة الدافعة إلى استمرارية التواصل مع الآخرين المنتجين للمعرفة والعلوم وتمكنهم من بناء ذواتهم الاجتماعية المتطلّعة لكل ما هو جديد ومفيد.

لذا فالتواصل الثقافي لا يقف عند حدود ما هو متوفر، بل يمتد ليفتح مجالات التطلّع والاكتشاف الذي يُمكِّن من الزيادة والتوسع في دائرة المعارف الإنسانية الميسِّرة من صناعة المستقبل، وإحداث النُقلة من المستويات القيمة الأقل إلى المستويات القيمة الأكثر تطوراً والأكثر رفعة ورقيا.

وبما أن التواصل الثقافي يحقق الرفعة القيمية.

إذاً القاعدة هي:

الرفعة القيمة.

والاستثناء هو:

الانحطاط القيمي.

ولهذا فالرفعة القيمية تُعزز العلائق بين الأفراد والجماعات والمجتمعات وترتقي بأساليبهم في ممارسة الأفعال والسلوكيات.

وعليه: إذا أراد الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي إن يمارس أدواره مهنيا أن لا يغفل عن الآتي:

1 . تقبل الأفراد كما هم.

2 . البدء معهم من حيث هم.

3 . نقلهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

وهذه لن تتحقق إلا بمراعاة الآتي:

1 . تفهُّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصة والعامة.

2 . الاعتراف بأن لكل فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات يتم حمْلها.

3 . استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

4 . تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميا وثقافيا وحضاريا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

التاريخ يصنع قيم التواصل الإنساني:

إذاً بالنسبة لقاعدة التواصل، التاريخ لا يُغض النظر عنه، ولهذا من يَغُض نظره عنه، يواجهه غير المتوقع، وحينها تحدث المفاجئة التي تجعله في حاجة لمن يُقدِّم له المساعدة الهادفة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزمن اجتماعياً وإنسانياً.

وبما أن ما يُقدّر اجتماعياً وإنسانياً، يجب أن يُوضع في الحسبان.

إذن على التربوي أو الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي الآتي:

1 . أن يضع في حساباته وتقييماته كل مُقدّر لدى الأفراد والجماعات والمجتمعات.

2 . أن يُصنِّف قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقاً لأولوياتها وأهميتها بالنسبة لكل منهم.

3 . أن يمد يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كل فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

4 . العمل على إحداث تغيير في النسق القيمي للأفراد والجماعات، إذا اكتشف تعارض في البدائل المعيارية، فمثلاً: العطاء بدون مقابل (لقيمة الكرم) وتعارضها

مع التقتير وشدة الحرص (لقيمة البخل) يجعل البعض يشعر بقوة شد وجدب في وقت واحد.

5 . العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النافعة.

6 . تهيئته الأفراد لتقبل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

بناء على ذلك، تؤكد يجب على الباحث أو الأخصائي الاجتماعي على الآتي:

7 . التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيات المهنة بمهارات متنوعة.

8 . التواصل ثقافيا ومعرفيا مع الأفراد والجماعات، لكي يجعلهم في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعية والإنسانية التي حادوا عنها بنسب متفاوتة.

9 . العمل على تمكين الأفراد من الاتصال مع إطارهم المرجعي، وقيم مجتمعهم، دون أن يغضوا النظر عن أهمية قيم الآخرين.

10 . تمكين الأفراد والجماعات من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصة) حتى لا يُحّلقوا في الهواء، بمنعزل عن هذه المعطيات.

الفصل السادس

قاعدة

(الاستيعاب)

(الاستيعاب)

الاستيعاب قيمة امتدادية تُرسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر وفقا لقاعدة النسبية حيث لا مُطلق إلا من عند الله تعالى، ولذا تتراتب قيم الأفراد والجماعات اجتماعيا على السلم القيمي من المستوى الأناني إلى الإنسحابي إلى الذاتي ثم إلى التطلعي والموضوعي.

وبناءً على هذه المستويات القيمية الخمس تمتد قيمة الاستيعاب أو تنكمش.

ولان الإنسان اجتماعي بطبعه، لذا فان استيعاب البعض للبعض هو الذي يؤدي إلى توسيع دائرة القبول والرفض التي تؤسس قاعدة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أن الاستيعاب قيمة احتوائية تطوى الهوة بين الأنا والآخر.

إذاً:

القاعدة هي:

الاستيعاب يطوي الهوة.

والاستثناء هو:

الإقصاء يزيد الهوة أتساعا.

ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك، علينا أن نجيب على السؤال:

كيف يصبح الاستثناء هو الاستثناء؟

عندما تستثني جماعة ما عضوا من أعضائها من المشاركة، أو يستثني مجتمعا ما جماعة من جماعاته من المشاركة، فإن هذا الاستثناء يخالف القاعدة التي تستوجب مشاركة كل أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابية، وهذه قاعدة.

والاستثناء لا استيعابي وهذا استثناء.

الصحيح أن يتم الاستيعاب.

والاستثناء هو أن تتخذ مواقف من البعض ولا يتم الاستيعاب.

في الاستيعاب القوة، وفي الاستثناء الضعف:

بما أن في الاستيعاب القوة وفي الاستثناء الضعف.

إذاً القاعدة هي:

في الاستيعاب القوة.

والاستثناء هو:

في الاستثناء الضعف.

ولهذا الاستيعاب قيمة احتوائية تطوي الهُوة بين الأنا والآخر.

والاستثناء يزيد الهوة بينهما.

ووفقا لقاعدة المتوقع وغير المتوقع، يمكن أن يكون الضعف قوة استيعابية، ويمكن أن تكون القوة ضعفا استثنائي.

على سبيل المثال: طاعة الوالدين.

هل هي ضعف أم قوة؟.

الإجابة الموضوعية أنها تقع في دائرة الممكن.

كيف؟

من ناحية أنها قوة أيمانية (طاعة الوالدين في غير معصية الله واجبة).

ومن ناحية عقلية منطقية مجردة، فهي القبول بالخضوع، بتنازلات قد لا تكون مرضية للأنا (على عكس من رغباته أو طموحاته) ولهذا قد ترغب الأنا الإقدام على فعل الشيء، وفي الوقت ذاته تواجهها قوة ممانعة أو رفض من الوالدين أو احدهما.

وهكذا الحب هو الآخر ذو أثر قوة، وأثر ضعف في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولذا فالحب قوة موجبة، وقوة سالبة.

قوة موجبة: حيث يُمكّنك من استيعاب الآخر بلا تردد، وغزوه بلا حدود.

وهنا نلاحظ شيئين متناقضين هما:

الاستيعاب الموجب: الذي فيه فُسحة للنفس وللذوق الرفيع ولقوة الحواس، حيث ينقلك من مواقع الغفلة إلى قمم الفطنة، التي تمدك بالصحوة في كل حين، وتفتح عليك آفاق تُمكّنك من نيل الاعتراف والتقدير، وتجعل مشاعرك في حالة فيض كلما تُبادل. وهنا يكون الحب قوة تمركز التعادل بين المحبين، فكلما امتديت مسافة لتملأ

الآخر مودة تقدم نحوك بالتماثل ليملئك ودا، وحينها يكون الحب بين (الأنا والآخر) قوة استيعابية، تُمكّن من الإبداع والعمل المنتج والتحدي لمواقع الضعف.

الاستيعاب السالب: هو الذي يجعلك في حالة تنازلات كلما فكَّرت في الابتعاد، أو الانفصال، حيث لن تطيق الفراغ من بعده (بعد غزوته) التي جعلتك أسيرا بلا قوة. والذي يسيطر عليك هنا ليس القوة، كما تعتقد، بل الضعف (القوة السالبة للإرادة) ولذا وفقا لقاعدة المتوقع ستكون أسيرا خائفا مترددا.

أما بالنسبة لغير المتوقع فمن الممكن أن تقبل بدفع الثمن وتنفض الغبار من على ظهرك، مما يجعلك في حالة استرداد للقوة، وتأكد أنك تستطيع أن تفعل إذا كانت الغزوة استعمارية استعبادية أو استعلائية. أما إذا كان ودا متبادلا إراديا فيكون الحب قوة.

وعليه، الحب قوة غازية متحدية، لن تجد لها مكانا إلا إذا تمكنت من الحصول على إذنٍ بذلك من الآخر، وفي مقابل ذلك ليعلم الأنا والأخر أن للحب ثمن فلا ينبغي إنكاره، مما يجعل الاعتراف به قوة، وإنكاره ضعف.

وفي كلتا الحالتين الحب قوة بضعفه وبقوته، ولهذا لو لم يكن الضعف قوة ما كان له الأثر السالب، ولو لم يكن الحب قوة ما كان له الأثر الموجب.

الهُوة بين الأنا والآخر لا تُطوى إلاَّ بالاستيعاب:

بما أن الاستيعاب قيمة احتوائية تطوي الهوة بين الأنا والآخر.

إذاً:

. الاستيعاب قيمة احتوائية.

. الاستيعاب يطوي الهوة بين الأنا والآخر.

ولذا فإن طي الهوة يتطلب الأتي:-

. تقبل الآخر كما هو، حتى لا تُزوَّر صفاته التي تميزه عن الغير.

. التواصل مع الآخر اجتماعيا وإنتاجيا وسياسيا ونفسيا وذوقيا وثقافيا.

. التعامل بشفافية .

. التجرد من الأنانية.

. الاعتراف بالآخر.

. التطلُّع لما يجب.

. التقييم بمنظور معياري.

. استيعاب الخصوصية.

. الإقرار بوجوبية أخذ الحقوق، وبأحقية أداء الواجبات، وبأهمية تحمُّل المسؤوليات.

. التقدير لمن يجب ولما يجب.

وعليه فان القاعدة هي :

1 . الاستيعاب احتوائي.

2 . الاستيعاب طاوي للهوة.

والاستثناء هو:

1 . الإقصاء إبعادي.

2 . الاستيعاب لا يطوي الهوة.

ولذا فإن أخذ الحق والمطالبة به قاعدة، والحرمان منه استثناء. وبالتالي يجب استيعاب من له الحق وإعطائه له. أما من يُستثنى ويحرم من حقه، فهو في حاجة للمساعدة الهادفة.

تقبل الآخر كما هو فعل استيعابي من ورائه غاية:

بما أن تقبل الآخر كما هو فعل استيعابي.

إذاً:

لا تقبل إلا لآخر أو من آخر.

ولهذا فالاستيعاب فعل لِطي الهوة بين المستوعِبْ والمستوعَبْ.

ولا يمكن أن يتم الاستيعاب إلا بإعطاء فُسحة للامتداد المتبادل مع قبول كل طرف للطرف الآخر.

ولأنه كذلك فان الاستيعاب قيمة إرادية.

لذا فان القاعدة هي:

1 . الاستيعاب امتداد متبادل.

2 . الاستيعاب قيمة إرادية.

والاستثناء هو:

الاستيعاب امتداد بلا تبادل.

الاستيعاب قيمة لا إرادية.

وبما أن تقبل الآخر كما هو فعل استيعابي.

إذاً:

. تقبله كما هو.

. بادله التقدير.

. بادله الاعتراف.

. بادله الاعتبار.

. عامله بشفافية.

. عامله بلين ومرونة.

وعليه:

. تمسّك بالقيم الأخلاقية وابتعد عما يبعدك عنها.

. قدَّر الآخر يُقدِّرك.

– تمسّك بالقيم التي تطوي المسافة بينك وبين الآخر.

. تقبل الآخر كما هو وأعمل على تغييره إلى ما يجب.

. استوعب الآخر الذي باستيعابه يزوُّدك بالمنفعة.

. استوعب الآخر الذي هو في حاجة للمساعدة.

. اعمل معه لأجل أن تحدث لكمم النقلة.

. اعترف بالآخر يعترف بك.

. اغرس الثقة في الآخر يغرس الثقة فيك.

ولهذا فإن الغاية من وراء العملية الاستيعابية هي: أن الإنسان قيمة في ذاته، ولأنه قيمة في ذاته، فإن تقبُّله واجب قيمي.

ولهذا الاستيعاب ألقيمي قاعدة، والانسلاخ عنه استثناء.

الاستيعاب مجال للامتداد ألقيمي:

بما أن الاستيعاب مجال للامتداد القيمي والقيم تتعدد وتتنوع من مجتمع لآخر ومن شريعة لأخرى وعلى المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي.

لذا فان :

الاستيعاب مجال للامتداد القيمي الاجتماعي .

الاستيعاب مجال للامتداد القيمي الإنتاجي

الاستيعاب مجال للامتداد القيمي السياسي

الاستيعاب مجال للامتداد القيمي النفسي

الاستيعاب مجال للامتداد القيمي الذوقي

الاستيعاب مجال للامتداد القيمي الثقافي

ولهذا لم يتم الاستيعاب الموضوعي إلا بمراعاة امتداداته في المجالات الست السابقة ولا يُقدّر الأفراد بعضهم بعض إلا بالتفهَّم المنطقي للظروف التي قد تلمَّ بهم في المجالات المذكورة أعلاه.

مما يجعل أفراد المجتمع في حاجة لمبادلة قيمة بقيمة حتى تستمر في الامتداد والتقبل دون أي أملاءات أو إجبار وحتى يصبح للقيمة أثرا اجتماعيا في نفوس الأفراد والجماعات.

ولكي يؤدي الباحث دوره بنجاح عند دراسات الحالات فعليه بمعرفة مجالات الامتداد القيمي وما تحققه من تنفيس وجداني لأفراد المجتمع.

ولهذا فإن الاستيعاب (هوَّ... هوَّ) ومجالاته ليس (هي... هي)

ولذا لا يمتد الاستيعاب إلا في مجالاته، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية.

ولذلك يُعد الاستيعاب محققاً للآتي:

- التنفيس الاجتماعي .
- التنفيس الإنتاجي.
- التنفيس السياسي.
- التنفيس النفسي.
- التنفيس الذوقي.
- التنفيس الثقافي.

وعليه فالتنفيس في هذه المجالات هو القاعدة، والكبت فيها هو الاستثناء.

ولكـي يـؤدي الباحـث أو الأخصـائي الاجتمـاعي أو النفسـي، دورهـم بنجـاح علـيهم بمعرفة مجالات الامتداد القيمي، وما تحققه من تنفيس للأفراد وظروفهم المحيطة.

للاستيعاب مستويات قيميّة في دائرة الممكن:

الاستيعاب قيمة ذات اثر على شخصيات الأفراد والجماعات والمجتمعات بدرجات غير متساوية ونظرا لوجود الفروق الفردية من حيث القدرات والاستعدادات والثقافات والتعليم، فان هذه المتغيرات تجعل قيمة الاستيعاب على السُلَّم القيمي في مراتب ومستويات متباينة، ولكل مستوى قيمي درجة قياسية تختلف من حيث الاختيار والتقدير من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى ووفقا لخماسي عقيل لتحليل القيم فإن المستويات القيمية هي:

أولا . المستوى القيمي الموضوعي و يتمركز على الآتي:

ـ تقبل الآخر كما هو بغض النظر عن لونه أو جنسه أو دينه أو انتماءه أو خصوصيته الاجتماعية، وتقديره واحترام آراءه بما يُمكِّن الأفراد من التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني.

. التفهُّم المتبادل بين الأنا والآخر يعد أساساً لبناء مجتمع الفكرة الذي يؤسس على تبادل القيم الفاضلة.

. التعامل بكل شفافية مع الآخر بما يحقق الاستيعاب والتفاعل والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيات.

. الوعي بممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات.

. تقدير الآخر والاعتراف به.

. غرس الثقة في الغير.

ـ التملُّك وفقاً للحاجة، والعمل وفقًا للتخصص والخبرة، والإنتاج وفقاً لمواصفات ومعايير الجودة النوعية.

. المساواة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته.

. التجرد من الانحياز غير العادل.

. أدراك الحقائق كما هي لا كما يجب أن تكون عليه.

. التمسُّك بالمصادر الطبيعية كالعرف والدين في تقويم السلوك والفعل.

ثانيا . المستوى التطلعي ويتمركز على الآتي:

. الانفتاح على الآخر من اجل ما يفيد مع عدم التفريط في الذات التي ينتمي الأفراد أو الجماعات أليها.

. أدراك ما يجري ومحاولة تكوين علائق على أكثر من مستوى موجب.

. التهيؤ للتغيير النافع.

. الاعتماد على المنطق في المحاجَّة.

. المقدرة على الاستنباط المجرَّد للحقائق.

. الطموح بما لا يطمس الهوية.

. الاعتدال والاتزان الانفعالي مع القيم الذاتية والقيم المتطلَّع إليها.

ثالثا . المستوى الذاتي ويتمركز على الآتي:

. حب الذات الاجتماعية.

. التعصُّب إلى مقومات الخصوصية حتى ولو كانت على غير صواب.

. التمسك بالموروث حتى وان كان في حالة عدم اتزان مع واقع العصر.

. التباهي بالذات حتى وان لم تكن مواكبة لحركة التغير المفضَّل.

رابعا . المستوى الإنسحابي ويتمركز على الآتي:

. الانسحاب من القيام بالأفعال الموجبة أو المشاركة فيها.

. الميل إلى الأنانية.

. عدم تحمَّل المسؤولية.

. عدم الإسهام في بناء الشخصية الوطنية.

. التمسك بمطالبة الحقوق والانسحاب من أداء الواجبات.

. لا تُعد السلبية من الأعمال المعيبة.

ـ التمثيل وفقا لنظرة لهذا المستوي الإنسحابي لا يعد عيبا وبالتالي من يستطيع إن يقوم بالواجبات نيابة عن المنسحب فليقوم بها.

خامسا . المستوى الأناني ويتمركز على الآتي:

. الأنانية وعدم تقبل الآخر.

. تغليب مصلحة الأنا على مصلحة الذات.

. تجاوز الحدود على حساب الآخرين.

. المعيار: (أنا كل شيء).

. المقياس: (الأخذ بدون عطاء).

. الرؤية الشخصانية.

وعليه:

. لا تكن أنانيا فالأنانية نقيصة.

. لا تكن انسحابيا فالانسحاب عيب من المواقف الموجبة.

. احترم ذاتك يحترمك مجتمعك ويُقدِّرك الآخرين.

. تطلَّع إلى ما هو أفضل تحدث لك النُقلة وتصنع لك مستقبلاً.

. كن موضوعياً تنال الاحترام والتقدير وتكسب الهيبة.

وبناء على ذلك يكون دور الباحث الاجتماعي العمل على إحداث النُقلة وفقا للآتي:

1 . أن يحدد المستوى القيمي الذي عليه حالة الأفراد و الجماعات.

2 . أن يبدأ مع الحالات من حيث هي.

3 . أن يعمل على نقلها إلى ما يجب .

وفي دائرة الممكن هناك أربعة احتمالات لكل مستوى من المستويات القيمة الخمسة، وفقا لخماسي عقيل، الذي تم عرضه في جدول تصنيف الممكن في الصفحات السابقة في دائرة (المتوقع وغير المتوقع). وبرغم ذلك قد يتساءل البعض:

ما هي هذه الاحتمال المُمكِنة، وهذه المستويات المشار إليها؟

أولا الاحتمالات هي:

1 . المتوقع الموجب.

2 . المتوقع السالب.

3 . غير المتوقع الموجب.

4 . غير المتوقع السالب.

ثانيا المستويات القيمية هي:

! . المستوى الذاتي.

2- المستوى التطّلعي.

3- المستوى الموضوعي.

4- المستوى الإنسحابي.

5- المستوى الأناني.

وبناء على ذلك، يجب على الباحث الاجتماعي أن يتدخل مهنيا حتى تحدث النُقلة، التي لا يمكن بلوغها إلا بإتباع الخطوات الآتية:

1 . تحديد الأهداف.

2 . صياغة خطة عمل مهني.

3 . ألعمل على معرفة المستوى التي عليها حالة الأفراد أو الجماعات.

4 . ألبدء مع الأفراد من حيث هم.

5 . العمل على ما يجب.

6 . إحداث النقلة.

الاستيعاب فُسحة امتداد المسموح به إلى النهاية:

بما أن الامتداد وفقاً لما هو مسموح به.

إذن إعطاء الفُسحة ليس بمطلق.

ولهذا إعطاء الفُسحة قاعدة، وعدم إعطائها هو الاستثناء.

ولذا، فالفُسحة فرصة تُغتنم.

ولأنها كذلك، فالقاعدة هي:

1 . اغتنام الفرصة.

2 . الاستيعاب فُسحة.

3 . السماح بالامتداد المُقدَّر.

4 . لكل بداية نهاية.

والاستثناء هو:

1 . عدم اغتنام الفرصة.

2 . الاستيعاب ليس بفسحة.

3 . عدم السماح بالامتداد المقدَّر.

4 . ليس للبداية نهاية.

وعليه:

1- أعطي الفرصة.

2- أعطي الفُسحة.

3- اسمح بالاغتنام.

4- قيّم مجهود من أعطيت له الفرصة.

5- قارن المجهود بالعائد من ورائه.

6- قيّم حتى تكتشف نقاط القوة والضعف.

7- صحّح الانحراف.

وبما أن الاستيعاب مجال امتداد قيمي.

إذاً: يتضمن هذا المجال القيمي الامتدادي القيم الآتية:

. التفهَّم .

. الوضوح.

. الشفافية.

. السعة.

. الانفتاح.

. احترام الخصوصية.

. التقدير.

. الاعتراف.

. الثقة.

التفهَّم يُمكَّن من الاستيعاب:

بما أنّ التفهُّم يُمكِّن من الاستيعاب.

إذاً لماذا لا يُفسح المجال بين أفراد المجتمع ومن له علاقة بهم من الإطلاع على كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الاستيعاب؟

وبناء على القيم المتضمنة في النظرية الاجتماعية (الإنسان اجتماعي بطبعه) فان التفهَّم الذي به يتم تقدير الحالة المدروسة وظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية هو المُمكن من تأكيد وتحقيق قيمة الاستيعاب.

ولهذا:

. تفهَّم ظروف الآخر.

. تفهَّم واقع الحالة كما هي.

. تفهَّم الصعوبات التي تواجه العملاء.

. قدَّر حالاتهم وظروفهم.

. لا تصدر أحكاما مسبقة.

. أعطي الفرص وافترض خيراً.

. اعرف أن كل شيء ممكنا.

في الاستيعاب تكمن الرغبة:

الرغبة طاقة استيعابية.

ولهذا لا استيعاب بدون رغبة، وبما أنه لا استيعاب بدونها.

إذاً القاعدة هي:

الاستيعاب مكمن الرغبة.

والاستثناء هو:

الإقصاء مكمن الرغبة.

وعليه: هيئ العأفراد للاستيعاب، إذا أردت العمل معهم من حيث هم إلى حيت ما يجب، لأجل إحداث النقلة التي لها يُصنع المستقبل.

ولذا فالاستيعاب أفعال عمديه لقرار مسبق.

من أجل ذلك، يتعمَّد الطبيب استيعاب مريضه، ويتعمَّد الأخصائي الاجتماعي استيعاب عملائه، سواء أكانوا في حالة اتزان، أم في حالة اضطراب وخوف، وسواء أكانوا معتمدين لمنطق، أم في حالة حيادٍ نسبيٍ عنه.

ولهذا تُنفَّذ الأفعال العمدية عن وعي وإرادة.

لذلك فالقاعدة هي:

الوعي عن عمدٍ إرادي.

والاستثناء هو:

الوعي عن غير عمد إرادة.

وبناء على ما سبق:

1- اسمح برغبة.

2- تقدّم برغبة.

3- اعمل بوعي.

4- انطلق بقوة الإرادة.

5- استوعب عن عمد.

6- حلّل بمنطق.

7- شخّص على واقع.

8- قوِّم بموضوعية.

ولهذا فبالاستيعاب يمتد الاعتبار، وبدونه ينكمش.

ولذا فالقاعدة هي:

امتداد الاعتبار.

والاستثناء هو:

انكماش الاعتبار.

لذلك يُعد الاعتبار سمواً للرقي القيمي، مما يجعل السمو القيمي قاعدة، وانعدامه استثناء.

ولذلك فالاستيعاب مكمن الاعتبار للأنا والآخر.

ومن لا يَستوعِب لا يُستوعَب، ولهذا من يعاني من تأزمات في حاجة لمن يستوعبه.

وبما أن الاستيعاب يُشبع الحاجة.

إذاً البحث عنه ضرورة.

وبما أنه ضرورة.

إذاً لا يجب الإغفال عن أهميته لمن هم في حاجة إليه.

ولذلك يزداد الاستيعاب امتداداً، في حالة التقدير المتبادل، ولو لم يكن للتقدير مكاناً، ما كان للاستيعاب امتداداً.

ولأن الإنسان قيمة في خلقه، فهو المقدَّر في ذاته.

ولذا فإن تبادل التقدير وجوبي.

وبما أنه وجوبي.

إذن تبادل التقدير قاعدة، وعدم تبادله استثناء.

وعليه:

1- اعتبِر تُعتبر.

2- قدِّر تُقدَّر.

3- استثني تُستثنى.

4- اسمح بالامتداد يُسمح لك بمثله.

5- تطَّلع للآخر يتطَّلع إليك.

الاستيعاب محفِّز لنيل التقدير:

بما أنه لا تقدير بلا استيعاب.

إذاً لماذا لا يتم الاستيعاب حتى يتم نيل التقدير؟

وبما أن نيل التقدير حاجة ماسة للفرد والجماعة والمجتمع، ولا يتم نيله إلا بالاستيعاب، فلماذا لا يسعى الجميع إلى نيله بالاستيعاب؟

وبما أن نيل التقدير حاجة ضرورية.

إذاً نيل التقدير هو قاعدة قيمية، وفقدانه هو الاستثناء.

ولهذا الاستيعاب مكوِّن قيمي، للاعتبار والاعتراف والتقدير.

فأينما وُجِد الاستيعاب، وُجِد في مضمونه، قيم الاعتبار وقيم الاعتراف وقيم التقدير.

وعليه:

. تقبّل بلا حدود.

. استوعب بلا تردد.

. امتد إلى النهاية.

لذلك يستوعب الآباء أبنائهم، والزوج زوجه، والطبيب مريضه، والأخصائي عملائه، والجار جاره، والمدرس تلاميذه.

وعندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها، يحدث التفّرق والصدام والصراع، وتتجذَّر العداوات.

ولهذا يُعد الاستيعاب ضرورة لإظهار القيم بموضوعية وفقا للآتي:

1 . التقبل.

2 . الاعتراف.

3 . الاعتبار.

4 . التقدير.

5 . التفهُّم.

6 . المهارة.

7 . التحييد عن الفعل السالب.

8 . التحليل.

9 . التشخيص.

10 . العلاج والإصلاح.

11 – التقويم.

12 . رسم الخطط.

13 . إعداد البرامج.

14 . بناء التنظيم.

15 . تحقيق الأهداف.

16 . إنجاز الأغراض.

17. بلوغ الغايات.

وللمبررات الموضوعية السابقة، فإن الأفراد والجماعات هم في حاجة لان يستوعبوا من قِبل الباحث فإن أستوعبهم كما هم تمكَّن من تحريكهم إلى ما يجب، ثم يتمكَّن من إحداث النُقلة، التي تنقلهم من حالة الأنانية أو الإنسحابية، إلى حالة التطّلع للآخر، ثم من بعدها تتمكن من نقلهم إلى المستوى الموضوعي.

الشفافية تُمكّن من استيعاب العملاء بكل وضوح:

وبما أن الشفافية تُمكِّن من استيعاب الأفراد بكل وضوح.

إذاً القاعدة هي:

1 . الشفافية تُمكِّن من الاستيعاب.

2 . الاستيعاب بكل وضوح.

والاستثناء هو:

1 . انعدام الشفافية لا يمكن من الاستيعاب.

2 . الاستيعاب عن غير وضوح.

ولهذا:

. كن واضحاً تُستوعَب.

. كن على بينة حتى تتميز.

. كن صريحا تُقدَّر.

. جاهر بقول الحقيقة تُحترم.

. اعتمد المنطق يتم تفهَّمك.

القاعدة السادسة

الترابط

الترابط قوة التماسك الإرادي:

ولأنَّ الترابط قوة تماسك إرادي، فهو يتعدد ويتنّوع.

فهو المتعدد والمتنوع بين الإنسان وهو المتعدد والمتنوع بين النبات. وكذلك بين الحيوان يتعدد ويتنوّع، وأيضا بين الجماد يتعدد ويتنوّع، وهكذا بين الحشرات والطيور يتعدد ويتنوّع.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . الترابط قوة.

2 . الترابط تماسك إرادي.

والاستثناء هو:

1 . التفكك ضعف.

2 . التفكك انحلال إرادي.

ولهذا يتعدد ويتنوّع الترابط داخل المفردة الواحدة، فعلى سبيل المثال: في الإنسان يترابط السمع مع البصر، ويترابط الذوق مع اللمس، كما تترابط المشاهدة مع الملاحظة.

ولهذا تترابط الكلمة مع مخرجاتها وصورها البيانية والبلاغية، ومع طريقة عرضها لكي تصل إلى الآخرين.

وعليه: تصبح المعلومة حُجَّة الكلمة.

ولكن حجة بماذا؟

حجة بترابطها؛ ترابط معطياتها (بين ما يجب، بعد تنقيته مما لا يجب) ولهذا تصبح حُجَّة، نتيجة لقوة الترابط فيها.

فالترابط قوة تمتد من متغير إلى آخر.

على سبيل المثال:

الترابط بين النظر والسمع وبقية الحواس والعقل، فما تسمعه الأذن تشتاق العين لرؤياه، وتبتهج النفس إذا اشتمت رائحته الزكية، وتحسست ملمسه الناعم.

ولهذا فالقاعدة هي:

التماسك القيمي.

والاستثناء هو:

التفكك القيمي.

ولذا فلولا ترابط السمع مع النطق ما صغينا.

ولولا ترابط الذوق مع الطعم ما تلذذنا.

ولولا ترابط البصر مع الحركة ما لاحظنا.

ولولا ترابط ملكات تفكيرنا ما تذكّرنا وما تفكّرنا، وما استنبطنا وما استقرينا.

ولذلك تترابط الكلمة مع الفكرة قبل خروجها على الألسُن، وتترابط مع صياغتها أثناء خروجها، وتترابط مع صورها البنائية والبلاغية والوظيفية بعد خروجها. ولهذا الكلمة تحمل الحُجَّة في المعلومة.

وعليه:

. في البناء المتماسك قوة، وفي البناء المفكك ضعف.

. يسقط الجدار عندما تزداد فواصل التفكك فيه.

. يصمد شامخاً كلما زادت درجة التماسك بين لبناته.

. الأفراد والجماعات بتماسكهم تظهر القوة، وبتفرقهم يَظهر الضعف.

ولأن الإنسان في خلقه قوة.

إذاً من طبعه أن يكون متماسكاً، وإذا لم يكن كذلك، يصبح في مواجهة مع القواعد الطبيعية، ما يجعله في حالة ضعف ووهن.

رياضياً: 1 + 1 = 2

2 + 2 = 4

12 – 9 = 3

ولكن ماذا يعني هذا الأمر، أو على ماذا يدل؟.

يدل على وجود رابطة تماسك قيمي. أي أن قوة (1) بالترابط مع الآخر، تتضاعف (القوة تزداد قوة).

لذا: 1 + 1 تعني: قوة + قوة = قوة مضاعفة.

2 + 2 تعني: قوة مضاعفة + قوة مضاعفة = قوة أكثر مضاعفة.

12 – 9 = 3 قوة كبرى أصبحت تقل بكثير عمّا كانت عليه، ولهذا قوة ألاثني عشر حصانا تساوي أربعة أضعاف قوة الثلاثة حِصان.

وعليه، تزداد القوة أو تنقص من حيث الكم، بنسبة الترابط الذي عليه حالة الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وقد يتساءل البعض:

مع أنه بالتماسك تزداد القوة قوة، إذاً لماذا لا يصحو الضعفاء من غفلتهم، ويتماسكوا حتى يخرجوا من حالة الضعف التي هم فيها، أو التي هم عليها؟

الحل هو: إيقاظ الغافلين ومساندتهم على هزيمة الضعف ثم تمكينهم من التخلي عن مسبباته، وكشف عيوبه حتى يتمكنوا من تجميع عناصر بناء القوة.
أي أن حل الإشكالية يتمركز على: العودة إلى القاعدة، والتخلي عن الاستثناء.
ولمزيد من الإيضاح، نأخذ الفرضية القيميّة الآتية: (التفكك العائلي إشكالية).
هذه الإشكالية تتطلب استبدال مسببات التفكك بمسببات الترابط لأجل الإسهام في معالجة الحالة، وتُحل الإشكالية، فعلى سبيل المثال:
. تشتت الأبناء في أماكن الانحراف، وعدم مبالاة الأب والأم بذلك، يجعل الأسرة في حالة وهن وضعف، لأسباب التفكك التي ألمت بها.
ـ تمركز الأبناء والوالدين على قيم المجتمع وأخلاقياته المفضّلة، يجعل أفراد الأسرة في حالة ترابط وقوة.
ولهذا فالقاعدة هي:
. الترابط القيمي.
. العودة إلى القاعدة عودة إلى القوة.
والاستثناء هو:
. التفكك القيمي.
. الإنسحاب من القاعدة إنسحاب من القوة.

وعليه:
. تعاون مع الآخرين بإرادة تزداد قوة.
ـ اشترك معهم في كل ما يتعلق بك وبهم من أمر مشترك تطوي الهوة بينك وبين المستقبل البعيد.
. تفاعل مع محيطك الاجتماعي تنال الاحترام وتمتلك القوة.
. اندمج بقوة مع بُعدك الإنساني وفقا لدائرة الممكن حتى تغزو الفضاء.
. ابحث عن الأسباب حتى تعرف العلل التي تكمن وراؤها وتحدها بقوتك المجمّعة.
. ثق بأن لمشكلتك حلاً فلا تغفل.

ـ إذا أحسست بأنك تائها فاعرف بأنك في حاجة للإرشاد والتوجيه من قبل الآخر الذي يمدك بالقوة.

ـ اعلم أن التعايش مع المشكلة وهن (نسيج من خيوط العنكبوت) وأن رفضها وتحديها يمدك بالقوة.

. ازرع خيرا تجني خيرا وتزداد ثقة واطمئنانا.

. كن سبَّاقاً مثابرا ولا تتردد فكل شيء ممكنا.

. تمتع بالشمس وأنظر إليها دون أن تُحرم من رؤية الظل.

ـ ثق أنك ستنجح إذا ما عملت بخطة، وأن مشكلتك ستصبح في خبر كان إذا ما قبلت بتحدي الصعاب.

. لا تقف عند حدود التمني.

. تطلع إلى ما هو أفضل فإن النجاح ينتظرك.

الترابط الاجتماعي بناء متماسكا:

بدون شك لا يؤسس البناء الاجتماعي ولا تنتظم علائق أفراده وجماعاته إلا بقوة روابطهم الاجتماعية، أو الدستورية، أو القانونية، أو الدينية، أو العرفية.

ولذلك فالقاعدة هي:

1 . الترابط الاجتماعي.

2 . التماسك البنائي.

والاستثناء هو:

1 . التفكك الاجتماعي.

2 . الانحلال البنائي.

ولذا في البناء المتماسك قوة، وفي البناء المتفكك ضعف، ولهذا يسقط الجدار عندما تزداد فواصل التفكك فيه ويصمد شامخاً كلمّا زادت درجة التماسك بين لبناته، وهكذا المجتمع بتماسكه يظهر القوة وبتفرقه يظهر الضعف، ولأن الإنسان في خلقه قوة فهو إذاً من طبعه أن يكون متماسكاً وإذا لم يكن كذلك يصبح في مواجهة مع القواعد الطبيعية مما يجعله في حالة استثناء.

وعليه لولا الترابط ما عرفنا الدالة على الجمع والضرب والقسمة التي تعطينا حاصل علائقي مع الآخر. أي لولا الترابط ألعلائقي ما عرفنا الآتي:

أنَّ 1+1= 2 .

وأنّ 7×7 = 49 .

وأن 60 ÷ 10= 6 .

هذه المعاملات الرياضية تدل على وجود رابطة تماسك قيمي.

فواحد + واحد بالنسبة لنا يساوي قوة + قوة = قوة مضاعفة.

قوة مضاعفة × قوة مضاعفة = حاصل العلائق المتداخلة والمتماسكة والمترابطة التي تؤثر في بعضها بعض في مضاعفة القوة أو الجهد أو الإنتاج، الذي يحدث النُقلة.

ولهذا قوة الجماعة أكثر من قوة الفرد، وعندما تتضاعف قوة الأفراد والجماعات تصبح القوة أكبر على مستوى المجتمع، وهكذا تزداد القوة أو تنقص من حيث الكم بنسبة الترابط الذي عليه حالة الفرد أو الجماعة أو المجتمع.

وعليه:

. بالتماسك تزداد القوة.

. بالتفرُّد يسود الضعف.

. بالترابط تتضاعف القوة.

. بالانحلال يسود الوهن.

ولهذا إن لم يَصحَ الضعفاء من غفلتهم ويتماسكوا لن يخرجوا من حالة الضعف والوهن الذي هم فيه.

ولذا فإن الضعف موقف إشكالي يستوجب حلا.

والحل فقط يستوجب من يَقدم عليه بلا تردد، إنه المتاح في دائرة الممكن فلا تتردد.

وماذا يعني حل الموقف الإشكالي؟

يعني إنهاء حالة الضعف والتخلي عن مسبباته وتجميع عناصر بناء القوة (بالعودة إلى القاعدة والتخلي عن الاستثناء).

ولهذا فالتفكك إشكالية، ولذلك فاستبدال مسببات التفكك بمسببات الترابط يُسهم في معالجة الحالة أو الإشكالية.

الترابط قيم تماسك المحتوى بالزمن:

الزمن ترابط متصل، لا فواصل فيه، وما تقسيمه لساعات وأيام وأسابيع وشهور وسنين وأعوام ودهور إلا لمتابعة الحركة والامتداد، وتقدير الأعمار المتصلة بالمواقيت المتعارف عليها.

ولهذا، كل ما يحدث أو ينتج أو يتحقق، هو داخل دائرة الزمن.

ولا شيء يحدث أو ينتج أو يتحقق خارج دائرة الزمن.

ولأن المحتوى شيء.

إذاً فالمحتوى هو المحمول في الزمن.

وبما أن الشيء مِقدار محمول في الزمن، إذاً كل شيء بمقدار، وكل مقدار في دائرة الزمن، وبالمقدار عرفنا عدد السنين والحساب، وعرفنا كل شيء بميقات ولكل شيء ميقات.

وعليه الترابط زمني وعلائقي قيمي، وامتدادي هندسي.

لذا لا نبغي أن يغفل الباحث الاجتماعي عن الآتي:

ـ العلاقة الترابطية بين المحتوى والزمن، مما يجعل تاريخ الحالة ضرورة للاستقراء والتعرُّف على نقطة البداية، لمعرفة متى نبدأ؟ ومن أين نبدأ؟ وكيف نبدأ؟

ـ المعلومات الوافرة عن تاريخ الحالة، لا لغرض الوقوف عندها، بل للانطلاق منها إلى المستقبل الأفضل.

. تحليل كل متغير من متغيرات الحالة في ظرفه الزماني والمكاني، حيث معطيات الماضي ومبرراته ومقاييسه، تختلف عن معطيات الحاضر ومبرراته ومقاييسه.

. أن يشخَّص الحالة على واقعها الحاضر، مع عدم الانفصال عن الماضي، لغرض التطلُّع بها للمستقبل.

ولهذا على الباحث الاجتماعي أن يتعرَّف على كل متغير ذو علاقة بالحالة قيد البحث أو الدراسة، وأن يتذكر التاريخ، ولا يغفل حتى لا يكرر الأخطاء، وعليه أن يميِّز بين الماضي الذي يتذكره والحاضر الذي يعيشه، وبين المستقبل الذي لا

يخضع ولن يخضع للتذكُّر. فالمستقبل قابل فقط للتفكُّر فعليه أن يُفكِّر ويتفكَّر حتى يُسهم في إحداث النُقلة دون أن يغفل عن دائرة الممكن.

إذاً يستمد المستقبل تطوره وتجديده من الماضي الذي يرتبط به في الآن (الزمن الحاضر).

ولذا تتداخل المعلومات كما يتداخل الزمان مع الحركة مما يجعل نسيج الأفعال في الزمان والحركة، فلا زمان بلا حركة، ولا حركة بلا زمان، ولا حياة بدونهما.

فإذا تساءل أحد عن المستقبل:

فهو الذي سيأتي بعد كتاب هذه الكلمة في حالة مواصلتي الكتابة.

وهو الفكرة التي ستأتي بعد ما أفكر فيه.

وهو الزمان الذي فيه طموحاتنا وما نتوقع.

وهو الذي من أجله: نتنفس ونشرب، نأكل ونفكِّر، نتعلم ونعمل، نتصدق ونصلى، نحب ونتزوج، وندّخر وفقا لحاجاتنا، ونؤمِّن على أرواحنا وممتلكاتنا ونخاف.

إنه نهاية البداية وثبات الحركة.

ولهذا فإن كل حركة من أجل المستقبل.

وعليه: القاعدة هي:

. التطلُّع إلى المستقبل.

والاستثناء هو:

. غض النظر عنه.

ولذا لو لم يكن هناك مستقبلا، ما كان هناك أملا ولا أماني، ولولاه ما فكّرنا في الآتي:

. فيما يشغلنا.

. من نحن.

. ما هي إمكاناتنا؟

. ما الذي يجب علينا القيام به؟

. من أجل ماذا نفكر؟

. من أجل ماذا نتعلم؟

. من أجل ماذا نخطط ونعمل وننتج؟

. لماذا نهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية؟

. لماذا نحلل ونستنتج ونستقراء؟

. لماذا نتطلّع ومن أجل ماذا؟

. لما نخاف؟

. لماذا نتزوج ونطلّق؟

. لماذا نصوم ونصلي ونزكي ونؤدي جميع الفرائض التي ترضينا مع الله تعالى؟

التراابط مكوّن علائقي:

ولأنه مكوّن علائقي، فهو يربط الداخل بالخارج، ولهذا يمتد داخل الحدود ويمتد خارجها. فمثلاً: حدود الوثائق والمخطوطات الداخلية هو محتواها، وحدودها الخارجية هو علائقها مع الأشخاص والأماكن واللغة والزمن.

عليه:

– كلما كان المحتوى علمياً، كان أكثر ترابطاً.

– وكلما فقد الحقائق العلمية، فقد المكوّنات القيميّة لترابطه.

ولهذا فالقاعدة هي:

المكوّن العلمي (الحُجَّة).

والاستثناء هو:

فقدان المكوّن العلمي (فقدان البرهان والحُجَّة).

ولو أخذنا الوثيقة مثالا للترابط: لا يمكن أن نتجاهل الخط الذي كتبت به، واللغة التي اعتمدتها، وعلاقتها بالزمن، وعلاقتها بمن نسبت الوثيقة إليه.

فعلى سبيل المثال: عندما تُكتَب المخطوطة باللغة الفرنسية، وصاحبها الذي نُسبت إليه لم يكن يعرف التحدُّث ولا الكتابة باللغة الفرنسية، هذه حُجَّة تُفقِد المخطوطة أو الوثيقة صدقها (فتكشفها وتُسقطها من الحُسبان) ما يجعلها خارج دائرة الاهتمام، أو أن تؤرخ بقبل الميلاد وصاحبها الذي نُسبت إليه مولود بعد التاريخ الميلادي، أو أنها تُنسب للإسلام وهي في عصر سقراط أو سولون من قبله.

وثيقة هذا حالها هي وثيقة غير مترابطة مع الزمن ولا مع من نسبت إليهم، ولهذا تفقد صلاحيتها وشرعيتها.

وهكذا تترابط علائق الأمومة والأبوة والعمومة في مشاعر وأحاسيس الأجيال، وتربط الأفراد والجماعات والمجتمعات بعرى الصلة والمودة المتبادلة.

وعليه: لا يمكن أن ينتظم أفراد المجتمع إلا في علائق قيمية تستمد من الدين أو العرف، ولا يمكن أن تقوم الوحدة الوطنية بإرادة إلا بقوة الرابطة الاجتماعية، أو الإنسانية كالدين الواحد أو العرف الواحد، أو المنفعة والمصلحة المشتركة.

للترابط ألقيمي مجالات التنوع والامتداد:

الترابط ألقيمي فُسحة استيعابية، تلزم عناصرها بقانون نظامها الواحد، الذي لا يتنوع من حيث الجنس، ويتنوع من حيث المجال، ولا تلزم غيرها بخاصيتها ما يجعلها في مستوى التقدير.

ومجالات امتدادها هي:

1- الترابط الاجتماعي، مجال امتداده: الأفراد والجماعات والمجتمعات.

2- الترابط الاقتصادي، مجال امتداده: الثروة والإنتاج والاستهلاك.

3- الترابط السياسي، مجال امتداده: حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات يتم حمْلها.

4- الترابط النفسي، مجال امتداده: النفس والضمير والوجدان ودرجة التكيف والتوافق المحققان لنيل الرضا.

5- الترابط الذوقي، مجال امتداده: المشاعر والأحاسيس وملكات التمييز الرفيع.

6- الترابط الثقافي، مجال امتداده: الكلمة والجملة والنص الذي يكوِّن المعلومة والمعرفة الواسعة.

وعليه الباحث الاجتماعي الماهر هو الذي يستوعب الأبعاد القيمية لهذه المجالات ويعمل على تجسيدها في برامج عمل مجتمعي ويصوغها في خطط واستراتيجيات تُسهِم في صناعة المستقبل لأجل إحداث النقلة.

ولهذا يحدث الترابط في الزمن الآن بوضوح الصلة مع الماضي والتطلُّع إلى المستقبل.

ولأن الترابط احتواء على سابق فهو استمراري تراكمي.

ولذا فإن الترابط الاجتماعي قاعدة.

الاحتواء على السابق قاعدة.

التراكم المعرفي قاعدة.

التواصل الحضاري قاعدة.

والغفلة عن كل ذلك استثناء.

وعليه، أعمل على الآتي بلا تردد:

1 . إيجاد رابطة علائقية بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

2 . احتواء الظاهرة قبل تفشيها.

3 . كشف الحقيقة من خلال التراكم المعرفي والتاريخي الذي يُسهِم في ظهورها أو كمونها.

4 . الحث على التواصل من أجل مستقبل أفضل.

ولذا فإن المعارف والعلوم والعلائق بين الأفراد والجماعات والمجتمعات تكوِّن ثقافة عابرة للحدود، وتؤسس حضارة قادرة على التواصل.

ولهذا فالتاريخ هو الذي يُصنع عُبر الزمن، والشعوب والأمم تتطلَّع وتتقدّم وتتغيّر من أجل الأفضل والأجود والأحسن والأنفع.

ولذلك التطلع يستوجب تجميع القوى المُمكِّنة من بلوغه (الممكنة من تحقيق النُقلة) وأنّ القوة المجمَّعة في الزمن الحاضر الجزء الأكبر منها هو نتاج الماضي، ولهذا يعد الزمن الحاضرة قاعدة الوصل والترابط بين السابق واللاحق أو أنه المعبر والبوتقة الرابطة بين ما هو ماضي وما هو آتي أو متوقع.

إذاً لا مستقبل بدون ترابط.

وبما أنه لا مستقبل بدونه.

إذاً الترابط قوة فاعلة ومؤثرة في الزمن وفي الفعل، وفي والسلوك.

وعليه:

. جمّع قواك لتتمكن من بلوغ المستقبل.

. استوعب الآن تصنع المستقبل.

. تذكَّر كل ما هو قبل الآن واستفد منه.

. اتصل وتواصل تكتسب خبرة.

. تعرَّف على كل جديد.

. تطلَّع لمستقبل أفضل.

. تذكر كي لا تنسى.

. فكر حتى تحدث النقلة.

الترابط احتواء على سابق:

بما أن الترابط يستوجب أكثر من عنصر أو متغير وإلا لن يحدث.

إذاً بالضرورة يحتوي على سابق ويمتد أو يتطلَّع للاحق أو لآتي.

ولذا فهو استمراري تراكمي.

والقاعدة هي:

1 . الاحتواء على السابق.

2 . التطلّع للاحق.

والاستثناء هو:

1 . الانسلاخ عن السابق.

2 . الانغلاق على الحاضر.

ونتيجة لما يحتويه السابق تتكون الثقافات والمعارف وتتطوّر العلوم والعلائق بين الأفراد والجماعات والمجتمعات حتى تنشي أو تقيم حضارة تستوجب التقدير والاعتراف والاعتبار.

ولذا فالثقافة عابرة للحدود والحضارات في حالة تواصل.

ولهذا يُصنع التاريخ بالاحتواء على الماضي والتطلُّع إلى المستقبل، وأن لكل حالة فردية أو جماعية أو مجتمعية تاريخ لا ينبغي أن يُغض النظر عنه إذا ما استهدفت حالات الأفراد أو حالة أحد منهم بالدراسة والبحث حيث التاريخ اتصال الزمن بالمحتوى والمضمون؛ فالطبيب والأخصائي لا يقدمان على عملية علاجية ولا إصلاحية لأي حالة من الحالات المدروسة ما لم يطّلعا على تاريخها الصحي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والذوقي والنفسي بما يمكّن كل منهما وفقا

لتخصصه من معرفة نقطة البداية (نقطة الانطلاق للمستقبل) حتى يتم العلاج والإصلاح.

وعليه :

. لاحظ حتى تميز.

. تعلَّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتسع معارفك.

. شارك ومارس.

. واظب واجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقق النُقلة.

. تفهَّم وافهم لتتمكن من معرفة الأسباب.

وبما أن التطلُّع إلى المستقبل يتطلب جمع القوة الممكِّنة من بلوغه (الممكِّنة من تحقيق النقلة).

إذاً القوة المجمعة في الزمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي ولذا يعد الماضي والحاضر قاعدة الوصول بين السابق واللاحق أو أنه المعبر والبوثقة الرابطة بين ما هو ماضي وبين ما هو آتي أو متوقع.

ولذلك فالترابط من أجل المستقبل.

ولهذا لا مستقبل بدون ترابط.

ولا مستقبل بدون تطلّع.

ولا مستقبل بدون تواصل.

ولا مستقبل بدون استيعاب.

ولا مستقبل بدون مسابقة الزمن.

ولا مستقبل بدون تجميع القوة.

وعليه :-

. جمّع قواك لتتمكن من بلوغ المستقبل.

. تذكَّر كل ما هو قبل حدود الآن لتتمكن من بلوغ المستقبل.

. اتصل وتواصل لتكتسب الخبرة وتتمكَّن من بلوغ المستقبل.

. تعرَّف واعرف كل مفيد وجديد لتتمكن من بلوغ المستقبل.

. تطلَّع لتصنع المستقبل الأفضل.

. اكتسب الخبرة تحدث لك النُقلة.

. عدد مهاراتك ونوُّعها تتمكن من المنافسة وتحقق الفوز.

ولذا فإن الترابط احتواء على سابق، وهو استمراري تراكمي، مما يجعل المعارف والعلوم والعلائق بين الأفراد والجماعات تكوّن ثقافة وتؤسس حضارة، ولهذا الثقافات عابرة الحدود، في حركة وتواصل تراكمي.

وعليه، يُصنع التاريخ بالاحتواء على الماضي والتطلُّع إلى المستقبل، مما يجعل لكل مجتمع تاريخه الذي لا ينبغي أن يُغَض النظر عنه.

الترابط تطّلع إلى مُستقبل:

التطّلع إلى المستقبل، يتطّلب تجميع القِوى الممكّنة من بلوغه، والممكِّنة من تحقيق النُقلة؛ فالقوة المجمّعة في الزمن الحاضر، جزء كبير منها هو نتاج زمن ماضي.

لذلك يُعَد الزمن الحاضر، قاعدة ترابط بين السابق واللاحق، أو أنَّه المَعْبَر أو البوثقة الرابطة بين ما هو ماضٍ وبين ما هو آتٍ وما هو متوقع.

وعليه، لا ترابط إلا من أجل المستقبل، ولا مستقبل بدون ترابط.

ولذا لا مستقبل بدون قوة، ومهما كانت القوة المُجمَّعة فإن المستقبل يقع تحت طائلة المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن.

فجمِّع قواك لكي تتمكَّن من بلوغ المستقبل، دون أن تغفل عن محيط دائرة المُمكن.

وبناء على ذلك:

. استوعب.

. تذّكر.

. اتصل.

. تعرَّف.

. تطلَّع.

. تفكَّر.

كل ذلك من أجل أن تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُقلة.

الترابط اتصال قيمي معياري قياسي:

ولأن الترابط اتصال قيمي معياري، لذا فإن القاعدة هي:

1 . الترابط اتصال قيمي.

2 . الترابط اتصال معياري.

3 . الترابط اتصال قياسي.

والاستثناء هو:

1 . الترابط اتصال بدون قيم.

2 . الترابط اتصال بدون معايير.

3 . الترابط اتصال بدون مقاييس.

ولهذا فإن اتصال الوزن ترابط قياسي من المتجزئ إلى الجزء إلى الكل الذي هو عليه فما تزن المفردة في أي وقت يُعطي وزناً يمكن قياسه.

اتصال المسافة والمساحة هي الأخرى تمتد من جزئية المقياس إلى طول أو مساحة المقاس أي أنها تمتد في حالة ترابط متصل، ولهذا ما يزنه جسم الإنسان هو مجموع المتجزئات من الوزن كله، وهكذا ما عليه المساحة هو مجموع المتجزئات من المساحة كلها.

ولهذا فبطبيعة الخلق كل شيء خُلق بمقدار، أي بميزان، أي بخصائص يمكن قياسها معياريا، ولهذا كل شيء (كل وحدة ذات خاصية) لها نواة تتمركز نوعيا عليها، لتمتاز بها عن أشياء هي الأخرى تمتاز عنها بخاصيتها، ولذا يمتد الاتصال في كل طول وفي كل عرض وارتفاع، وفي كل وزنٍ، وفي كل قول وحس، وفي كل فكرة تشغل حيز، وفي كل ذرة أو رذاذ.

ولهذا تتكون الأجسام من مجموع أجزائها القابلة للتجزيء، وتتكون الفكرة من مجموع ما تحمله من مضامين.

وعليه فالفكرة واحدة في اتصالها، والجسم واحد في تكوينه واتصاله، والقيمة الأخلاقية، أو المهنية أو الحرفية واحدة في اتصالها، وما التجزئة إلا لغرض التشريح والتعليم والتبيان.

ولذا لو لم يكن للفكرة أو الجسم وحدة، لا يمكن أن يكون لهما معنى وقيمة أو حتى دلالة.

ولهذا لا وجود للفواصل فيما هو متصل معيارياً أو قياسياً، وإن وُجِد يعتبر وجوده وهمياً ليس على أرض الواقع، مما يجعل إمكانية التعرُّف على كل ترابط، من خلال المعايير القيميّة التي يحتويها، ومن خلال المقاييس التي توضع لكل معيار.

ولذلك الوِحدة أو المفردة أياً كانت، هي مكوّن ترابطي، نتاج اتصال المتجزئ بالجزء بالكل.

ولذلك فالإنسان قوة بترابط مكوّناته وحواسه، التي تجعل له خاصية، وتجعل له صفة، وتجعل له قيمة، وتجعل له معيارا، وتجعل له قياسا.

الفصل الثامن

قاعدة

(المقارنة)

(المقارنة)

تعتمد المقارنة على تبيان نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق والتنوع، وإبراز درجات النزوع إلى التمركز أو درجات التشتت عنه، ولهذا تعد المقارنة تمييزية، فهي تُميز بين المشاهد والمشاهد، وبين المجرد والمجرد، وبين الملاحظ والملاحظ.

وعليه:

. قارن قبل أن تقرر.

. ميَّز بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون.

. دقِّق فيما تشاهد.

. لاحظ ردود الأفعال.

. تذكر القول ولاحظ الفعل ثم قارن.

. فكّر في المتوقع وغير المتوقع ثم ميّز.

. حدد نقاط التمركز ونقاط التشتت ثم اختار.

ما يُمكِّن من التمييز، يُمكِّن من المقارنة:

لولا سلامة الحواس ما قارنا، ولولا المقارنة ما ميّزنا.

ولذا ما يمكّن من التمييز، يُمكّن من المقارنة.

ولهذا المقارنة تمييزية.

وبما أن المقارنة تمييزية.

إذاً القاعدة هي:

1 . التمكُّن من التمييز.

2 . التمكُّن من المقارنة.

والاستثناء هو:

1 . عدم التمكّن من التمييز.

2 . عدم التمكُّن من المقارنة.

ولأن التمكُّن من التمييز يُمكِّن من المقارنة، فالتمييز عن وعي يُمكِّن من الاختيار المُرضي .

ولذا فالتميز عن وعي هو القاعدة. والاستغفال عن غير وعي هو الاستثناء.

وبناء على ذلك: فالباحث العلمي هو الذي يُركّز على كل ما يحدث النُقلة أو يُسهم في خلقها للفرد وللجماعة والمجتمع من خلال الاهتمام بالآتي:

1 . المقارنة بين الظاهر والكامن (الباطن).

2 . التمييز بين الجيد والأجود.

3 . الوعي بما هو كائن، وبما يجب، وبما يحدث النُقلة من بعد ما يجب.

4 . الاختيار عن وعي وبكل إرادة.

5 . الإقدام بدون تردد بعد أهداف واضحة ومحددة.

لذا ينبغي على الباحث الاجتماعي، تنمية وعي الأفراد والجماعات، ليتمكنوا من التمييز وإنجاز الأهداف.

وعليه:

1 . قارن بين ما يجب وما لا يجب.

2 . وسِّع نطاق قدراتك.

3 . تأمّل وتفكّر في وجودك في الحياة.

4 . زد من قوة ملاحظتك.

5 . اتصل وتواصل مع الآخرين.

6 . ادعم روابط التواصل مع أسرتك وبيئتك الاجتماعية.

7 . اقتدي بالنماذج الناجحة، وتجّنب النماذج الفاشلة.

8 . كُن مطمئناً، تشعر بأنك قادراً على مواجهة ما يعترض طريقك.

9 . مارس حقوقك بإرادة.

10- أدي واجباتك بإخلاص.

11- تحمّل مسؤولياتك بأمانة.

12- سافر، تفسّح، اطّلع على ثقافة الآخرين بموضوعية تزداد إدراكا وتفهُّما.

13- قيّم ما قمت به من مجهود تكتشف مكامن القوة فيك لتمارسها نجاحا، وتكتشف مكامن الضعف فيك لتصححها بقوة.

التمييز بين ما يجب وما لا يجب يُبعد عن المحظور:

. من يُميّز بين ما يجب ويقدم عليه، وبين مالا يجب ويمتنع عنه لا يقع في المحظور.

. من يُميّز بين ما يجب، ولا يُميّز بين ما لا يجب يقع في المحظور.

ولهذا فإن القاعدة هي:

الإقدام على ما يجب.

والاستثناء هو:

الإقدام على المحظور.

ولذا ما بين الإقدام والإقدام يصبح الأمر الطبيعي معززا لما يجب، والأمر غير الطبيعي مؤيدا لما لا يجب (المحظور).

وعليه من يؤيد المحظور هو في حاجة للدراسة والبحث، حتى يعود إلى القاعدة (الالتزام بما يجب).

ولذا فإن ما يجب هو الأفعال والسلوكيات المُرضية لقيم الإنسان، في مقابل ما لا يجب من أفعال وسلوكيات غير مُرضية له، ولتبيان ذلك أعرض المثالين التاليين وفقا لقاعدتي ما يجب، وما لا يجب:

أولا . وفقا لقاعدة ما يجب:

. طاعة الوالدين في غير معصية الله.

. قول الحق وفعله.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. حمْل المسؤوليات.

. التعاون على ما يُفيد وينفع الآخرين.

. العمل والكسب الحلال.

. الاعتراف بالآخر.

. تقدير الآخر.

. تفهّم ظروف الآخر.

. التعامل مع الناس بشفافية.

. رعاية المعاقين.

. تقديم المساعدة الهادفة.

. التطلُّع لما يفيد وينفع.

ثانيا . وفقا لقاعدة ما لا يجب:

. الكذب على الآخرين.

. سرقة الآخرين والاعتداء عليهم.

. معصية الوالدين.

. التخلي عن ممارسة الحقوق.

. عدم أداء الواجبات.

. عدم حمْل المسؤوليات.

. الإكراه والإجبار.

. ارتكاب المظالم.

. الخيانة على المستوى الداخلي والخارجي.

. ارتكاب المحرمات.

. قول الزور.

. الغش.

. أكل أموال الناس بالباطل.

. الاغتصاب.

وعليه قارن بين هذا وذاك:

. محبة الوالدين ومعصيتهما.

. الأمانة والخيانة.

. الصدق والكذب.

. شهادة الحق وشهادة الزور.

. الحق والباطل.

. فعل الخير وفعل الشر.

. ممارسة الحقوق والحرمان منها.

. أداء الوجبات وعدم أدائها.

. حمْل المسؤوليات والتخلي عنها.

. الإرادة والإكراه.

. التعاون والانفراد.

. الاعتماد على النفس والاعتماد على الغير.

. العدل والظلم.

. الوفاء والنقيصة.

. الحلال والحرام.

. الحب والكره.

ولذلك إذا تمت المقارنة بوعي يتم التمكّن من معرفة ما يجب والتمكّن من فعله أو القيام به أو الامتناع عنه موضوعيا.

ولذا لكي يعرف الباحث الاجتماعي الخاصية من الصفة، عليه أن يقوم بعملية المقارنة التي تُمكّنه وتمكن الأفراد من الاختيار عن وعي وإرادة.

ولكي يتمكّن كلا منهم من معرفة الخاصية والصفة عليهم أن لا يغفلوا عن المقارن بين ما هو دقيق وبين ما هو أدق منه.

وعليه:

. قارن ما هو خفي بما هو أكثر اختفاء منه في دائرة الممكن.

. قارن الكبير بما هو أكبر منه في الحجم.

. قارن ما هو بليغ بما هو أبلغ منه في اللغة والقوة.

. قارن الحسن بما هو أحسن منه في الذوق.

. قارن الإيقاع بالإيقاع تكتشف النغمة الموزونة من النغمة المهتزة.

. قارن الإنسان بالإنسان (الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة).

. قارن الحيوان بالحيوان (الغزالة بالغزالة وليس الغزالة بالزرافة).

. قارن الطائر بالطائر، النبات بالنبات، الجماد بالجماد.

. قارن النوع بالنوع والجس بالجنس.

. قارن الحركة بالحركة.

. قارن الشكل بالشكل.

. قارن الحجم بالحجم.

. قارن الممكن بالممكن.

. قارن الذوق بالذوق.

. قارن المهارة بالمهارة والخبرة بالخبرة.

إذا قمت بهذه العملية عن وعي تستطيع أن تمَّيز وتجيد الاختيار وفقا للخاصية والصفة. وإذا غفلت عنها تقع في المحضور، وقد تندم في وقت لا ينفعك فيه الندم. ولهذا قارن بلا تردد حتى لا تقع في الفخ.

ومع ذلك قد يتساءل البعض:

لماذا مقارنة كل ذلك؟.

لتتم المعرفة عن بيَّنة.

وقد يتجدد السؤال:

لماذا البيَّنة؟

لكي يحدث الآتي:

. تتقدم أو تنسحب عن وعي.

. تحكم بين الأشياء عن وعي.

. تتمكَّن من اتخاذ القرار عن وعي.

. تختار عن وعي.

. تميَّز عن وعي.

. ترفض عن وعي.

. تقبل عن وعي.

. تمارس حقوقك.

. تؤدي واجباتك.

. تحمْل مسؤولياتك.

. تقوِّم وفقا للقيمة، والصفة، والخاصية، والمكانة والقدرة والاستعداد، والمهارة والتأهل، والمؤهل، والمهنة والحرفة.

بناء على ما سبق، المقارنة تُمكِّن من التبيّن.

ولهذا فالقاعدة هي:

المقارنة تبيُّن.

والاستثناء هو:

انعدام المقارنة غموض.

وعليه:

1 . تجنب الأحكام المسبقة.

2 . اعتمد أكثر من حاسة حتى لا تقع في الخطأ (الحواس خداعة) فلا تثق في حاسة واحدة بعينها.

3 . شارك فيما يجب ولا تعتمد على العنعنة.

4 . ثق أن نتائج العينة لا تمثل المجتمع مع أنها تشير إليه فلا تعمم الأحكام.

ولذلك فالمقارنة تمكن من الآتي:

1 . التبيُّن قبل الإقدام.

2 – التقدم إلى ما يجب.

3 . الانسحاب عما لا يجب.

4 – تقدير الأشياء عن وعي.

5 – التمكن من معرفة الخصائص والصفات.

6 . التقويم بموضوعية.

قارن كي لا تقع في الفخ:

بما أن المقارنة تُنّجي من الوقوع في الفخ، فلماذا لا تقارن؟

ولماذا لا تتعرَّف الفخ حتى لا تقع فيه؟

المقارنة في دائرة البصيرة نبراس استرشادي، فلا تغفل، وحتى لا تغفل عليك بمقارنة الآتي:

. الأمس باليوم.

. اليوم بالغدٍ.

. الحلو بالحلو.

. الحلو بالمر.

. المر بما هو أمر منه.

. الفعل بالفعل.

. القول بالقول.

. الحس بالحس.

. الظاهر بالظاهر.

. الكامن بالكامن.

. المشاهد بالمشاهد

. الملاحظ بالملاحظ.

. السلوك بالسلوك.

. الهدف بالهدف.

. المبدأ بالمبدأ.

. القيمة بالقيمة.

. السالب بالموجب.

المقارنة تتعدد، وتتنوع، وتتجزأ:

أولا . تتعدد من حيث الكم وفقا للآتي:

1 . العدد: الكثير بالأكثر، والقليل بالأقل.

2 . الوزن: الثقيل بالأخف والأثقل والأكثر ثقلا.

3 . الزمن: الماضي بالحاضر بالمستقبل.

ثانيا – تتنوّع من حيث الكيف (الخاصية والصفة) إلى الآتي:

1 – من حيث الجودة: الجيد والأجود والأقل جودة.

2 – من حيث الفاعلية: فاعل، أكثر فاعلية، أقل فاعلية.

3 – من حيث القدرة: قادر، أكثر قدرة، أقل قدرة.

4 – من حيث الذوق: الجميل بالأجمل، والرفيع بالأكثر رفعة.

ثالثا . تتجزأ من حيث (الحجم والعنصر) إلى الآتي:

1 – الكل: شامل وأكثر شمولية (جامع مانع، وجامع لا مانع).

2 – الجزء: متصل وأكثر اتصالاً.

3 – المتجزئ: متفرع وأكثر تفرعاً – متشّعب وأكثر تشّعباً.

المقارن منقذ من الوقوع في الفخ:

بما أن المقارنة تُمكّن الإنسان من التمييز عن وعي، وتمكّنه من الاختيار عن إرادة.

إذاً: المقارنة مُنقذ من الوقوع في الفخّ.

ولهذا: فإن المقارنة يمكن أن تؤدي إلى التشتت والفرقة ويمكن أن تؤدي إلى التمركز والوحدة.

أولا: المقارنة من حيث التشتت في الصفات والخصائص.

1 . الإنسان بالحيوان.

2 . العاقل بفاقد العقل.

3 . المريض بالسليم.

4 . الغزالة بالزرافة.

5 . الحمامة بالغراب.

6 . الصادق بالكاذب.

7 . الفطنة بالغباء.

8 . الثبات بالاهتزاز.

9 . الخيانة بالأمانة.

ثانيا: المقارنة من حيث التمركز على الصفات والخصائص.

1 . الأنثى بالأنثى.

2 . الذكر بالذكر.

3 . الغزالة بالغزالة.

4 . الزهرة بالزهرة.

5 . العين بالعين من الجنس الواحد.

6 . الوزن بالوزن.

7 . العرض بالعرض.

8 . الطول بالطول.

9 . المحيط بالمحيط.

10 . الجودة بالجودة.

11 . المتانة بالمتانة.

وعليه:-

. قارن نقاط التمركز مع نقاط تمركز أخرى.

. قارن نقاط التمركز مع نقاط التشتت.

. قارن نقاط التمركز مع نقاط تشتت أخرى.

. قارن المتعدد بالمتعدد.

. قارن الكيف بالكيف.

. قارن المتجزئ بالمتجزئ.

. قارن الكل بالكل.

. قارن الجزء بالجزء.

. قارن القدرة بالقدرة.

. قارن الملمس بالملمس.

. قارن الشم بالشم.

. قارن الحُجة بالحجة.

. قارن الكلمة بالكلمة.

. قارن الجملة بالجملة.

. قارن المضمون بالمضمون.

. قارن المحتوى بالمحتوى.

. قارن الجودة بالجودة.

. قارن الفعالية بالفعالية.

. قارن الصفة بالصفة.

. قارن الخاصية بالخاصية.

. قارن الزمان بالزمان.

. قارن المهارة بالمهارة.

. قارن الخطاء بالخطاء.

. قارن الظاهر بالظاهر، والباطن بالباطن.

. قارن السر مع السر.

. قارن المباح بالمباح.

. قارن السيرة بالسيرة.

. قارن العمر العقلي بالعمر الزمني.

. قارن الإنتاج بالاستهلاك.

. قارن الجهد بالدخل.

. قارن المشاهد بالمشاهد.

. قارن الملاحظ بالملاحظ.

. قارن المحسوس بالمحسوس.

. قارن الشيء بالشيء.

. قارن الشيء بضده

ولذا فإن المقارنة تُمكّن الباحث من التمييز عن وعي، وتُمكِّنه من تحديد الأهداف ورسم الخطط ووضع الاستراتيجيات وتُمكنه من إعداد البرامج المناسبة لكل فئة عمرية وتُمكِّنه من الاختيار الموضوعي.

فالمقارنة يمكن أن تؤدي إلى تشتت وفُرقة، ويمكن أن تؤدي إلى تمركز ووِحدة.

ولهذا قارن كي تكتشف وتعرف الآتي:

. نقاط القوة، من نقاط الضعف.

. على ماذا تتقدم، وعن ماذا تمتنع أو تحجم.

. مِن مَن تغضب، وعلى من تغضب.

. من تحب، ومن تكره، أو ماذا تحب، وماذا تكره.

. من تخالط، ومن لا تخالط.

المقارنة تعزز نقاط القوة:

ولأن المقارنة تُمكّن من المعرفة الواعية، وتسهم في تبيان نقاط التشتت والتمركز، لذا فهي تُمكّن من تعزيز نقاط القوة، التي بها يتجاوز الإنسان الوقوع في الأخطاء.

ولهذا فالقاعدة هي:

تعزيز نقاط القوة.

والاستثناء هو:

تعزيز نقاط الوهن.

ولذلك فالباحث الاجتماعي يعمل على تعزيز نقاط القوة لدى العميل، حتى يتمكّن من تسخير طاقاته فيما يجب، ويستفيد من المساعدة الهادفة.

ومع أن الباحث الاجتماعي يتوجه بالعناية والرعاية والتقوية لنقاط القوة، إلا أنه في الوقت ذاته لا يغفل عن معالجة وتصحيح نقاط الضعف لدى المبحوث سواء أكان فرداً أم جماعة أم مجتمعا.

المقارنة تعطى فسحة للتخلُّص من نقاط الضعف:

بما أن المقارنة تعزز نقاط القوة.

وتمكَّن من التخلُّص من نقاط الضعف.

إذن القاعدة هي:

1 . قوة المقارنة تعطي فُسحة.

2 . قوة المقارنة تُخلّص من نقاط الضعف.

والاستثناء:

1 . ضعف المقارنة لا يعطي فُسحة.

2 . ضعف المقارنة لا يُخلّص من نقاط الضعف.

لذا فمن مهام الباحث الاجتماعي التوجه موضوعيا إلى نقاط الضعف، أو مكامنه لدى الأفراد أو العملاء أو الزبائن، حتى يتم التخلص منها، وإحلال نقاط القوة محلها.

ولهذا يعطي الباحث الاجتماعي الأولوية في عمله المهني إلى نقاط الضعف التي تظهر عند المبحوثين، أو تلمّ بهم، ثم يتوجه إلى المستهدف من ورأي ذلك وهو غرس نقاط القوة في المبحوثين حتى يتمكنوا من الآتي:

1 . ممارسة حقوقهم بقوة.

2 . تأدية واجباتهم بقوة.

3 . حمْل مسؤولياتهم بقوة.

4 . مشاركة الآخرين والتفاعل معهم في كل أمر فيه يشتركون.

المقارنة في دائرة الممكن:

بما أن الممكن (متوقع وغير متوقع).

إذن مقارنة المتوقع بغير المتوقع تُمكَّن من الآتي:

. الاستعداد للمفاجئ مع أخذ الحيطة والحذر.

. التخطيط لغير المتوقع.

. اكتشاف نقاط القوة وتعزيزها.

. اكتشاف نقاط الضعف والتخلُّص منها، وذلك من أجل الآتي:

. التجديد والتطوير.

. التعديل والتغيير.

. التعزيز والتفعيل.

. التحفيز والتهيؤ.

. المشاركة والاستيعاب.

ولذا فعلى الباحث أن لا يغفل عن المقارنة المُمكِّنة من التمييز بين ما يجب وما لا يجب حتى لا يقع في الفخ، وحتى يُسهم في إحداث النقلة للمبحوثين أو المدروسة حالاتهم وذلك بما يُمكنهم من المساهمة في صناعة المستقبل.

الفصل التاسع

قاعدة

(الثابت والمهتز)

الثابت والمهتز

الفرضية التي تنطلق منها هذه القاعدة هي: (الثبات قوَّة والاهتزاز ضعف)

الثبات قيمة تُقدّر بالفعل الذي هي عليه، أو بالفعل الذي به يتم الثبات.

والثبات لا يعني الجمود، والاهتزاز لا يعني الحركة.

ولهذا الثبات قاعدي، والاهتزاز استثنائي، ومع ذلك فكل شيء نسبي.

ما تعتقد أنه على ثبات، قد يفاجئك بحركته وامتداده، وما تعتقد أنه في حالة سكون توقع أنه قد يتحرك في أي وقت من الأوقات بتمرد أو ثوران وامتداد، ومع ذلك لا ثبات إلا بقوة، ولا اهتزاز إلا بقوة.

ولهذا فالقوة قيمة قاعدية للثبات والحركة، فمن يصمد (يثبت) بقوة في مواجهة القوة، ومن يضعف أمام قوة تهزه من مستواه أو تحركه من مكانه لا يقارن بمن صمد وثبت.

ووفقا لدائرة المتوقع وغير المتوقع، الثابت والمهتز كلاهما في حالة حركة، سواء كانت الحركة سالبة أم موجبة.

وعليه، لا ثبات ولا اهتزاز، إلاَّ لوجود قابل للمشاهدة أو الملاحظة (الإدراك عن وعي).

فالثبات على المبادئ مسألة قيمية مفضلة في العلوم الاجتماعية، ولكن أية مبادئ؟

تلك التي يرضونها الناس ويختارونها بإرادة، ولهذا فالقاعدة هي:

الثبات على المبادئ.

والاستثناء هو:

الاهتزاز عن المبادئ.

وقد يوصف المهتز عنها بالمنحرف السالب، مما يجعل للمصلحين والأخصائيين الاجتماعيين أدورا متنوعة ومتعددة في سبيل المعالجة والإصلاح الاجتماعي.

ولذا قد استمدت المبادئ قوتها من الثبات، واستمدت ضعفها من الاهتزاز.

وعليه كل شيء في حالة حركة.

على سبيل المثال:

الأرض في حالة حركة، ولأن الأرض تتحرك، إذاً كل ما عليها في حالة حركة، حتى وإن كان ساكناً في حياته أو في مماته.

ولهذا، يتحّرك المحمول في حامله:

. الحافلة الناقلة للركاب على الأرض المتحركة تتحرك.

. الأم الحامل الراكبة في الحافلة المتحركة على الأرض المتحركة، جنينها يتحرك في بطنها، مثلما هي تتحرك مع الركاب في الحافلة.

وهكذا تتعدد المتحركات وتتنوع والحركة واحدة سواء أكانت في المادة، أم في الفكرة التي تمتد من عقل مفكر إلى عقل مفكر آخر، وإذا سكنت عند البعض فزمن سكونها لن يطول، ولهذا فهي في حالة حركة.

ولهذا، العلاقة بين الثابت والمهتز، علاقة بين سكون وحركة.

وبما أن في السكون ثبات نسبي.

و في الحركة امتداد نسبي.

إذن القاعدة هي:

1 . الثبات النسبي.

2 . الحركة النسبية.

والاستثناء هو:

1 . الثبات غير النسبي.

2 . الحركة غير النسبية.

ولأنه لا مطلق إلا من عند الله.

إذاً كل شيء بالنسبة للبشر نسبيا.

ولذا:

- فكِّر في الثابت.
- فكِّر في المهتز.
- شاهد الثابت.
- لاحظ المتحرك.

وهكذا تتعدد المتحركات وتتنوّع والحركة واحدة.

ولذا فإن المعلومة أو السلوك يقعان بين المهتز والثابت إلى أن يصنّفان بمصادق.

وعليه فالمعلومة المشكوك فيها مهتزة، أما المعلومة المتأكد منها فثابتة إلى النهاية وفقا لقاعدة الممكن المتوقع وغير المتوقع.

ولأنه لا مطلق إلا من عند الله .

لذا فكل شيء بالنسبة للبشر نسبي.

وعليه:

- فكرٍّ في الثابت.
- فكرٍّ في المهتز.
- شاهد الثابت .
- لاحظ المتحرك.

. قارن بين الثابت والمهتز.

فكّر في الثابت كما تفكّر في المهتز:

بما أنه لا مطلق إلا من عند الله.

إذاً بطبيعة الأمر بالنسبة لبني الإنسان كل شيء نسبي، ولهذا حتى القيم هي ذات ثبات نسبي، ومع أنها القابلة للتطوير والتغيير عبر الزمن، إلا أنها الأكثر استقرار.

والقاعدة هي:

1 . فكّر في الثابت.

2 . فكّر في المهتز.

والاستثناء و:

1 . عدم التفكير في الثابت.

2 . عدم التفكير في المهتز.

ولهذا، لا فرق بين الثبات والاهتزاز من حيث أن كل منهما نسبي.

والذي جعل كل منهما على حالة من النسبية، هو التداخل بين الحركة والسكون ولهذا، الثبات على حالة من الاهتزاز، والاهتزاز على حالة من الثبوت، ولو لم يكن الثبات نسبيا ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا.

ولـو لـم يكـن الاهتـزاز نسـبيا مـا أصـلحت أحـوال المنحـرفين وعـادوا لأداء مهـامهم ووظائفهم الاجتماعية والإنسانية.

ولانَّ كل شـيء نسبيا، إذاً كل شـيء ممكنا، فلا تستغرب أن يحدث ما لـم تتوقـع أن يحدث.

وعليه: إذا وقع ما لم تتوقع فعليك بالتعامل معه وفقا للأبعاد القيمية الآتية:

1 . البعد المهني.

2 . البعد الاجتماعي.

3 . البعد الإنساني.

4 . البعد الأخلاقي.

وعليك أن لا تغفل أن كل ذلك لـن يخرج عن دائـرة الاحتمـالات، وعليك أن تعرف وفقا لدائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) أن كل شيء قابل لأن يتغير كلما توفرت معطياته أو اشتراطاته.

وعليـه فكّر فـي الثابت كمـا تفكـر فـي المهتـز، فكل شـيء يتغير، وأعرف أن الـزمن كفيل بذلك إذا توفرت العزيمة ورسمت الخطط، ووضـع المستقبل هدفا رئيسا لإحداث النُقلة.

بطبيعة الأمر بما أن كل ثابت وكل مهتز هو نسبيا.

إذاً التفكير فيهما يعد ضرورة قبل اتخاذ القرار، ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقع وغير المتوقع، من حيث: أن 50% من الدائرة هو ثابت أو متوقع، وأنّ 50% مـن الـدائرة هو المهتز أو غيـر المتوقـع، وأيضـا قد يكـون الثابـت سـالبا، وقد يكون موجبا، وهكذا المهتز يمكن أن يكون سالبا ويمكن أن يكون موجبا.

ولـذا فإن المتغير المتداخل يربط الثابت والمهتز في علاقة دائرة واحدة مثلما يربط المتوقـع وغيـر المتوقـع فـي علاقـة دائـرة واحـدة وهـي دائـرة (الممكـن)، ولـهـذا تتـداخل الحركة مع السكون، ويتداخل السكون مع الحركة.

وبما أن نسبة من السكون في حالة حركة، ونسبة من الحركة في حالة سكون.

إذاً لا وجود للقوة المطلقة بالنسبة للخلق؛ ولذا فكّر في الثابت حتـى تتيقن، وفكر فـي المهتز مثلما أنت متيقِّن.

وبما أن هناك حركة.

إذاً بالطبيعة لا وجود للثبات المطلق، ولا وجود للاهتزاز المطلق.

وعيه: لو لم يكن الثبات نسبيا، ما تغيّرنا وما تغيّرت أحوالنا، ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أُصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن البحاث الاجتماعيون من إعادتهم للقاعدة (الإنسان قوة) وبذلك يتمكنوا من أداء وظائفهم الاجتماعية والإنسانية، وفقا لقاعدة (كل شيء ممكنا).

ولذا، كلُ نسبي قابل للتغيّر والتغيير المتفاوت من حالة لأخرى.

ولهذا، حركة الثبات من حالة السالب إلى الموجب، تُحدِث نُقلة وتترك أثراً قيمياً موجباً على المستوى الاجتماعي والإنساني.

على سبيل المثال:

1- تحوُّل المنحرفين من ثباتهم على حالة السرقة والانحرافات السالبة، إلى حالة الثقة والإيجابية، يُحدِث لهم النُقلة التطلعية، التي تجعلهم وتجعل المحيطين بهم، يحمدون الله ويشكروه على أن الثبات على السالب ليس بمطلق.

ولهذا يقوم الباحث الاجتماعي، بدوره المهني في عملية الإصلاح، ويقوم الطبيب بعملية العلاج، وتقدم مؤسسات الخدمة والرعاية الاجتماعية، المساعدة الهادفة.

2- تطلُّع الفرد أو أعضاء الجماعة إلى ما هو أفضل قيميّاً، وتحّركهم تجاهه، يحقق لهم النُقلة المفيدة والنافعة، حتى وإن كان ثباتهم على القيم السابقة موجبا.

النسبية مرونة في الثبات والاهتزاز:

لو لم يكن كل شيء نسبي ما استطعنا أن نصحِحَ المعلومات الخاطئة التي تشرَّبها المنحرف وأثرت في أقواله وأفعاله وسلوكه سلبيا.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . مرونة النسبية في الثابت.

2 . مرونة النسبية في المهتز.

والاستثناء هو:

1 . انعدام مرونة النسبية في الثابت.

2 . انعدام مرونة النسبية في المهتز.

وبما أن النسبية مرونة في الثابت والمهتز.

إذاً المرونة حركة استيعابية.

وعليه:

1- كن مرناً.

2- ناقش كل كبيرة وصغيرة ولا تتشبث.

3- ثِق أنِّ المرونة تخلق النُقلة.

4- ثِق أنَّ كلَ ممكن نسبي.

5- تأكّد أنَّه لا وجود للثبات المطلق.

6- تأكّد أنَّ الجمود يؤدي إلى التخلف.

7- كُن مرناً يتم استيعابك.

8- كن مرناً تُقدَّر.

9- لا تتشّبث حيث لا وجود بين أيدنا لمطلق.

10- ثِق أنَّ كلَ شيء يتغيّر إلى النهاية.

11- ثِق إن لم تتغيّر إلى ما يُفيد سيتم تجاوزك أو يستهدفك الآخرون بالتغيير.

12 . ثق من يتغير عن قيمة سيتجه إلى غيرها.

13 . ثق من يتطلّع إلى قيمة نافعة سيترك أو يتجاوز عن أخرى.

القيم ثوابت عنيدة:

القيم ثوابت؛ لأنها تستمد من مصادر ثابتة (الدين والعرف)، ولهذا يحتكم الناس بها، إنها مكمن القوة في دائرة المتوقع وغير المتوقع؛ فبدون القيم لا يجد الحب تربة صالحة لنموه، وبدونها لا يجد من يحافظ عليه، ولا يجد من يكنُ له التقدير والاحترام.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . القيم ثوابت.

2 . القيم عنيدة.

3 . القيم مكمن المحبة.

والاستثناء هو:

1 . القيم ليست ثوابت.

2 . القيم ليست عنيدة.

3 . القيم مكمن الكريهة.

ولهذا الكره اهتزاز، والاهتزاز تبدل.

الحب ثبات، والثبات استقرار.

وعليه:-

. استقر تبني حياتك.

. استقر تصنع لك عنوان.

. استقر تفكر في المستقبل.

. استقر تحقق التغيّر

ولذا فإن التبدّل لا يُسهّم في بناء الحياة الأسرية والاجتماعية والإنسانية ولا يؤسس عنوناً ولا يصنع تاريخا ويحقق مستقبلاً، ولا يُسهم في تنظيم المجتمع وعلائق أفراده وجماعاته.

ومع ذلك ليس دائما التمسك بالقيم فضيلة، القيم البالية التي لا تُسهم في صناعة المستقبل وتحدث النقلة التمسك بها يؤدي إلى التخلف الثقافي والحضاري، ويطمس الشخصية المتطلِّعة، ويظهر الشخصية الإنسحابية الضعيفة التي لا تستطيع تحدي الواقع وأسبابه وعلله التي تشد إلى الخلف في زمن الاندفاع إلى الأمام.

القيم التي يشب الناس عليها عبر الزمن قد يعتقد البعض أنها مسلمات لا يُقبل المساس بها حتى وإن لم تواكب حركة التغير الاجتماعي والإنساني، ولهذا القيم ثوابت عنيدة، فالمتمسكون بها لا يطيقون فراقها أو الحياد عنها، فأمرها ليس هينا، وعلى الباحث الاجتماعي مراعاة ذلك والعمل على تجاوزه بمنطق وحُجَّة وليس بإكراه، مع مراعاة البدء مع الناس من حيث هم، ثم العمل معهم في اتجاه ما يجب، لأجل إحداث النقلة بإرادة.

وعلى الباحث الاجتماعي أن يضع في حساباته أهمية القيم بأهمية ما تحققه من منافع ومكاسب للأفراد والجماعات والمجتمعات، وبمدى أهميتها في تقوية الوحدة

الاجتماعية وفي استيعاب الآخرين الذين لا يكون استيعابهم على حساب ما تحققه القيم السائدة من منافع للمجتمع الذي كان سببا في إنتاجها.

ولهذا الثوابت العنيدة قواعد، الحياد عنها ليس بالأمر الهين، مع أنه ممكنا، وذلك لأن الزمان كفيل بمتغيراته أن يغير أو يؤثر في الثوابت.

الإنسان مواقف والاهتزاز لا يخلقها:

وبما أن الإنسان مواقف، والاهتزاز لا يخلق المواقف.

إذاً القاعدة هي:

. ثبات المواقف.

والاستثناء هو:

. اهتزاز المواقف.

ولهذا فالإنسان مواقف مع ما يُحب أو يُفضِّل، ومواقف مما لا يُحب ومما لا يُفضِّل، وذلك من أجل الآتي:

1 . إثبات الأنا المقدّرة قيمياً (التي تمارس حقوقها وتؤدي واجباتها وتحمْل مسؤولياتها).

2 . إثبات الذات الاجتماعية المقدّرة (اجتماعياً واقتصاديا وسياسياً ونفسياً وذوقياً وثقافياً).

3 . إثبات الضمير الإنساني المقدّر (اجتماعياً واقتصاديا وسياسياً ونفسياً وذوقياً وثقافياً).

ولذا فإن، تقدير المواقف قاعدة، وعدم تقديرها استثناء.

ولهذا عليك أن:

. تسعى لنيل التقدير.

. تسعى لنيل الاحترام.

. تسعى لنيل الأعراف.

. تسعى لنيل الاعتبار.

. تطلّع إلى ما يجب.

. تفهّم ظروف الناس ولا تغتر.

. تمسّك بمبادئك المهنية ولا تغفل عنها.

وعليه:

1 . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الخيانة.

2 . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في السرقة.

3 . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الكذب.

4 . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تعاطي المخدرات.

5 . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تضييع الوقت.

6 . فِق من غفلتك تجد الحقيقة بين يديك.

ولذلك فإن كل شيء يمكن أن يتغير، فمثلما تتعرَّض الجماعة للمرض والانحرافات، فهي تتعرض للمعافاة والإصلاح.

ولهذا لا ييأس الطبيب من العلاج، ولا ييئس الأخصائي الاجتماعي من الإصلاح.

ولذا لا يئس في قاموسهما الذي تملأه قاعدة كل شيء ممكنا، وذلك لأن لأمل بالنسبة لهما قاعدة، واليأس استثناء.

الثابت يُعبّر عن الجوهر والمهتز يعبّر عن الصورة:

بما أن الثابت يُعبّر عن الجوهر والمهتز يعبّر عن الصورة.

إذاً القاعدة هي:

1 . الثبات جوهري.

2 . الاهتزاز يعبِّر عن الصورة.

والاستثناء هو:

1 . الثبات ليس جوهري.

2 . الاهتزاز لا يعبِّر عن الصورة.

ولذا عندما يُعبّر الثابت عن الجوهر يُعبّر المهتز عن الصورة.

ولهذا يُزاح الشك عن الثابت ويَعلُقْ بالمهتز.

وتظهر الحقائق في الجوهر وتختفي في كثير من الأحيان عن الصورة.

ولأن الظاهر غير الكامن، فلا تَغُرَّنَّكَ الأقوال والأفعال التي بها يتقرَّب البعض للبعض زلفى، ولذلك على الباحث الاجتماعي معرفة الآتي:

. أن الحقيقة تكمن في الجوهر.

. أن الصورة قد لا تعكس الحقيقة.

. أن القيم ثوابت وفقا لقاعدة الممكن.

. أن للثوابت معايير تقاس بها وتُقوّم.

. أنه لا معايير لمهتز.

. أن الشك يُمكّن من التعرّف والتبيّن.

. أن التفكير ضرورة قبل اتخاذ القرار.

. من لا يخطط لمستقبله يفاجئ.

. من لا يقارن لا يتمكّن من التمييز والتعرُّف على المفارقات.

. أن المعلومة تُحلل وفقا لمتغيراتها.

. لا تشخّص الحالة إلا في الوقع التي هي عليه.

. أن كل شيء ممكنا فلا استغراب.

لا امتداد ولا حركة إلا في حدود الممكن:

بما أنه لا امتداد ولا حركة إلا في حدود الممكن.

إذاً الممكن هو مجال الامتداد، ومجال الحركة والزمان.

ولأنه ممكنا فهو متوقع الحدوث، وبعد حدوثه قد يكون مساوياً لما هو متوقع وقد يكون أكثر أو أقل.

ولذا فالممكن ضروري الحدوث إلا أن نسبة حدوثه احتمالية مما جعلنا نفترض الآتي:

. الاحتمال الأول: يكون الممكن مساوياً للمتوقع السالب أو الموجب.

. الاحتمال الثاني: يكون الممكن أقل من المتوقع السالب أو الموجب.

. الاحتمال الثالث: يكون الممكن أكثر من المتوقع السالب أو الموجب.

بناء على هذه الافتراضات الثلاثة لا يُمكن أن يكون الامتداد إلا في مجال الممكن، ولا ممكن إلا في دائرة الزمان.

ولذا فإن ما نشاهده أو نُلاحظه أو نحس به أو نتذوقه أو نشمه أو نسمعه هو الواقع في حدود الممكن.

ولأنـه فـي حـدود الممكـن النسـبي يحـدث الاخـتلاف فـي درجـات تمييزنـا لمـا يقـع فـي مجالـه بالنسبة إلـى مداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا فمنَّا من يميـز بين الأشياء أكثر من بعضـنا، وهـذا يـدل أن الـبعض منَّـا قدراتـه التمييزيـة أقل والـبعض الآخـر يسـاوينا أو يتفوق علينا.

ولـذا لا ينبغي أن يغفل الباحث الاجتمـاعي عن أثـر الفـروق الفريـة والاجتماعيـة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات أثنـاء تناولـه حـالاتهم أو حـالات بعض منـهم بالبحث والدراسة.

وعلى الباحث الاجتماعي أن يعرف:

. كل شيء نسبي.

. الثبات لا يعني الجمود.

. المهتز يُمكن أن يثبت.

. الإصلاح ممكنا.

. العلاج ممكنا.

. الممكن لن يكون مستحيلاً.

وعليه:

. لا تكن أسيراً للصغائر.

. تطلّع لتُحوِّل خسائرك إلى مكاسب.

. ثق أن السباحة لا تُعلَّم على الفراش.

. ثق أنك قادر فكل شيء ممكنا.

. ثق أنك قوة فلا تركن إلى الضعف.

. لا تعطل طاقاتك نتيجة عثرة واحدة في الطريق.

. ثق أن الأفعال أكثر حُجّة من الأقوال.

. تطلّع إلى المستقبل.

. غيّر وتغير لتحدث النقلة.

. اعمل على صناعة مستقبلك، وشارك الآخرين من أجله.

الثبات والاهتزاز في حالة تداخل:

لا غرابة أن نلاحظ الثبات والاهتزاز في الشيء الواحد نتيجة إدخال متغيرات عليه، فالرياح على سبيل المثال: كمتغير على ثبات شجرة النخيل يجعلها في حالة اهتزاز، وإذا اشتدت الرياح حتى تصبح عاصفة قد تؤدي إلى إسقاط النخلة أرضا. ومع ذلك وإن سقطت على الأرض فلن تسقطها الرياح من أذهاننا فهي الثابتة فيها، وهكذا شخصية الإنسان المحترم الذي نال التقدير من الكثيرين فقد تهتز شخصيته في وقت من الأوقات وتحت ظروف معينة، وقد يحاول أمام البعض أن يُظهر تمسكه وثباته على بعض القيم إلا أنه سيكون مهتزا أمام الكثيرين، وهكذا يثبت المهتز ويهتز الثابت بإدخال المتغيرات عليه أو بتعرضه لمواقف تجعله في حالة اهتزاز بين التقدير والتقليل والتحقير.

ولهذا الإنسان ثابت ومهتز:

ثابت من حيث أنه إنسان (جوهر).

ومهتز في سلوكه (ظاهر)، ومهتز من حيث لونه، ونوعه، ومراحل نموه، وقدراته واستعداداته.

ولذلك يثبت الجوهر وتهتز الأقوال، والأشكال، والأفعال، والسلوكيات.

وعليه:

. فكّر في الثابت.

. فكّر في المهتز.

. شاهد بتركيز.

. لاحظ بوعي.

. أنتبه بإدراك.

. أفطن بعقل.

. تدبر بحكمة.

الحياة من أجل المستقبل:

ولأن الحياة من أجل المستقبل فنحن بني الإنسان نتعلَّم، ونبحث عن عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرض لسوء التكيف قد نُطلِّق عند الضرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسن القوانين والنظم، ونحدد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع

بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد، ولهذا نصوم ونصلي ونعبد الله حتى نفوز بالجنة إن فعلنا خيرا.

ولذا فإن القاعدة هي:

العيش من أجل المستقبل.

والاستثناء هو:

العيش من أجل الآن.

ولأجل ذلك وأكثر نشترك جميعا ونتطلّع إلى إحداث النقلة وصناعة المستقبل.

ولأجل ذلك أيضا كل شيء ممكنا فلا تستغرب.

لا تستغرب أن الثابت قد يهتز ويتغير، ولا ستغرب أن المهتز قد يثبت ويصمد بقوة ثباته، وعليك أن تتأكد بأن كل شيء ممكنا في دائرة المتوقع وغير المتوقع.

ولهذا تتعرض المعلومة المهتزة إلى الثبات، وتتعرض المعلومة الثابتة إلى الاهتزاز كلما توفرت معطياتها أو اشتراطاتها أو الظروف المهيأة لذلك.

الفصل العاشر

قاعدة

(الظاهر والكامن)

(الظاهر والكامن)

تنطلق هذه القاعدة من الفرضية (الظاهر قابل للمشاهدة والملاحظة والكامن من ورائه ساكنا)

كل خاضع للمشاهدة أو الملاحظة هو ظاهر، قولا كان أم فعلا أم سلوكا أم أثرا. وكل ما خُفي عن ذلك في حيز الوجود هو كامنا؛ فعندما تكون الفرحة ظاهرة على السطح، يكون الحزن فينا كامنا، وعندما تتوفر اشتراطاته أو معطياته يفور من حينه ليعلُن أنه قوة قادرة على مداهمة واختراق كل الحواجز التي سترته قبل الظهور.

الحواس هي المُمكِّنة من الإدراك العقلي لكل ما هو ظاهر وما هو كامن، وحيث ما يكون الظاهر في الصدارة متحركا يكون الكامن من ورائه ساكنا، وقد يتماثل الظاهر مع الكامن وقد لا يتماثل، فعندما يكون القول كاذبا بطبيعة الحال يكون مخالفا للحقيقة، وعندما يكون صادقا يصبح مماثلا لها، وهكذا في كل أمر، وعندما تُترجم الأقوال الظاهرة في سلوكيات وأفعال تمر شخصية الإنسان حسب مواقفها من الحقيقة بخمسة مستويات قيمية هي:

1 . الاتزان الانفعالي لا سالب ولا موجب (ذاتية حيث التمركز على قيم المجتمع).

2 . الميل لأخذ المواقف السالبة (الميل إلى ما لا يُرضي الآخرين، حيث الانسحاب من بعض القيم الاجتماعية).

3 . بلوغ قمة المواقف السالبة (الشخصانية حيث ظهور السلوك الأناني والتفكير في الأنا فقط).

4 . الميل لأخذ المواقف الموجبة (التطلّع لكل مرضي حيث المنطق والحُجة).

5 . بلوغ قمة المواقف الموجبة (الموضوعية حيث العقل سيد الميدان مع الرقي في حُسن التصرف).

وبناء على ما سبق فإن القاعدة هي:

1 . الظاهر يُشاهد.

2 . الظاهر يُلاحظ.

3 . الكامن ساكنا.

4 . ورأي كل ظاهر كامنا.

والاستثناء هو:

1 . انعدام مشاهدة الظاهر.

2 . انعدام ملاحظة الظاهر.

3 . انعدام سكون الكامن.

4 . أن لا يكون ورأي الظاهر كامنا.

الظاهر مُثبت بالقول والفعل والسلوك والأثر:

بما أن الظاهر قابل للمشادة والملاحظ، ومثبت بالفعل والسلوك ويترك أثرا.

إذاً فهو قابل للنفي والإثبات.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . الظاهر مُثبت بالقول.

2 . الظاهر مُثبت بالفعل.

3 . الظاهر مُثبت بالسلوك.

4 . الظاهر مُثبت بالأثر.

والاستثناء هو:

1 . الظاهر لا يُثبته القول.

2 . الظاهر لا يُثبته الفعل.

3 . الظاهر لا يُثبته السلوك.

4 . الظاهر لا يُثبته الأثر.

ولذا، فالقواعد تُثبت وجود قضايا، والاستثناءات تُنفي وجودها، ومع ذلك تخضع أدلة الإثبات إلى التقويم في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولهذا ليس كل فعل أو سلوك يُحّث أو يُحّرض عليه؟ فهناك البعض السلوكي يُنهى عن ارتكابه، حيث لا يُحرِّض عاقلاً على فعل مُشين، ولا يُحرِّض مهنيا على تجاوز مبادئ المهنة وقيمها.

وبما أنه لا يتم التحريض من قبل عاقل على كل فعل أو سلوك.

إذاً الانتباه إلى القواعد هو الأساس في التمييز بين ما يجب وما لا يجب. فالقاعدة تتمركز على التبيّن. والاستثناء يتمركز على الغموض.

وعليه:

– تبيّن قبل أن تَقدم.

. تبيّن قبل أن تَنسحب.

– تبيّن قبل أن تَفعل.

– تبيّن قبل أن تَسلُك.

– تبيّن قبل أن تحكُم.

– تبيّن قبل أن تَقدِم.

– تبيّن لتقف على اليقين.

الأفعال ظاهرة والغموض يحفها:

بما أن الأفعال الظاهرة بيّنة، إذاً كيف تُحَف بالغموض؟

بطبيعة الحال ليس كل ما يُقال حقيقة، فبعض ما يقال يَحفهُ الخطأ أو يتعرض له، والبعض يحفه الصواب أو يتوحّد معه، ففي الوقت الذي يميل فيه البعض عن قول الحق، في الوقت ذاته يميل البعض إلى التمسك به، ولهذا دائما بعض القضايا صادقة وبعضها دائما كاذبة.

ولهذا فالقول بعد الاستماع إليه تترتب عليه استجابة، قد تكون مُعلنة، وقد تكون غير مُعلنة، وفي كلتا الحالتين، تقع الاستجابة في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) ما يجعلها في أربعة احتمالات:

1 . أن تكون متوقعة صادقة.

2 . أن تكون متوقعة كاذبة.

3 . أن تكون غير متوقعة صادقة.

4 . أن تكون غير متوقعة كاذبة.

وفي مقابل ذلك يمكن أن تكون:

. ظاهرة صادقة.

. ظاهرة كاذبة.

. باطنه صادقة.

. باطنه كاذبة.

ولذا فليس كل ظاهر بيّن وأن وقع تحت حاسة المشاهدة؛ فعلى سبيل المثال: عند مقابلة الباحث الاجتماعي لمن يتولى حالتها بالدراسة والبحث يوليه اهتماما كبيرا فيستمع وينصت إليه عندما يتحدث أو يعبر أو يشرح ويفسر، ومع ذلك يعرف أن ما استمع إليه في حاجة للتقصي، حيث أن المدروسة حالته قد يظهر ما لا يبطن، فقد يخفي متعمدا حقائق كثيرة، وقد يزوِّرَ بعض منها، وقد يبالغ فيما يقول، ولهذا يضع الباحث الاجتماعي حالة الفرد تحت المتابعة المهنية بالمشاهدة والملاحظة وبإجراء مقابلا مع الآخرين ذوي العلاقة بالموضوع أو الحالة قيد البحث، ولهذا يعد التبّين ضرورة لأجل التأكد من سلامة ما يقال أو ما يُفعل.

عليه:

- اظهر حسن النية للمبحوث.
- أنصت له بعناية.
- اشرح له صدرك.
- أفسح له المجال ليظهر ما لديه.
- تأكد من المعلومات التي يدلي بها.
- تبيَّن وفقا لقاعدة الممكن المتوقع وغير المتوقع.
- تعامل بكل شفافية ووضوح.

ولذا فإن الظاهر في حاجة للدراسة المُمكِّنة من ربط المتغيرات ذات العلاقة بالموضوع.

والباحث الاجتماعي الموضوعي هو الذي يتتبع دراسة الحالة وفقا لِما تَقدَّم من فرضيات وقواعد واستثناءات أعدت لتنظيم العلائق القيمية بين الأفراد والجماعات والمجتمعات وفق معايير تُمكّن من إحداث النقلة من المستوى ألقيمي الذي عليه حالة الفرد أو الجماعة أو المجتمع، إلى ما يجب أن يكون عليه وهو الأفضل، ثم العمل معهم لأن ينتقلوا بإرادة وقوة ورغبة إلى ما هو أكثر تفضيلا.

وعليه

. لا تُسلِّم بكل ما يقال.

. لا تُسلِّم بكل ما يفعل.

. تبيَّن الظاهر من الكامن

. لا تستعجل بغرس الثقة.

. أظهر حسن النية.

. أعمل على تأكيد حسن النية.

– تقبل العميل كما هو.

. أعمل على نقله إلى ما يجب.

لذا يُعد التبيّن ضرورة لأجل التأكد من سلامة ما يُقال، ولأنَّ ما يُقال في كثير من الأحيان يرتبط بالأفعال والسلوكيات، ولأن كل ما يُقال في بعض الأحيان ليس بحقيقة، إذاً قد لا ينطبق الفعل مع القول، وإذا حدث ذلك تصبح الأفعال محفوفة بالغموض (أصبح القول أو الفعل الظاهر لا علاقة له بما هو كامن).

ولذا، الفاقد للمصادق والحقيقة، يعكس أفعالاً فاقدة هي الأخرى للمصادق والحقيقة.

ولهذا تُحفّ الأفعال الظاهرة بالغموض، ما يجعل دور الباحث الاجتماعي وتقصيه، في اتجاه إزالة اللبس والغموض.

ولهذا القاعدة هي:

. تماثل الظاهر مع الكامن.

والاستثناء هو:

. عدم تماثل الظاهر مع الكامن.

الكامن غير متيسر للمشاهدة مع أنه يشغل حيّزاً وقابل للظهور:

مع أن الكامن غير متيسر للمشاهدة برغم أنه يشغل حيزا، إلا أنه السابق على القول والفعل، فلو لم يكن الكامن ما كان الظاهر، ولذا دائما الفكرة أولا وإظهارها والعمل بها ثانيا.

ولهذا فالكمون هو الأصل، حيث تكمن النخلة في النواة، مثلما يكمن الزيت في ثمرة الزيتون.

لذا: الظاهر هو النواة، والكامن هو النخلة، وهو في هذه الحالة مثلما الزيت هو الكامن وثمرة الزيتون هي الظاهرة.

وعليه كل كامن قابل للظهور كلما توفرت اشتراطاته، وقابل للاستقراء والاستنباط كلما لوحظت ردود أفعاله، وقابل للإثبات والمقارنة كلما تلمَّسنا الأثر وشاهدناه.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . الكامن غير متيسِّر لمشاهدة.

2 . الكامن يشغل حيزا.

3 . الكامن قابل للظهور كلما توفرت معطياته.

والاستثناء هو:

1 . تيسُّر الكامن للمشاهدة.

2 . أن لا يشغل الكامن حيزا.

3 . انعدام قابلية الكامن للظهور.

وعليه:

1- يسِّر الأمر تُيسَّر لك الأمور.

2- يسِّر يتم تقبلك.

3- يسِّر تُغرس الثقة فيك.

4- يسِّر يتم الاعتراف بك.

ولهذا فالتيسير يُمكِّن من الأتي:

. التيسير يُمكِّن من نيل الاعتراف.

. التيسير يُمكِّن من غرس الثقة.

. التيسير يُمكِّن من إنجاز الأهداف.

. التيسير يُمكِّن من المشاركة والتفاعل.

. التيسير يُمكِّن من التقبل المتبادل.

. التيسير يُمكِّن من بلوغ الأغراض والغايات.

. التيسر يُمكن من أحداث النقلة.

اعرف الكامن تعرف الحقيقة:

وبما انه لا يمكن أن تعرف الحقيقة إذا لم تعرف الكامن من أمرها، وبما أن الفعل والسلوك ظاهرين والحقيقة موضوع احتمال (في حالة شك).

إذاً قد تُرتكب الأفعال والسلوكيات وهي لا تحمل أو تُجسِّد حقائق (بلا مصادق) ولهذا فلا يغرّك الظاهر.

الظاهر قد يُغرر بمن يضع الثقة فيه.

وعليه:

. تأكد قبل أن تَقدِم.

. تبيِّن قبل أن تتخذ قرارا.

. خطط قبل أن تعمل.

. فكر حتى تعرف.

. لا تتسرع فالتسرع مصيدة.

. تأنى فكل شيء ممكنا.

. تحقق بمقارنة.

. دقق بملاحظة.

. استنبط بفطنة.

. حلل بمنهج.

. ابحث بطريقة ووسيلة وأسلوب.

. شك حتى ترى الحقيقة بين يديك.

ولأجل أن يُسهم الباحث الاجتماعي في غرس الثقة، ويُسهم في إحداث النقلة، وفي صناعة المستقبل المفيد والنافع، عليه بمراعاة الآتي:

. التقصي والتتبع الدقيقين.

. الوقوف عند كل ردة فعل.

. تقييم السالب وتقويمه.

. اعتماد الموجب وعرضه.

. تحديد الأهداف بكل وضوح.

. الإصرار وإن واجهته الصعاب.

. تنفيذ الأهم قبل المهم.

بناءً على ما سبق فإن الظاهر والكامن قاعدة أساسية من قواعد المنهج العلمي حيث لا ظاهر إلا والكامن من وراده ولا علاقة سالبة أو موجة إلا وهي نتاج قيم الترابط بين الكامن والظاهر في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

يخرج الظاهر من الكامن:

يتداخل الظاهر مع الكامن في علائق قيمية وترابط متين مثلما يتداخل المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن، ولذا يكون الإيمان سابقا على السلوك والفعل المترتب عليه، كما تسبق الخيانة أو الردَّة السلوك أو الفعل الذي يرتكبه الخائن أو المرتد.

ولأن علاقة قوية تربط دائرة الظاهر والكامن، بدائرة المتوقع وغير المتوقع، لذا فبالضرورة أن يكون في دائرتيهما ما هو محتمل بالسالب وما هو محتمل بالموجب.

ولذلك فعلى الباحث الاجتماعي عند دراسته للحالات الفردية أو الجماعية أن يضع في حسبانه واحتمالاته ظهور السالب والموجب المتوقع، وكذلك أن يضع في حسبانه ظهور السالب والموجب غير المتوقع.

وفي مقابل ذلك يتوقع الكامن السالب والكامن الموجب، وكذلك غير المتوقع السالب وغير المتوقع الموجب.

وعليه إذا لم يضع في حسبانه واحتمالاته كل ذلك سيفاجئ بما هو غير متوقع وبالتالي لن يتمكن من ترسيخ قيم المهنة، وإتباع مبادئها وأساليبها وتحقيق أهدافها وممارسة مهاراته المهنية والفنية.

ولذا

- في حالة التماثل ألعلائقي، يتماثل الفعل الموجب مع الكامن الموجب.
- في حالة عدم التماثل ألعلائقي، يختلف الفعل السالب مع الكامن الموجب.
- في حالة عدم التماثل ألعلائقي، يختلف الفعل الموجب مع الكامن السالب.

الثقة في حالة اهتزاز بين كامن وظاهر:

الثقة قيمة أخلاقية تُغرَس في من يستطيع حملها، وتُنزَع ممن لا يستطيع، ومع أنها لا تُغرس بقرار، إلا أنها قد تنزع به. غرسها يحتاج إلى زمن ومعطيات مرضية وقبول إرادي، أما نزعها فمترتب على فعل أو سلوك سالب أو مجموعة أفعال سلبية، مرتكبة عن وعي وقصد.

ولهذا يتضح اهتزاز الثقة وثباتها في الآتي:

قول موجب + فعل سالب. لا يؤدي إلى غرس الثقة.

قول سالب + فعل موجب. لا يؤدي إلى غرس الثقة.

نية صادقة + قول صادق + فعل صادق = حقيقة نافعة، تؤدي إلى غرس الثقة.

نية كاذبة + قول صادق (ظاهريا) لا يساوي حقيقة.

بلا شك هناك علاقة موجبه أو سالبة تربط الظاهر بالكامن .

في حالة التماثل العلائقي يتماثل الفعل الموجب مع الكامن الموجب .

في حالة عدم التماثل العلائقي لا يتماثل الفعل السالب مع الكامن الموجب .

في حالة عدم التماثل العلائقي يختلف الفعل الموجب مع الكامن السالب .

وعليه أينما يكمن السالب يكمن الضعف فيه.

وأينما يكمن الموجب أو يظهر تكمن القوة فيه.

يستقرا الكامن من الفعل الظاهر:

اللسان ينطق يتكلم وقد يقسم لك بما يعتقد أنه مُمَكِّن لك من تصديقه، ومع ذلك قد لا يكون صادقا.

المزوّر أو الخائف قد يُظهر لك الوثوق وعدم الخوف في نفسه، ومع ذلك بالملاحظة ينكشف سره أو أمره.

وعليه لحن القول علامة تستوجب أخذ الحيطة من الذي يُلَّحن في قوله.

عدم الثبات أثناء الحديث الموضوعي يستوجب وضع علامة الشك على صاحبه.

جفاف الحلق، واصفرار الوجه، وتصبب العرق، وعدم السيطرة على حركة اليدين (ارتعاشهما) أثناء المواجهة التقييمية أو الاختبارية لما هو كائن، هي علامات دالة على الخوف والارتباك وعدم الصدق في اتخاذ المواقف والتردد عنها، ولذا فهي تتأرجح بين المتوقع حينا وبين غير المتوقع حينا آخر.

ولذا فالقضايا الصادقة ذات الحقائق الظاهرة تُمكَّن من الآتي:

1 . نيل الاعتراف.

2 . غرس الثقة .

3 . إنجاز الأهداف.

4 . المشاركة الفعّالة.

5 . التقبل المتبادل.

6 . بلوغ الإغراض والغايات .

الفصل الحادي عشر

قاعدة

(الشك)

(الشك)

الشك عملية عقلية واعية، ووسيلة علمية في البحث والتقصي الفطن والتتبع الدقيق، من أجل التعرُّف بقناعة وانتباه، ولهذا لا يمكن استخدام هذه الوسيلة عند ضعاف القدرات العقلية، مما جعل الواعين بها متميزين، وجعل البحّاثة مهتمين وغير غافلين عنها.

يستمر الشك العلمي إلى أن يصل الباحث إلى الثقة في المعلومة التي يتقصى حقائق وجودها، أو إثبات عدم وجودها أو بطلانها.

ولذا فعلى الباحث أن يحلل ويتعرّف على العلل والأسباب بيقين لا بسذاجة، وذلك لن التحليل العلمي هو الذي يعتمد على الشك من أجل اليقين، لا من أجل الشك في حد ذاته، ولهذا يشك الباحث في المعلومة المنقولة أو المسموعة إلى أن يتأكد بإثبات وبرهنة علمية، مما يجعله يقبل أو يرفض بقناعة وموضوعية.

هذا ويجب أن لا يغفل الباحث الاجتماعي في دراساته للحالات الفردية والجماعية والمجتمعية عن المنطق المعتمد للحجة والبرهان، حيث من المنطق أن تحلل المعلومة في زمانها لا في زمان لاحق عليها، ومع ذلك ليس كل من يعتمد المنطق يعتمد الأسلوب العلمي في البحث والتقصي الموضوعي، ولذا لم يكن المنطق هو كل شيء في التحليل العلمي إن لم يكن له مصادق.

المنطق إذا فقد المصادق فقد البرهنة العلمية وأصبح تعبيرا بلا حُجَّة تسنده، فإذا أخضعنا على سبيل المثال: منطق أرسطو للقياس حسب القولبة الجاهزة التي توضع فيها المقدمتان والنتيجة نُلاحظ أن المقدمتان قد تؤديان إلى نتائج شكيَّة أو خاطئة مما يجعل الباحث يشك في كل مقدمة إلى أن تثبت بالمصادق.

فإذا تفحصنا القضية الآتية، نلاحظ الخلل الذي تحتويه:

كل الحيوانات تخاف الأسد.

اللبؤة حيوان.

إذن اللبؤة تخاف الأسد.

نلاحظ أن هذه القضية كاذبة لعدم وجود مصادق لها، لأن اللبؤة هي التي أنجبت الأسد، بعاطفة الأمومة والأبوة، والمحبة.
ولهذا ترتبط اللبؤة مع الأسد بعلاقة مودة، مما جعل بينهما مداعبة غرائزية.
وهكذا المثال التالي يدعم المثال السابق في مقدمتيه والنتيجة التالية:
كل من وقف بعرفات كُتبت له حجَّة
سارية وقفت بعرفات
إذاً كتبت لسارية حجة
هذه القضية هي الأخرى شكية، مما يجعل الضرورة العلمية تستوجب ملاحقتها وتقصيها حتى يتم الكشف عنها بمصادق الإثبات أو بمصادق النفي.
فإذا كانت سارية طبيبة تؤدي مهمة مع الحجيج أو شرطية تُسهم في تحقيق الأمن لهم، أو كانت عاملة تُقدِّم الخدمات المساعدة أو بائعة مع البائعين أو المتبرعين بالمياه الباردة أو غيرها ولم تكن ضامرة على أداء الفريضة فلن يكتب لسارية حجّة حتى وإن وقفت بعرفات يوم وقوف الحجيج بها؛ وهكذا يمكن أن تقف سارية في موسم غير موسم الحج بعرفات وهي في زيارة أثناء اعتمارها اقتداء بسنة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، ولم تُكتب لها حجَّة.
وكذلك يمكن أن تكون القضية المنطقية كاذبة، وإليكم المثال التالي للتبيُّن:
كل الحيوانات تحرك الفك السفلي
التمساح حيوان
إذن التمساح يحرك الفك السفلي.
وفقا للمقدمتين السابقتين والنتيجة عرفنا أن الحيوانات تحرك الفك السفلي، وبالمنطق إذا سلمنا بذلك، وسلمنا بأن التمساح حيوان فلابد من أن يحرك فكه السفلي كغيره من الحيوانات، ولكن في حقيقة الأمر إن التمساح هو الحيوان الوحيد حسب معارفنا الذي يحرك الفك العلوي، ولهذا لكل قاعدة استثناء.
وعليه: ليس بالضرورة أن يكون المنطق متماثلا مع الحُجَّة والبرهان العلمي المثبت، مما يجعلنا نعتمد العلم مسلَّمة يُحتكم بها أو يُحتكم إليها.
اشكُ كي أتأكد:

الشك متعلق إدراكي يتم به التمييز بين ما هو كائن بالفعل، وبين الذي تصاحبه الظنون، والذين يشكون هم الذين ترافقهم الفطنة والحذر معا، وبه يتم فك اللبس وإزالة الغموض حتى التمكُّن من معرفة الحقيقة كما هي لا كما يراد لها أن تكون عليه.

ولذا فإن الشك للتأكد.

وعندما تحدث الأشياء أو تظهر فإن الشك لا يصاحب وجودها، بل يصاحب مدى مصداقيتها، فأي شيء قد وقع أو حدث هو مثبت لا شك فيه، لكن الذي توجّه له سهام الشك هو مدى علاقة ما حدث أو وقع بالموضوع قيد البحث أو الدراسة التي تستهدف كشف الحقيقة.

ولهذا لا شك فيما قد حدث، الشك فيما سيحدث.

الشيء الذي حدث أو وقع لا يندرج تحت الشك، بل قد يندرج تحت طائلة الظن، ولذلك ليس دائما الظن صادقا، الظن في بعض الأحيان يخلو من برهنة الإثبات، ولهذا بعض الظن أثم.

وبطبيعة الحال بما أن بعض الظن إثما.

إذاً بعضه الآخر يقع في المكان الصائب، فيأتي بنتيجة موجبة، حيث بالبحث والدراسة يتم التأكد من سلامة أو عدم سلامة الذي قيل أو كُتب، وفي كثير من الأحيان الذي قيل هو حكماً، وبالتقصي والمتابعة والمراجعة يتم التأكد من مصداقية أو بطلان هذا الحكم، ولذا فبإثبات الحكم باطلا يصبح الحكم ظنا وليس حقيقة.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . الشك للتأكد.

2 . الشك تمييزي.

3 . الشك فطنة.

4 . الشك حذري.

والاستثناء هو:

1 . الشك للشك.

2 . الشك بلا تمييز.

3 . الشك بسذاجة.

4 . الشك بلا حذر.

الشك من أجل اليقين:

قواعد المنهج لا تغفل عن الشك الذي به يتأكد اليقين، ولذا فبالشك تطمئن القلوب وذلك لأنه مسألة عقلية إدراكية به يتم التبيُّن وفك اللبس والغموض الذي قد يعلق بذهن البعض، ومن يستخدمه في نيل المعرفة، لن يغيب عن وعيه، ولهذا لا يحدث التغفيل ولا التضليل.

إذاً الشك يُمكّن أفراد المجتمع وجماعاته من الآتي:

1 . التعلّم عن وعي.

2 . نيل المعرفة الواسعة بإرادة.

3 . لا فعل ولا سلوك إلا بعد تسليم.

4 . إزالة اللبس والغموض عن كل قضية أو برنامج.

5 . التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

6 . مطابقة القول مع الفعل.

7 . تبني ما يتم الاتفاق عليه.

– أما ما يقع أمام المشاهدة والملاحظة معا فهو مثبت لا شك فيه، فقط في حاجة لمن يُقدِّمه أو يُعرِّف به من لا يعرفه من لآخرين الذين لم يسبق لهم أن تعرَّفوا عليه. وبالتالي لا شك في شيء وقع.

– الشيء الذي وقع، لا يندرج تحت الشك، ولكن قد يندرج تحت الظن، وليس دائماً الظن صادق.

وعليه الشك من أجل اليقين قاعدة، والظن من أجل الظن استثناء، {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}[7].

. الظن يخلو من برهنة الإثبات، ولهذا (بعض الظن إثم).

ـ الفرق بين الشك والظن. أن الشك يتطلب دليل إثبات (برهان) مع استعداد سابق لقبوله. أما اضن فيحتوي على فقدان الثقة في الآخر، حتى وأن توفَّرت لديه حسن النية.

---

[7] آل عمران 154.

ولذا فإن الشك قاعدة علمية، تعتمد المنطق والحُجَّة حقائق للإقناع والاقتناع. والظن استثناء لا يؤخذ به إلا في حالات غير المتوقع السالب، كأن يقسم لك أحد بالله وأنت تعلم أن له سوابق في الكذب، فهنا يصبح الظن في حالة استدعاء معرفي ليس إلا.

ولذا فالباحث الاجتماعي الذي لا يَشُكَ في سلوكيات وأقوال وأفعال المبحوث والمعلومات التي يعطيها أو يدلي بها فانه قد يقع في الفخ، ولهذا عليه أن يشك فيما يُسمع، وفيما يُكتب، وأن يتأكد موضوعيا من تجميعه وتحليله للمعلومات، وأثناء تشخيصه لكل حالة، وأن يتيقَّن بأن الحقيقة بين يديه.

وعليه: فالقاعدة هي:

1 . الشك يؤدي إلى غرس الثقة.

2 . الظن لا يؤدي إلى غرس الثقة.

والاستثناء هو:

1 . الشك لا يؤدي إلى غرس الثقة.

2 . الظن يؤدي إلى غرس الثقة.

وبما أن الاستثناء ضعف إذا ما قورن بقوة القاعدة.

إذاً فالتمسك بالقاعدة تمسك بالقوة .

أما التمسك بالاستثناء تمسك بالضعف.

لذا ينبغي أن يؤسس الباحث الاجتماعي علاقته مع المبحوث على قاعدة إزالة الشك باليقين، وهذه تستوجب الآتي:

. إتباع أساليب المقابلات المفتوحة التي تترك الحرية الواسعة للمبحوث بأن يُعبِّر عمَّا في خواطره وما يكمن في نفسه.

. التعاون الموجب.

. المشاركة الفعّالة.

. التطلُّع لمستقبل أفضل.

. الموضوعية في إحقاق الحق.

. التنفيس الوجداني.

. القبول بشطحات المبحوث وتحدياته غير المسؤولة في بعض الأحيان.

الشك يُحدِث النُقلة للمستقبل:

الشك مُثبت إثبات قاعدة الاحتمالات.

ولهذا ليس كل ما يُقال أو يُسمع، دائماً في حالة مصادق، فما يُقال أو يُسمع يستوجب التأكد منه قبل الحكم عليه أو به، ولذلك تؤسس الاختبارات والامتحانات المتنوعة والمتعددة على قاعدة الشك، (ليطمئن قلبي).

ولذا سيظل الشك قاعدة موضوعية إلى أن يُنفى.

ولأنه قاعدة إلى أن ينفى، فهو باقي في المنابر العلمية والمختبرات والمعامل العلمية إلى أن يُنتج الجديد أو تحدث النُقلة إلى ما هو أفضل وأجود وأحسن.

على سبيل المثال:

أنا أشك أن الجماعة المدروسة، تستطيع أن تتمم أو تنجز أعمالها، والذي جعلني أشك هو مراجعتي لما تبذله من جهد في سبيل تحقيق الأهداف، ولهذا فأنا أشك أن تنجز الجماعة أعمالها.

هنا الشك يرتبط بالمستقبل، فأنا أشك في الزمن الحاضر (زمن الآن) برؤية إنجاز الجماعة للمستقبل، الذي بإثباته تحدث النُقلة من الزمن الحاضر إلى الزمن المستقبل.

مثال آخر:

عندما يقم المعلم بتدريس الطلبة خلال العام الدراسي يُدخل معظم الطلبة في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، مما يجعله يلاحظ بعض منهم على مستوى من الايجابية وبعض منهم يُظهر التفوق، والبعض الآخر قد لا يُلاحظ عليه ما هو مميز، ومع ذلك يضع الأستاذ توقعاته على البعض وقد لا يضعها على البعض الآخر ما يجعله في بعض الأحيان يفاجئ بتفوق بعض من البعض الذي لم يكن يتوقع تفوقهم، وقد تنطبق توقعاته بالتمام على الذين تفوقوا وفقا لما هو متوقَّع منهم.

وعليه وفقا لهذا المثال، فإن الشك يتعلق أمره بالمستقبل، ولكن بناءً على معطيات تشاهد أو تُلاحظ أثناء عملية المشاركة أو المخالطة الواعية.

ولهذا لولا الشك ما تأكّدنا، وما تيقنَّا، ولولا الشك ما فكَّرنا.

ولهذا:

. تأكّد قبل أن تَقدِم على الفعل.

. شُك قبل أن تَقدِم على الفعل.

. تيقَّن قبل أن تَقدِم على الفعل.

. إقراء قبل أن تكتب.

. فكّر قبل أن ترسم خطة.

. ارسم خطة قبل أن تعد برنامج.

هذه معطيات علمية، يتمركز الشك عليها، وبدونها لا يكون الشك شكاً، بل يكون الشك ظناً والفرق كبير بين الأول الذي يتعلق بالمستقبل، وبين الثاني الذي يتعلق بالماضي.

ولذلك فإن الشك يتعلق بالمستقبل، والظن يتعلق بالماضي، حيث كل ما وقع أو حدث أو ظهر في الماضي هو حقيقة سواء أكانت ذات أثر موجبا أم ذات أثر سالبا.

أمَّا الشك فاحتمالي المظهر فعندما تستمع لخبر ما فلا تصدِّقه بالمطلق إلا بعد تأكدك بأنه لا يتعارض مع اليقين، فعلى سبيل المثال: لو جاءنا غزاة الفضاء بخبر مفاده أن القمر لم ينشق، فلن نصدق لأن اليقين عندنا القمر منشق، ولهذا يُصنَّف خبرهم عن القمر في دائرة الظن.

أما الشك فارتباطي الاتصال بالمستقبل، إي يمتد زمن توقعه من الزمن الآن إلى الزمن المستقبل وفقا للمعطيات المتاحة، كأن يُقال لك (فلان من الناس عمره خمسين عاما وسيفوز في سباق العشرة أميال مع المتسابقين الشبان)؛ هذا الافتراض في دائرة الشك لن يتحقق، ولكن في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع قد يحدث، ومع ذلك وفقا للمعطيات العُمرية ينبغي أن أشك حتى يأتي اليقين يوم مشاركته في السباق.

وعندما يقال لك أن العرب سيهزمون إسرائيل في المستقبل من حقك أن تشك وفقا للمعطيات الآنية، حيث العرب في حالة هزيمة، وبالتالي من حقك أن تشك في حدوث هذا الأمر وفقا للحال الذي هم عليه في الزمن الآن، وفي مقابل ذلك إذا كان العرب على حق لابد أن ينتصروا حيث التسليم بأن الحق لا محالة سيدمغ الباطل ويهزمه.

الشك مثبت إثبات قاعدة الاحتمالات، ولأن ليس كل ما يقال أو يُسمع دائماً في حالة مصادق، لذا يستوجب التأكد قبل الحكم.

ولهذا سيظل الشك إلى أن يُنفى باليقين.

وسيظل الظن إلى أن يُثبت باليقين.

ولذا فإن القاعدة هي:

1 . الشك احتمالي.

2 . الشك يحدث النقلة.

3 . الشك يصنع المستقبل.

والاستثناء هو:

1 . الشك قطعي.

2 . الشك لا يحدث النقلة.

3 . الشك لا يصنع المستقبل.

وعليه:

. شُكَّ حتى تُحدث النقلة.

. شك حتى تصنع المستقبل.

. شُك حتى تميز بين ما يجب وما لا يجب.

. شك حتى تعرف الحقيقة.

. شك حتى تكتشف القوانين.

إثبات الأمر الواقع تسليم بالحقيقة:

القاعدة العلمية التي يحتويها هذا الفرض هي: التسليم بالحقيقة، والاستثناء الذي يحتويه هو: إنكار الحقيقة.

وعليه قاعدة الشك هي التي تُمكِّن البحاث من التسليم بالحقائق، والاستثناء الظني هو الذي يجعل الآخرين ينكرونها.

الشك لا يؤمن بالأحكام المسبقة؛ فالأحكام المسبقة ظنية، وكذلك لا يؤسس الشك على أحكام مطلقة، حيث لا مطلق إلا من عند الله تعالى.

فالباحث أو الأخصائي الاجتماعي الذي كتب في تشخيصه للحالة المدروسة" فقدت سمعها، ولن تسمع إلى أن تموت". هذا حكم وليس فرض.

وقد يتساءل البعض:

ما الفرق بين الفرض والحكم؟

- الفرض: حكم مبدأي، يحتوي على جزء من الحقيقة، ويسعى للتأكّد من الباقي المفقود منها.
- الحكم: مطلق التسليم به.

لذا كان التسليم بعدم تمكُّن الحالة من السمع أمر مطلق، ولكن ليس كل أمر واقع يُسّلم به؛ فمع أن الأمر الواقع لا يستطيع أحد إنكاره، إلا أن بعض من الأمر الواقع، فيه تعسفاً وظلماً ودساً وكيداً، وقد يفاجئ بغير المتوقع الذي يبطله.

ولهذا إذا أثبت الفرض البديل (التسليم إثبات لأمر واقع)، يكون في معظم الأحيان الأمر الواقع في حاجة إلى تصحيح؛ فعلى سبيل المثال: إذا أثبت أن الأم أو الأب أو الاثنين معاً، طردا أحد أبنائهم من العيش في المنزل (هذا أمر واقع) مع انه لا يُقبل من ناحية تربوية، ولا من ناحية أخلاقية، ولا من ناحية اجتماعية وإنسانية. وهو كذلك لا يُقبل من حيث الحقوق والواجبات والمسؤوليات خاصة عندما يكون قاصرا.

ومن هنا يعمل الباحث الاجتماعي، على تصحيح الأمر الواقع السلبي، لكي تحدث النُقلة في حياة الأبناء، وفي حياة الوالدين، وفي حياة الأسرة بأكملها.

أما إذا كان الأمر الواقع موجب، كطاعة الأبناء لوالديهم.

في هذه الحالة الأمر الواقع كان موجباً، وهو أمر مثبت.

وهذه الطاعة إذا كانت في طاعة الله فهي موجبة، وإذا كانت في غير ذلك فهي سالبة، ولهذا الأمر الواقع، يمكن أن يكون موجباً للوالدين، وسالباً بالنسبة للفضائل الدينية، ويمكن أن يتطابقا بالنسبة للاثنين (موجباً للوالدين وللقيم الأسرية، وموجباً للفضائل الدينية) .

هذا الأمر هو ما يود الباحث الاجتماعي العمل على تأكيده، من أجل قيام مجتمع مؤسس على الأمر الواقع الموجب.

ولذا فإن التسليم في دائرة الممكن نسبي، حيث ما يُسلِّم به مجتمع من المجتمعات البشرية قد لا يُسلِّم به مجتمع آخر. أما التسليم في دائرة المطلق فأمر واقع، الله واحد لا شريك له، ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين أمر واقع، ومع ذلك ليس دائما الناس يجمعون حتى على الأمر الواقع، ولهذا قال تعالى في سورة الكافرون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال له بعض من كفار قريش أن يعبدَ ألهتهم سنة ويعبدون إلهه سنة قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[8]. وهنا لا وجود للشك في أن الله واحد، ولهذا جاء التسليم إثبات لأمر واقع (أمر لا شك فيه).

بما أن التسليم إثبات لأمر واقع.

إذاً الشك الذي يُحدث النُقلة هو الشك في الزمن الحاضر برؤية إنجاز المستقبل الذي بإثباته تحدث النُقلة.

ولهذا فإن القاعدة هي التسليم بالإثبات.

أما التسليم بعدم الإثبات فاستثناء.

وعليه:

. لولا الشك ما تأكّدنا.

. لولا الشك ما أثبتنا.

. لولا الشك ما فكّرنا.

. لولا الشك ما بحثنا.

. لولا الشك ما حللّنا.

. لولا الشك ما تقصينا ودققنا.

. لولا الشك ما تعّرفنا وعرفنا.

. لولا الشك ما كنا متميزين بالوعي.

. لولا الشك ما كان اليقين.

. لولا الشك ما تمكّنا من إحداث النقلة.

---

[8] الكافرون 1 . 6.

ولذا:-

. تأكّد قبل أن تحكم.

. تيقّن قبل أن تقدم على الفعل.

. اقرأ قبل أن تكتب.

. أبحث وحلل قبل أن تستنتج.

. شك لتتمكن من الاستنباط العلمي.

. اسمع قبل أن تقدم على القول.

. فكّر بوعي كي لا تكون غافلاً.

. شك لتتأكد قبل أن تقدم على السلوك.

. شك لتتيقن قبل أن تنفى أو ثبت.

. شك تتمكن من إحداث النقلة.

الشك يكشف العلائق في دائرة الممكن:

في مقابل أن الشك يكشف العلائق، التسليم بها يثبتها، ولذا فالتسليم إثباتي والشك اكتشافي، به يتم استكشاف ما كان متوقعا أو مفترضا أو مشكوكا في أمره أو أمر وقوعه أو حدوثه.

ولأنه لولا الشك ما اكتشفنا وما ميزنا وعرفنا وما استقرائنا واستنتجنا وحللنا بيقين، لذا فكل شك في دائرة الممكن.

ولهذا صيغ المنهج تُمكِّن الباحث من الوقوف على العلل والأسباب في دائرة الممكن من خلال انتهاجه لفروض تحتوي على جزء من الحقيقة وتسعى للتعرُّف على الجزء الآخر منها؛ فالشك قيمة تُمكِّن البحاث من معرفة الحقيقة وطي الهوة بينهم وبين الأهداف.

أما الظن فإنه قيمة في معظم الأحيان تزيد الهوة اتساعا.

ولذا فعلى الباحث أن يصوغ فروضه على الشكوك لا على الظنون، وعليه أن يعرف أن للمبحوثين افتراضات ظنية أيضا، وينبغي أن يُطمئنهم بما لديه من مصادق حتى يزيل الشك عنهم، ويتم تقبله، واستيعابه دون سابق أحكام سلبية عليه، وإلا لن يتمكن من إجراء دراسة مهنية وافية.

وينبغي أن يؤكد الباحث الاجتماعي للمبحوث على الآتي:

. إنَّ ما يقوم به من جهد هو من أجله (من أجل المبحوث).

. من أجل تقديم المساعدة الهادفة له.

. لأداء مهنة إنسانية تستوعبه والآخرين.

. لأجل تمكينه مما يجب.

. لإحداث النقلة لمستقبل أفضل.

وذلك حتى يتأكد للمبحوث مكامن الثقة ويعرف أن الباحث الاجتماعي يعمل من أجله، ومن أجل حل مشكلته أو مشاكله، ومن أجل تدليل الصعاب أمامه وتقديم المساعدة الهادفة إليه، ولهذا يتقدم الباحث الاجتماعي عن معرفة وافرة لإزالة الظنون من نفسيات المبحوثين الذين يعمل معهم سواء أكانوا في مؤسسات أم هيئات أم جمعيات حكومية أم أهلية.

ولذلك للمنهج مجموعة من القواعد التي من بينها قاعدة الشك التي تُمكِّن من إجراء دراسات وافية في ميادين ومجالات العلوم الاجتماعية.

وعليه مثلما يضع الباحث أو الأخصائي الاجتماعي المبحوث في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) أثناء دراسة حالته وإجراء المقابلات معه، كذلك المبحوث يضع الباحث أو الأخصائي الاجتماعي في ذات الدائرة مع فارق الالتزام بالقاعدة من قبل الباحث والالتزام بالاستثناء من قِبل المبحوث.

ولأنّ الشك يقع في دائرة الممكن، لذا فالشك يمكن أن يكون موجبا، ويمكن أن يكون سالبا وفقا للآتي:

1 . الشك الموجب أن يكون المبحوث:

أ . صادقا.

ب . متطلِّعا.

ج . مشاركاً.

د . متعاوناً.

2 . الشك السالب أن يكون المبحوث:

. كاذبا.

. انسحابيا.

. غير مشارك.

. غير متعاون.

3 . الشك غير المتوقع الموجب:

. أن لا يتوقع الباحث أو الأخصائي صدق المبحوث ويتفاجئ بأنه صادق.

. أن لا يتوقع تطلُّع المبحوث ويفاجئ بتطلُّعه.

ـ أن لا يتوقع مشاركة المبحوث المجتمع في مناشطه الموجبة، ويتفاجئ بمشاركته الفعاّلة.

. أن لا يتوقع تعاون المبحوث معه ويتفاجئ بتعاونه.

4 . الشك غير المتوقع السالب:

. أن يتوقع صدق المبحوث ويتفاجئ بكذبه.

. أن يتوقع تطلّع المبحوث ويفاجئه بروحه الإنسحابية.

. أن يتوقع مشاركته الموجبة، ويتفاجئ بمشاركاته السالبة.

ـ أن يتوقع تعاون المبحوث على الخير، ويتفاجئ بتعاونه على ارتكاب الأفعال المشينة.

لذا فالباحث أو الأخصائي الاجتماعي لا ينبغي أن يُسلّم بما يقوله المبحوث أو تقوله الجماعة التي تعاني من تأزمات أخلاقية، بل ينبغي أن يضع الشك فيما يُقال، أو في بعضٍ منه قدر الإمكان، على ألاَّ يكون الشك غاية في ذاته.

ولذلك فالشك يكشف علائق متوقعة وأخرى غير متوقعة، فمن المتوقع أن لا يخرج الأبناء عن طاعة الوالدين، لكن إذا حدث الخروج فغير المتوقع جزاء من دائرة الممكن، فلا تفاجئ، وأعمل على الإصلاح، فالصلح خير.

التسليم بما هو مطلق مثبت العلائق:

التسليم بالله تعالى والإيمان به بالنسبة للإبراهيميين أمر مطلق.

أن محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين بالنسبة للمسلمين (المؤمنين برسالته) أيضا أمر مطلق، وفي مقابل ذلك لا مطلق فيما يعتقد به الإخوة المسيحيون بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله.

وعليه: قضايا ثلاثة في هذا التقديم، هي:

1 . أن أصحاب الديانات الإبراهيمية هم يؤمنون بمطلقية الله عز وجل. وفي مقابل ذلك ليس كل من خلق يؤمن بذلك.

2 . أن محمد خاتم الأنبياء والمرسلين أمر مطلق بالنسبة للمسلمين، دون أدنى شك في ذلك، ولكن في المقابل أن اليهود والمسحيين لا يسلّمون بذلك بالمطلق.

3 . أن عيسى ابن الله يعد الأمر المطلق للمسيحيين، ولكن ليس بالأمر المطلق بالنسبة للمؤمنين برسالة محمد عليه الصلاة والسلام الذين اسلموا وجوههم لله ربٌّ العالمين واحدا أحدا لا شريك له مصداقا لقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[9].

وعليه لا يؤمن بالمطلق إثباتا إلا من يكتشف الشيء ذاته أو يكتشف العلائق الدالة عليه، ولهذا فالقاعدة هي:

كل شيء نسبي في دائرة الممكن.

والاستثناء هو:

بعض الشيء مطلق في دائرة الممكن.

لذا على البحاث عدم إصدار الأحكام المطلقة إلا إذا كانت من مصدر مطلق.

الشك قاعدة، والقبول به تسليم:

في عقل المبحوث الذي يتولى أمره الباحث الاجتماعي بالدراسة شك، لذلك يجب على الباحث أو الأخصائي الاجتماعي، أن يُسلّم بأنَّ في ذهن المبحوث شكا، مما يجعله يعمل بقدر الإمكان على إزالة الشك عنه، وغرس الثقة في نفسه، وإذا لم يُزيح الأخصائي الاجتماعي شك المبحوث عنه فلن يتم تقبله من قبل المبحوث. ولهذا فالتقبل قيمة رئيسة من القيم التي تتمركز عليها طرق مهنة الخدمة الاجتماعية.

ولذا على الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أن يعمل على تفهّم ظروف المبحوث ويعمل على إزالة الشكوك التي قد يُؤسس المبحوث فروضه عليها، وذلك بتأكيده له على الآتي:

- جئت من أجلك.

---

[9] الإخلاص 1 . 4.

- من أجل مساعدتك.
- لن أؤذيك ولا أؤدي أحد من محيطك البيئي.
- أمارس دورا مهنيا.
- أمارس مهنة إنسانية.

وعليه:

- ثق إنني من أجلك.
- ثق إنني من أجل قضيتك.
- ثق إنني من أجل موقفك الإشكالي.
- تأكّد أنني المساعد لك في تذليل الصعاب، وتأهيلك لما يجب.

. ثق أن مستقبلا أفضل ينتظرك فلا تتأخر.

يُزاح الشك وتُقدَّم الحقيقة:

كلما أُزيح الشك عن القضايا يتم تقديمها كما هي بدون تزوير، ولذا دائما إزاحة الشك تُقدّم الحقيقة كما هي، لا كما ينبغي أن تكون عليه، وذلك بعد تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصائبة، وبعد استدراك لِمَا قِيل ولِمَا فُعل، في حدود ما يجب وما لا يجب، ومع ذلك قد يقع الباحث الاجتماعي في الفخ، إذا لم يضع في حسبانه غير المتوقع، ولذا فالضرورة تستوجب أن لا يقصر الباحث الاجتماعي تفكيره ورؤاه على المتوقع فقط، أثناء إجراء المقابلات أو أثناء دراسة الأفراد والجماعات وحالاتهم، لهذا يصبح الشك وجوبي، إنه الشك من أجل اليقين.

وعليه الشك من أجل اليقين موضوعي، حيث من حق المبحوث أن يشك كما هو حال الباحث أو الأخصائي الذي من حقه أن يشك فيما يُقال له حتى يتأكد بيقين.

ولهذا فالقاعدة هي:

1 . إزاحة الشك.

2 . تقديم الحقيقة.

3 . الشك من أجل اليقين.

والاستثناء هو:

1 . بقاء الشك.

2 . طمس الحقيقة.

3 . الشك من أجل الشك.

ولذا فإن لم يشك الباحث أو الأخصائي الاجتماعي بموضوعية، في أقوال وأفعال وسلوكيات المبحوث قد يقع في الفخ.

ولهذا الشك الموضوعي خير، لأنه شك من أجل اليقين.

الشك من أجل اليقين:

بما أن الشك من أجل اليقين.

إذاً من حق الجميع أن يشكّوا حتى يعلموا علم اليقين.

ولهذا فلشك حدود تبلغ النهاية الموجبة بمعرفة اليقين.

أما الظّن فليس له حدود، ولهذا يمتد إلى النهاية السالبة مصداقا لقوله تعالى: {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}[10] وهنا يتضح الفرق بين الشك الذي هو من أجل اليقين، وبين الظن الذي لا يمكن أن يؤدي إلى اليقين، ولهذا لم يُقتل المسيح عيسى ابن مريم إلى يومنا هذا بل رفعه الله إليه مكانا عِليًّا، وهذا يعني أن قول اليهود بقتلهم عيسى صلى الله عليه وسلم هو قول ظن، مما يجعله إلى يوم غد بدون مصادق أي فاقد للمعطيات اليقينية التي يتم بلوغها بالشك.

وبما أن الشك من أجل اليقين

إذاً القاعدة هي:

الشك يقيني.

والاستثناء هو:

الظن ليس بيقيني.

ولذا فالباحث الاجتماعي الذي لا يَشُكَ في سلوكيات وأقوال وأفعال المبحوث والمعلومات التي يعطيها أو يدلي بها فانه قد يقع في الفخ.

وعليه: فالقاعدة هي:

1 . الشك يؤدي إلى غرس الثقة.

2 . الظن لا يؤدي إلى غرس الثقة.

---

[10] النساء 157.

والاستثناء هو:

1 . الشك لا يؤدي إلى غرس الثقة.

2 . الظن يؤدي إلى غرس الثقة.

وبما أن الاستثناء ضعف إذا ما قورن بقوة القاعدة.

إذاً فالتمسك بالقاعدة تمسك بالقوة .

أما التمسك بالاستثناء تمسك بالضعف.

لذا ينبغي أن يؤسس الباحث أو الأخصائي الاجتماعي علاقته مع المبحوث على قاعدة إزالة الشك باليقين، وهذه تستوجب الآتي:

. اتباع أساليب المقابلات المفتوحة التي تترك الحرية الواسعة للمبحوث بأن يُعبر عمَّا في خواطره وما يكمن في نفسه.

. التعاون الموجب.

. المشاركة الفعّالة.

. التطلُّع لمستقبل أفضل.

. الموضوعية في إحقاق الحق.

. التنفيس الوجداني.

. القبول بشطحات العميل وتحدياته غير المسؤولة في بعض الأحيان.

الشك يؤدي إلى غرس الثقة وانعدامه لا يؤدي إليها:

بالرغم من أن (انعدام الشك) غير متوقع إلاَّ أنه قد يقع بما أنه ممكنا.

إنَّ شك الباحث الاجتماعي في الفرد أو الجماعة، في بداية مقابلتهم ودراسة حالتهم، لا يعني من أجل إثبات الشك، وبقاء الثقة مسحوبة، ولكنه من أجل غرس الثقة فيهم، ولهذا يُعد غرس الثقة صواباً في من هم أولى بها ولم يتم غرسها فيهم.

والقاعدة هي:

1 . غرس الثقة.

2 . غرس الثقة بعد شك.

والاستثناء هو:

1 . سحب الثقة.

2 . غرس الثقة بدون شك.

ولأن القاعدة في حالة قوة، والاستثناء في حالة ضعف.

لذا التمسّك بالقاعدة والعمل بها هو القوة، والانحراف والخروج عن القاعدة هو الضعف.

وعليه، تؤسس علائق الثقة بين الباحث الاجتماعي والمبحوثين على الآتي:

1- تكّلم من أجل أن أنصت إليك.

2- تعاون حتى تتفاعل.

3- شارك من اجل الاندماج.

4- أسلك من أجل الحركة.

5- أفعل من أجل تحقيق الإصرار.

6- تطلَّع من أجل المستقبل.

7- كن موضوعياً من أجل إحقاق الحق.

8- تحدّى من أجل بث روح المنافسة.

9- اشطح من أجل التنفيس الوجداني.

10- كسِّر قيدك من أجل تقوية الإرادة.

11- مارس حقوقك من أجل الحرية.

12- أدي واجباتك من أجل المواطنة.

13- تحمَّل مسؤولياتك من أجل نفسك.

14- شك من أجل غرس الثقة.

15 . ثق أن كل شيء ممكنا.

16 . استوعِب لتُستَوْعَب.

17 . أجدْ نقطة الانطلاق.

18 . أنطلق لمستقبلك من الآن ولا تتأخر.

19 . اصنع مستقبلك.

20 . ثق إن لم تتمكن من صنع مستقبلك ستتخلف وتتأخر.

21 . سابق الزمن واسبقه قبل أن يسبقك.

22 . تثق بأنك قوة.

عليه يجب أن يعمل الباحث الاجتماعي على إزاحة الشكوك السالبة، التي تخلق هوّة علائقية بينه وبين المبحوثين، وهي لا تُزال إلاَّ بغرس الثقة، وبوجود تفاعل اجتماعي بينهما.

ولهذا تُزال الشكوك من أجل الالتقاء على قول الحق، وفعل الحق، وسلوك الحق.

فالهدف ليس غرس الثقة، ولكن الثقة من أجل الحالة وعلاجها.

وبما أن الشك يؤدى إلى غرس الثقة.

إذاً فمن حق الأفراد والجماعات تقدير الشكوك والعمل على تجاوزها بغرس الثقة.

فعلى سبيل المثال: عندما يتقدم شاب لخطبة فتاة في المجتمعات العربية فإن أسرة الفتاة تشك في الشخص المتقدم لخطبة أبنتها، مما يجعلها تسأل وتتقصى إلى أن تتأكد من أنه الشاب المناسب للزواج، وذلك بأخلاقه ونيله للاحترام والتقدير من قبل الآخرين الذين يعرفوه بموضوعية، فهو شاب من عائلة معروفة وأنه الشخص المناسب لأبنتها ليوافقوا عليه ويتم الزواج نتيجة لشكهم من أجل المعرفة عن وعي، وبعد وثوقهم من أنه الشخص المناسب تتم الموافقة المرضية.

وبما أن انعدام الشك لا يؤدى إلى غرس الثقة وفقا لدائرة الممكن (غير متوقع).

إذاً الشك كفيل بغرس الثقة في من لم يتم وضعها فيهم.

ولذا فإنه إذا ما سحب الباحث أو الأخصائي الاجتماعي ثقته من المبحوث (في البداية) فلا يكون ذلك من أجل أن تظل الثقة مسحوبة منه باستمرار، وإنما من أجل غرس الثقة فيه.

وبما أن الاحتواء على السابق في دراسة حالات الأفراد ضرورة.

وبما أن تاريخ الحالة يربط الماضي بالحاضر بما هو متوقع.

وبما أن معرفة الماضي تُمكِّن من معرفة مكامن وعلل الحالات وأسبابها.

وبما أن الباحث أو الأخصائي يعمل على أحداث النقلة إلى ما هو أفضل.

إذاً لم يَعُد الماضي هو المستهدف بذاته، بل المستهدف هو صُنع المستقبل.

ولذا فإن من يضع الماضي هدفاً أو غاية أمامه، فإنه لا يحقق الإصلاح وفقاً لمستهدفات المنهج.

ولـذا فـإن صـناعة المسـتقبل فـي العلـوم الاجتماعيـة لا يـتم إلا بتفكيـك الماضـي والحاضر من أجل التعرّف على مكامن العلل والأسباب والمسببات لإصلاحها في هذا الزمن (الزمن الحاضر) الذي نحن فيه، ولذلك فالمنهج يهدف إلى تجاوز الزمن الآن إلى المستقبل برسم الخطط وإحداث النقلة.

ولهذا فالذين يتعلمون في الزمن الحاضر هم يعملون على صناعة مستقبل لهم، والذين يبنون مساكن لهم قبل الزواج هم يسهمون في صناعة مستقبلهم، وهكذا الذين يدَّخرون ويستثمرون.

ومـن أجـل المسـتقبل البعيـد المسـلمون الـذين آمنـوا يعبـدون الله، فيصـلون ويزكـون ويذكرون الله قياما وقعود، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ويقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك، وهكذا هم يعملون الخير والإحسان في أهله من أجل المستقبل؛ ومن أجل المستقبل تعمل الدول المتقدمة على تصنيع التقنية المتطورة لتحليـة ميـاه البحـار حتـى لا يـأتي اليـوم الـذي تُهدد فيـه الشـعوب والأمـم بالجفـاف والتصحُّر الذي يؤدي إلى الموت المحقق، وفي مقابل ذلك سيظل المتخلفون الذين ينتظرون الجفاف ولا يصنعون الآلات في الزمن الحاضر أي قبل حدوث الجفاف وقبل تفاقم مشكلة المياه فإنهم سيواجهون مشاكل في زمن كان عليهم أن يضعوه في حسبانهم دون غفلـة، ولـذا فهـم لـم يُسـهموا فـي صـنع المسـتقبل ممـا يـؤدي بهـم إلـى التأخر والهلاك الذي يجعلهم تحت رحمة من يُقدِّمَ لهم المساعدة، وحينها لا ينفعهم الندم.

وعليه :

. فكّر في المستقبل.

. خطط للمستقبل.

. أقدم على صناعة مستقبلك.

. شارك في صنع مستقبلك مع من تربطك علاقات بهم في المستقبل.

. لا تيأس ولا تتراجع.

. سابق الزمن.

. مستقبلك أمامك فلا تلتفت.

. ثق أنك قوة قادرة على تحدي الصعاب.

ولذا فالمساعدة التي يؤسسها المنهج ليست قاعدة في ذاتها ولا هدف، بل هي مرحلة يتم فيها إسعاف وانقاد الحالة من الغرق والهلاك والضياع والانحراف السالب.

الهدف هو الإصلاح الذي يُمكّن المبحوث من صناعة مستقبله بالمشاركة الفاعلة.

ولهذا فحالة الأفراد وحدة واحدة المستهدف منها المستقبل، أما ما هو في الماضي والحاضر فهو لاستقراء علله وأسبابه لكشف مكامن القوة والضعف التي تمّ الإغفال عنها والضعف الذي المَّ بالأفراد والجماعات والمجتمعات.

ولذلك فللخوف فضل على عقولنا؛ فلولاه ما فكَّرنا، ولا خططنا، ولا صنعنا مستقبلا مناسبا لحياتنا، ولولا تفادينا الخوف بذلك ما أطمئنت نفوسنا.

الفصل الثاني عشر

قاعدة

(تصحيح المعلومة)

(تصحيح المعلومة)

المعلومة هي حاملة الأخبار وكامية الأسرار تنقلها الكلمات من مُرسل لمستقبل، وهي في حالة امتداد بين قبول ورفض وإضافة وتعديل، وغموض ووضوح، ولأنها بين هذا وذاك، فهي في حاجة لأن تُصحَّح، حتى لا تزوّر الحقائق، ويحيد الكلام عن مواضعه، ولذا فإن تصحيح المعلومة يتطلب مصدرا صادقا وباحثا غير متحيز وقادا على أن يتبيّن وأن يميز بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون، وقادرا على أن يستقراء ويستنبط من النص دلالة ومعنى.

المعلومة الصائبة تصّحح المعلومة الخاطئة:

من القواعد التي تأسس المنهج عليها هي قاعدة تصحيح المعلومة، إثباتاً للفرضيات الآتية:

. المعلومة الصائبة تصّحح المعلومة الخاطئة.

. الانحراف السالب نتاج معلومات خاطئة.

. الانحراف الموجب نتاج معلومات صائبة.

ترسي هذه الفرضيات الثلاثة قواعد قيمية لعمليات الدراسة الخمس (تجميع المعلومات، تحليل المعلومات، تشخيص الحالة، علاج الحالة، تقويم الحالة).

وهذه القواعد هي:

1 . المعلومة متأرجحة بين صائبة وخاطئة.

2 . تصحيح المعلومة بالمعلومة.

3 . الانحراف بين موجب وسالب.

4 . المعلومة السالبة انحرافية.

5 . المعلومة الموجبة إصلاحية.

6 . التصحيح وجوبي.

والاستثناء هو:

1 . المعلومة ثابتة لا تتغير.

2 . عدم تصحيح المعلومة بالمعلومة.

3 . الانحراف سالبا.

4 . المعلومة السالبة ليست انحرافية.

5 . المعلومة الموجبة ليست إصلاحية.

6 . التصحيح ليس وجوبي.

وبما أن الانحراف نتاج معلومات خاطئة.

إذاً الإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة.

ولهذا ينبغي إن يتم العلاج بتصحيح المعلومات التي جعلت من المنحرف منحرفاً؛ وإذا لم تُصّحح المعلومات الخاطئة، التي جعلت منه منحرفاً، قد لا يوفِّق الباحث الاجتماعي في إعادة المبحوث إلى بيئته الاجتماعية، وتمكينه من تأدية وظائفه الاجتماعية على أحسن وجه.

وبما أن الانحراف السالب هو نتاج معلومات خاطئة.

والانحراف الموجب هو نتاج معلومات صائبة.

إذاً الإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة، ولذا ينبغي أن تحل المعلومات الصائبة محل المعلومات الخاطئة، ثم تُدعم المعلومات الصائبة بأخرى أكثر صوابا حتى يتم تثبيت القول السليم والفعل السليم والسلوك السليم.

وعليه:

. تبيّن الخطأ وأدركه قبل فوات الأوان.

. أقدم على تصحيح المعلومة الخاطئة.

. تمعّن بعقل وموضوعية وميِّز.

. جادل بحجَّة.

. حاور بمنطق.

. تطلَّع حتى تستوعب.

. قرر ما يجب بدون تحيّز.

. قوّم جهودك بموضوعية.

. صحح الأخطاء التي استوضحتها بالتقويم.

. أقدم بلا تردد.

ولـذا فـإن المعلومـة الصـائبة بنائيـة: حيـث احتوائهـا للقيم والفضـائل التـي يرتضـيها المجتمع الإنساني.

ولـهذا تُوصـف هذه القيم والفضـائل بالبنائيـة: حيث مـن يتشـرَّبها بمعلومـات صـائبة يكون سلوكه على صواب، ولذا تُبنى الذات بقيم وفضائل المجتمع التي تترسَّخ في ألذهن والنفس وتتجسد في السلوك والفعل، وعلى ضوئها تُبنى الشخصية المتطلّعة لِما هو أفضل وأجود وأحسن، حيث الاستيعاب لكل مفيد ونافع مع الاعتزاز في ذات الوقت بالقيم التي تبني الذات، ولأنها المعلومة الصائبة هي التي تحمل في مضمونها القيم الإنسانية، لذا فهي التي تُمكِّن الإنسان من بلوغ المستوى القيمي الموضوعي الذي ببلوغه تصبح شخصية الأفراد خالية من قيم التعصُّب والانحياز للباطل والظلم، حيث التمسك بالحق والعدل مع فائق التقدير والاعتبار.

وفي مقابل ما سبق تأتي المعلومة الخاطئة، التي تنشئ شخصية إنسحابية، حيث تشرُّبها لقيم لا يرتضيها المجتمع، فهذه الشخصية ذات مستوى قيمي هدمي وليس بنـائي كمـا هـو حـال الشخصـية التـي تشـرَّبت قـيم وفضـائل اجتماعيـة وإنسـانية. فالشخصية الإنسحابية هي التي تتخلى عن بعض من القيم التي يريد لها المجتمع أن تسود بين أفراده وجماعاته في الفعل والسلوك، ولهذا كلما استمرت الشخصية الإنسحابية في الانسحاب من قيم المجتمع وفضائله التي يرتضيها، وصلت إلى مستوى الأنانية، الذي فيه لا يفكر الفرد إلا في نفسه، حيث تخلّيه عن القيم التي تربطه بالآخرين، حتى يوصف بأنه شخصانيا (أنانيا).

وعليه فالفرق كبير بين من تشرَّب معلومات صائبة وبين من تشرَّب معلومات خاطئة، ولأن المعلومة الصائبة ذات حُجّة (مصادق) لذا فهي الأقوى، ولأن المعلومة الخاطئة تفتقد للحجة فهي الأضعف، لذا فهي التي لا تصمد أثناء المواجهة مع المعلومة الأصوب (الأقوى)، ولأن المعلومة الصائبة علاجية، لذا فهي التي تصمد بقوتها حتى تهزم المعلومة الخاطئة الهدميه وتحل محلها.

بناء على ما تقدم يقع الانحراف في الجزء المتوقع من دائرة الممكن، أما فشل الباحث في عمليات الدراسة فيقع في الجزء غير المتوقع من دائرة الممكن، ولهذا

عدم الإصلاح غير متوقع، وعدم إيجاد علاج غير متوقع، وعدم دراسة الحالات غير متوقع.

لذا فالانحراف السلبي كمفهوم بِلُغة المنهج هو ذو دلالة حركية، ولهذا فهو خروج عن القاعدة بأسباب المعلومات الخاطئة.

عليه:

– الانحراف إلى القاعدة قوة.

. الانحراف عن القاعدة ضعف.

. الانحراف عن الانحراف نسبي.

. الانحراف عن الانحراف السالب يُعد عودة إلى القاعدة، ولذا فهو الموجب.

– الانحراف عن الانحراف الموجب يُعد خروج عن القاعدة، ولذا فهو السالب.

ـ الانحراف السالب يُعد موجبا بالنسبة للمنحرفين (الخارجين عن قيم المجتمع وفضائله).

. الانحراف السالب يُعد سالبا بالنسبة للمتمسكين بقيم المجتمع وفضائله الخيرة.

العودة إلى القاعدة بين الضرورة والوجوب:

القاعدة تأسيسه لكل بناء، ومنطلق لكل هدف، ومرجعية قيمية لكل باحث ولكل مجتمع، ولهذا تعد التربية على قيمها واجبة، ويعد إصلاح حال الأفراد المنحرفين عنها وعلاجهم ضرورة اجتماعية وإنسانية، ولهذا فالإصلاح والعلاج واجب على المسؤولين والأخصائيين الاجتماعين والنفسيين وعلى التربويين وعلى الأطباء، وضرورة للمريض والمنحرف عن القيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية، وكذلك كما هو ضرورة لهم هو ضرورة لذويهم وللمجتمع الإنساني عامة.

ووفقا لدائرة الممكن فإن الانحراف (الخروج عن القيم التي يرتضيها المجتمع) هو متوقع، ولذا لا ينبغي الاستغراب بما أننا نتوقعه قبل حدوثه في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، وكما هو الحال بالنسبة لتوقعاتنا للانحراف السالب، كذلك هو حال توقعاتنا للعلاج والإصلاح، ففي الوقت الذي نتوقع فيه حدوث الانحرافات كذلك نتوقع إمكانية العودة والإصلاح.

وعليه لا ينبغي أن ييئس الباحث أو الأخصائي الاجتماعي من العلاج وعودة المنحرفين إلى القواعد الاجتماعية التي من خلالها يتمكنوا من ممارسة حقوقهم وأداء واجباتهم ولعب أدوارهم بنجاح مع حمْل مسؤولياتهم بإرادة.

المعلومة تؤثر في المعتقد والفعل:

بما أن المعلومة تؤثر في المعتقد والفعل.

إذن التأثير السالب نتاج المعلومات الخاطئة، والتأثير الموجب نتاج المعلومات الصائبة.

فنحن بني الإنسان نتعلم بالمعلومة التي تقع في حالة تعامل بين مُرسل ومستقبل، بين منتج لها وبين مستخدما أو مستهلك، بها يتم الاتفاق وبها يتم الاختلاف أيضاً. إنها العابرة للعقول والعابرة للحدود؛ فهي لا تسجن، وإن سُجن أصحابها المصدِّرين أو الموردين لها.

ولهذا تُعد المعلومة بنائية في دائرة الموجب، وهدميه في دائرة السالب.

وعليه فالقاعدة هي:

1 . المعلومة الموجبة بنائية.

2 . المعلومة السالبة هدميه.

والاستثناء هو:

1 . المعلومة الموجبة هدميه.

2 . المعلومة السالبة بنائية.

ولأن المعلومات هي التي تشكّل آراءنا وقناعاتنا، لذا فهي التي تشكّل معتقداتنا أيضاً، ولذا فالمعلومة تُحمل في الكلمة والجملة والنص سواء أكان شفويا أم مكتوبا.

وعليه ستضل المعلومة في دائرة الممكن المتوقع وفي دائرة الممكن غير المتوقع سالبة كانت أم موجبة، ولا ينبغي أن يستغرب الباحث الاجتماعي قولا أو سلوكا أو فعلا يُقال أو يُفعل من قبل الفرد أو الجماعة.

ولذا فإن المعلومة تستوجب الآتي:

. حامل لها (مرسل).

. مستمع إليها (مستقبل).

. لغة ومنطق للتحكيم.

. هدف تسعى إليه.

. خطة تُرسم لها مثلما تُرسم بها.

. مقدرة تمييزية.

ـ تفهّم لظرفها ألزماني والمكاني وظرفها الموضوعي (الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والنفسي، والذوقي، والثقافي).

وعليه:

. فكّر بمعلومة.

. فكّر في معلومة.

. استمع جيدا إليها.

. ميز بها.

. خطط بها.

. حاجج بها.

. صحح بها خاطئا.

. تطلَّع بها المستقبل.

. أنتج بها فعلا موجبا.

ولهذا لا يمكن أن يتم أصلاح أو تقويم القول أو السلوك أو الفعل ما لم يتم تغيير المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

ولذلك الصواب قيمة موجبة والخطأ قيمة سالبة.

ولان الإنسان قوة، فبإمكانه أن يعمل ما هو متوقع وما هو غير متوقع، ولذا لا استغراب عندما يَقدِم أو يَفعل الإنسان سلوكيات غير متوقعة، وما يقدم عليه أو يفعله قد يكون موجبا ويستوجب التقدير والاحترام والاعتبار ليُثبّت مع القواعد القيمية التي يرتضيها المجتمع، وقد يكون ما يقدم عليه أو يفعله الإنسان سالبا فيستوجب القيام بدراسته حتى معرفة العلل والأسباب التي تدفعه إلى القيام أو الإقدام على الأفعال والسلوكيات السالبة، وتصحيحها بمعلومات صائبة.

ولهذا على الباحث الاجتماعي أن لا يستغرب ولا يوقف قدراته العقلية، بل عليه أن يعمل بكل سرعة وقوة على تصحيح المعلومات الخاطئة التي أثرت في القول، والفعل، والسلوك، حتى يعيد المنحرف (السالب) إلى القواعد التي يرتضيها المجتمع. وعليه لا داعي للتأخير وعدم الاهتمام بدراسة مثل هذه الحالات فالتأخير والإهمال يؤديان بالضرورة إلى نتائج أكثر سلبية (انحرافات مركبة)، ولذا فإن الإقدام بكل قوة وسرعة على الدراسة الموضوعية يخفف عمليات التوتر وييسر عملية العلاج والإصلاح.

وعليه:

. عجِّل بالدراسة.

. جمّع معلومات وافرة عن الحالة.

. حلل المعلومات بموضوعية.

. شخّص الحالة عن كتب.

. حدد العلاج المناسب.

. قوّم جهودك بشفافية.

. قدّم المساعدة الهادفة.

. ثق أن العلاج والإصلاح ممكنين فلا تيئس.

كل شيء ممكنا فلا استغراب ولا يأس:

بما أنّ كل شيء ممكنا ولا استغراب ولا يأس.

إذاً على الباحث الاجتماعي الآتي:

1 – الأقدم على عملية جمع المعلومات فهي مكمن الحقائق.

2 . الأقدم على تحليلها فهي المرشد لِما يجب.

3 . الإقدام على تشخيص الحالة وفقا للمعلومات المجمّعة حتى يتم كشف العلائق بين العلل والأسباب.

4 . الإقدام على علاج الحالة حتى يعود الأفراد إلى أداء وظائفهم وأدوارهم الاجتماعية والإنسانية.

5 . الإقدام على تقويم ما بُذِل من جهد، حتى تُصحّح الأخطاء.

ولهذا في كل عملية من العمليات الخمس السابقة يجب أن يُميّز الباحث الاجتماعي بين المعلومة الصائبة والمعلومة الخاطئة وذلك لأن:

1- المعلومة الصائبة قوية، والمعلومة الخاطئة ضعيفة.

2- دائرة المتوقع في المعلومة الصائبة، تُظهر القوة البنائية والإنسانية والإصلاحية والوقائية والعلاجية والاستثمارية والمُفرحة والتطلُّعية والموضوعية، وتُقدّم الحقائق كما هي، ويترتب عليها الفعل المُرضي.

3 . دائرة المتوقع في المعلومة الخاطئة، تُظهر القوة الهدميه، والمؤذية، والمؤلمة والأنانية، والإنسحابية، ولا تُقدّم الحقائق كما هي، فيترتب عليها فعل الندم.

ولهذا ينبغي على الباحث الاجتماعي الآتي:

1- أن يُميِّز بين ما هو ظاهر وما هو كامن.

2- ألاَّ يغفل عن كل كبيرة وصغيرة في دائرة الممكن.

3- أن يربط العلاقة بين الظاهر والكامن.

4- أن لا يستغرب الأقوال والأفعال والسلوكيات حيث كل شيء ممكنا.

5- أن يُظهر قوة الحُجَّة، والكلمة، والجملة، والقول، والفعل والسلوك.

6- أن يُدحض الحُجَّة بالحُجَّة.

7- أن يحافظ على اتزانه وتوازنه أمام المعلومة الخاطئة وأمام الأفراد.

وعليه فالانحراف هو تغيير اتجاه أو مسار من نقطة إلى أخرى، ومن الانحراف ما هو موجب ومنه ما هو سالب، وذلك وفقا للمعطيات ومسوغاتها العلمية والمنطقية والأخلاقية التي تختلف من مجتمع لآخر، ولا يُقصد بالانحراف هنا الخروج على القانون كما عرَّفه أساتذة القانون، بل يُقصد به الانحراف كمفهوم علمي ذو دلالة حركية، تتعلق بالفعل والسلوك، كما هو حال الانحرافات الاجتماعية التي تعد خروجا عن القيم الاجتماعية العامة أو عودة إليها.

ولتوضيح ذلك أعرض الآتي:

1- إذا كان انحراف العميل عن انحراف سالب وذلك بالتخلي عنه، والعودة إلى الأصل (الطريق المستقيم) المتكوِّن من قيم المجتمع ودينه وثقافته، وأصوله الخيرة

التي تكوّن ناموساً اجتماعياً له، فإن هذا الانحراف يعد موجباً ويعد صواباً، وينبغي التشجيع عليه.

ب – إذا كان انحراف العميل عن انحراف سالب، وتوجه إلى انحراف هو الآخر سالب، يؤثر سلبا على قيم المجتمع وفضائله الخيّرة، كأن يتخلى الفرد أو الجماعة عن تناول المخدرات، وترتكب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فالسلوك ألانحرافي لا زال في ذات الاتجاه (من سالب إلى سالب)، ولذلك فإن الجماعة تعد منحرفة سلبا، وهي في حاجة للعلاج أو الإصلاح.

ولذا فالعودة إلى القاعدة قوة، والانحراف عنها ضعف.

ولهذا فالقاعدة هي:

الانحراف عن الضعف عودة إلى القوة.

والاستثناء هو:

الانحراف عن القوة خروج إلى الضعف.

وبناء على قاعدة الممكن فإن الانحراف:

. متوقع موجب.

. ومتوقع سالب.

. غير متوقع موجب.

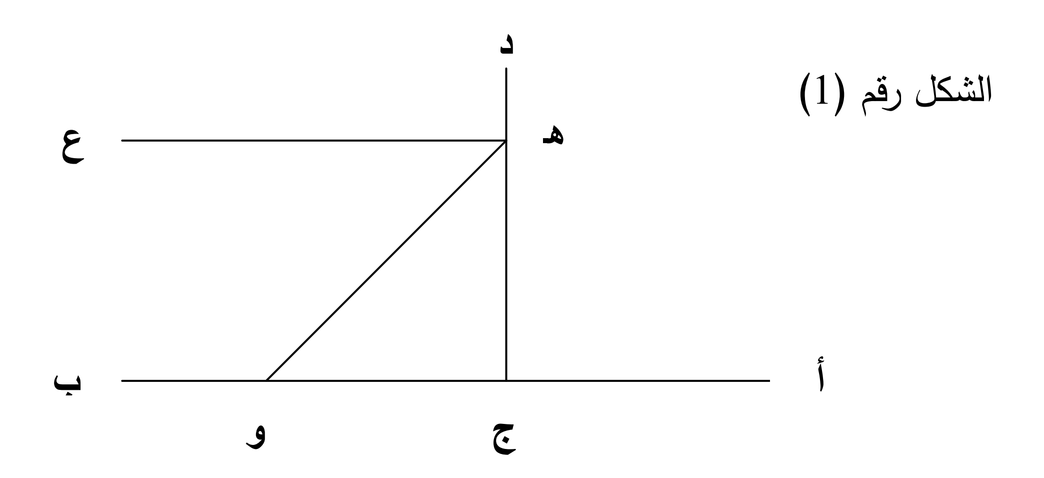
. غير متوقع سالب.

وهذا الأمر في مجمله يجعل الخروج ممكنا مثلما العودة ممكنة.

المنحرف عن الانحراف منحرف:

المنحرف عن الانحراف منحرفا سواء أكان هذا الانحراف عن الخط المستقيم، أم عن خط منحرف إلى الخط المستقيم، وهو خروج عن اتجاه، أم أنه سير في اتجاه مخالف للخط المنحرف عنه.

والذي يحدد نوع الانحراف هو الموضوع المنحرف عنه، والموضوع المنحرف إليه، الذي يحتوي على الأهداف، والغايات، المراد الوصول إليها أو تحقيقها، والانحراف عن الانحراف قد يكون انحرافاً جديداً، وقد يكون عودة إلى الخط المستقيم الذي خرجت منه الانحرافات، وقد يكون متوازياً معه، كما في الشكل رقم (1).



الشكل رقم (1)

أ ب : هو الخط المستقيم الذي تنتظم ذات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتتجسد أخلاقياتهم وإرادتهم عليه (المحتوي على الدين، والعرف، والثقافة).

ج د: هو المنحرف عن خط ذات المجتمع أ ب .

هـ و: خط الانحراف عن ج د إلى أ ب، وهو المنحرف عن الانحراف.

هـ ع: خط الانحراف عن ج د، والمتوازي مع أ ب، وهو المنحرف عن الانحراف.

ويتضح من الشكل رقم (1) أنه ليس بالضرورة أن يكون الانحراف سلبياً، فالخط هـ و، المنحرف عن ج د، إلى أ ب، يعتبر عودة إلى الخط المستقيم (الطريق المستقيم الذي اختاره المجتمع عن وعي وإرادة).

ولتبيان ذلك يلاحظ الآتي:

أ- يعتبر الخط المستقيم أ ب، هو خط ذات المجتمع، وفقا لأصوله الثقافية والحضارية المتضمنة للقيم والاعتبارات المتفق عليها اجتماعياً، مما يجعل الالتزام بها يعد صواباً، والانحراف عنها يعد خطأ، وقد يؤدي هذا الانحراف إلى تجريم، أو معاقبة مرتكبه.

د

الشكل رقم (2)

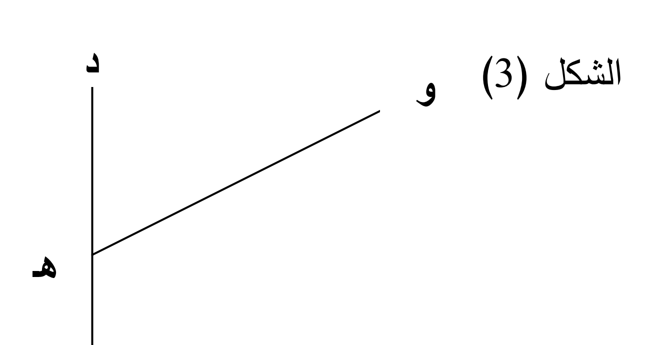
ب أ

ج

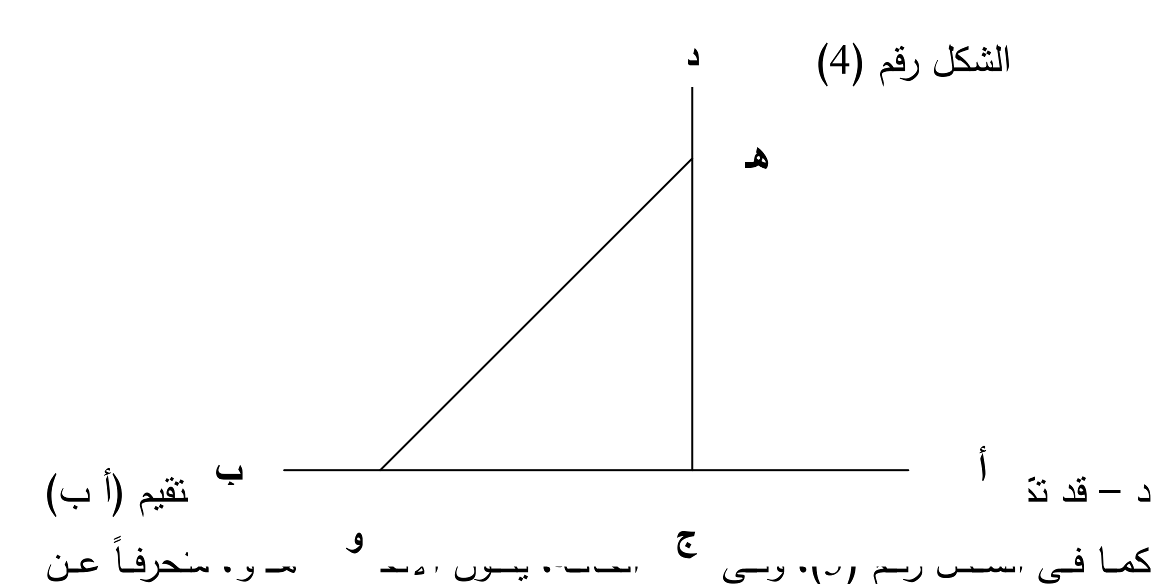
ويبـيّن الشـكل رقـم (2) الـذي يعتبـر فيـه أ ب، هـو الخـط الصـواب (خـط تنظـيم المجتمع)، و يعتبر فيه الخط د ج، انحرافاً عن الخط المستقيم أ ب، لأنه خروج عن أخلاقيات المجتمع وقيمه وفضائله، وأصوله الخيرة مما يجعل سالكيه (المنحرفين) هم فـي حاجـة لمـن يتتبـع حـالاتهم وفقـا لعمليـات الدراسـة الخمـس (عمليـة جمـع المعلومات، وعملية التحليل، والتشخيص، والعلاج والتقويم)، من أجل عودتهم إلى مكانة المجتمع واعتباراته لكي لا يكونوا عائقين له، ولكي يؤدوا وظائفهم الاجتماعية حسب قدراتهم واستعداداتهم.

ب – يعد المنحرف عن الانحراف منحرفاً، سواء أكان عضواً في جماعة أم عينة كما في الشكل رقم (3) باعتبارها منحرفة عن الانحراف في اتجاه معاكس لاتجاه خط تنظيم المجتمع أ ب، ويكون خط انحرافها هـ و، المنحرف عن خط الانحراف ج د، مما يجعلها في حالة انحراف مرتين: الأولى انحراف عن ذات المجتمع ، والثانية انحراف عن المنحرفين عن قيم المجتمع.

الشكل (3)



ج- لا يعد المنحرف عن الانحراف منحرفاً سالباً من وجهة نظر المجتمع وقوانينه إذا توحَّد سلوكه مع سلوك المجتمع واتجاهاته مع اتجاهات المجتمع، مع أنه منحرف عن السلوك ألانحرافي للمنحرفين، وذلك بخروجه عن ممارساتهم الإنحرافية، والشكل رقم (4) يبيّن ذلك، حيث يعتبر أ ب، هو خط القيم والنواميس الاجتماعية المتفق عليها، هـ و، انحرافاً عن ج د، وعودة إلى أ ب، أي أنه انحراف عن الانحراف، وعودة إلى خط ذات المجتمع، ويكون انحرافه في هذه الحالة مرة واحدة، ويعتبر انحرافاً موجباً لأنه انحراف عن الانحراف السالب بالنسبة إلى المجتمع، وعودة إلى الالتزام بالقيم العامة المتفق عليها حسب شريعته وقوانينه التي أقرها، وفي الوقت ذاته يعتبر انحرافاً سلبياً من وجهة نظر الجماعة المنحرفة ج د، لأنه انحراف عن قيمها التي تعتقد فيها صوابا.

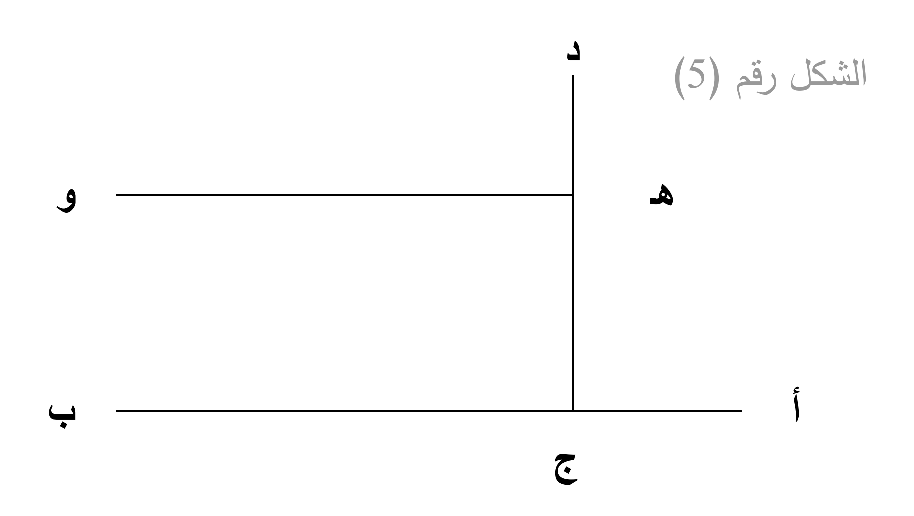


د – قد تذ ... تقيم (أ ب)

كما في ... منحرفاً عن

الانحراف ج د، ومتوازياً من أ ب، أي أنه لا زال هناك انحراف عن قيم المجتمع

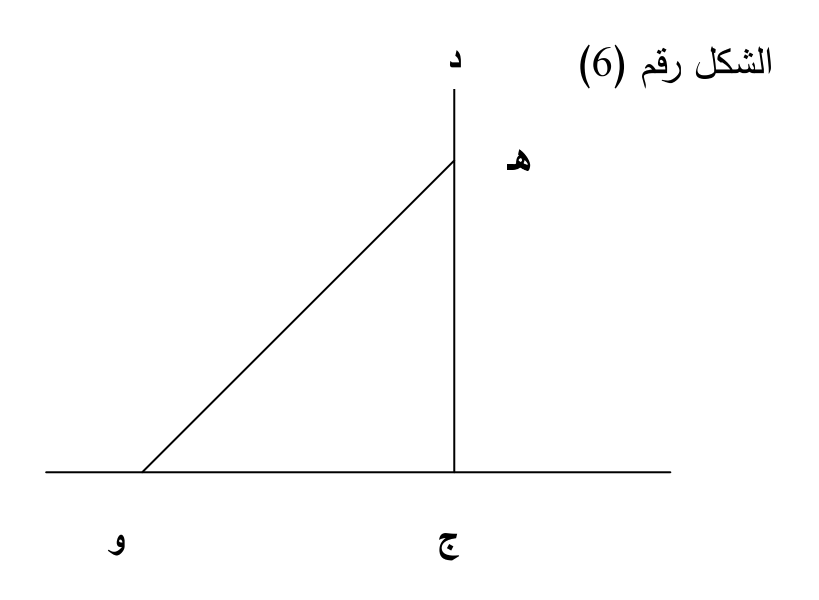
وأخلاقياته المفضلة، إضافة إلى الانحراف عن المنحرفين في الاتجاه (ج د)، وهذا الانحراف هو الآخر يعد سالباً من وجهة نظر أ ب، لأنه لم يكن عودة إليه، بل إن الانحراف المتوازي يكون أكثر خطورة على الخط المتوازي معه، لأنه في حالة تحدٍ له بتوازيه معه، مما يجعلهما لا يلتقيان مباشرة مهما امتدا إلى النهاية، وبالتالي يكون الإصلاح مع أ ب، أمراً صعباً، مع أنه من الممكن وفقا لدائرة المتوقع وغير المتوقع. فالعودة إلى المنحرفين المتمثلين في الخط ج د، هذه متوقعة، وفي هذه الحالة يصبح أمل العودة إلى ذات المجتمع أ ب هو الآخر ممكناً. أن امتداد ج د، إلى النهاية يجعل أمل الالتقاء مع أ ب، متوقعا مما يجعل الإصلاح في مثل هذه الحالة ممكنا.



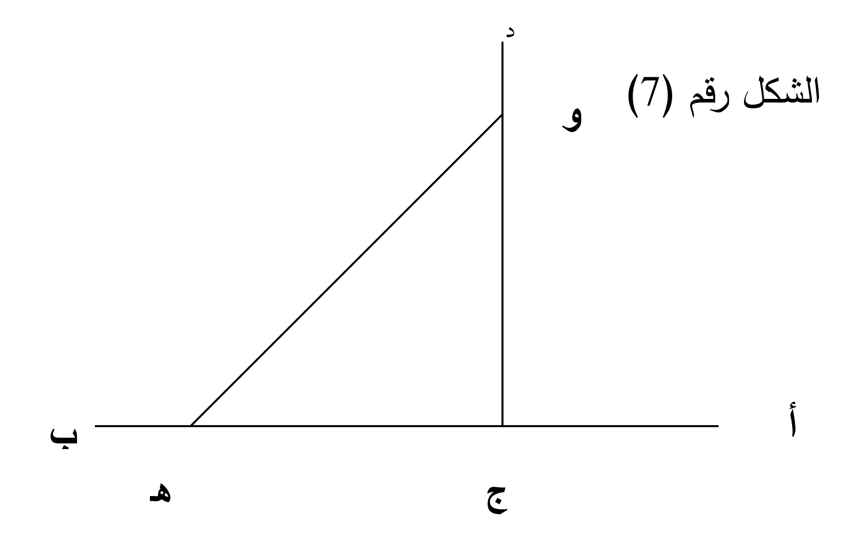
هـ – في الشكل رقم (6) يعتبر أ ب، خط تنظيم المجتمع، والخط ج د، هو خط الانحراف عن قيم المجتمع، والانحراف هـ و، هو انحراف عن الانحراف، ويعتبر هذا الانحراف خروجاً عن الانحراف السابق، ولم يكن عودة إلى المجتمع (أ ب) حيث

أنه تجاوزه في الاتجاه ألانحرافي، ولم يتوقف عنده ليستأنف سيره معه (سيره الطريق المستقيم)، ويعد انحرافاً سالباً بالنسبة إلى المجتمع أ ب، لعدم عودته إليه، ويعد سالباً أيضاً بالنسبة إلى العينة المنحرفة ج د، لأنه خروج عنها، ولكن بتماس العينة المنحرفة هـ و، مع المجتمع أ ب، قد يحدث الحوار ويحدث التصحيح للبعض، وفي هذه الحالة قد تكون إمكانية العلاج ممكنة معهم.

الشكل رقم (6)



و – تختلف الانحرافات باختلاف اتجاهاتها، ومواضيعها، وأهدافها، ففي الشكل رقم (7) يكون أ ب هو الخط المستقيم لقيم المجتمع وأخلاقياته وفضائله، مما يجعل ج د، منحرفاً عنه انحرافا سالباً، وكذلك الانحراف و هـ، يعد انحرافاً سالباً بالنسبة إلى المجتمع أ ب، لأنه هو الآخر خروج عنه والتحاق بالعينة أو الأفراد أو الجماعة المنحرفة ج د، مما يجعله بالنسبة للمنحرفين موجباً في انحرافه. ولذلك ما يعده مجتمع من المجتمعات أو جماعة من الجماعات انحرافاً سالباً قد يعده الآخر انحرافاً موجباً.



الشكل رقم (7)

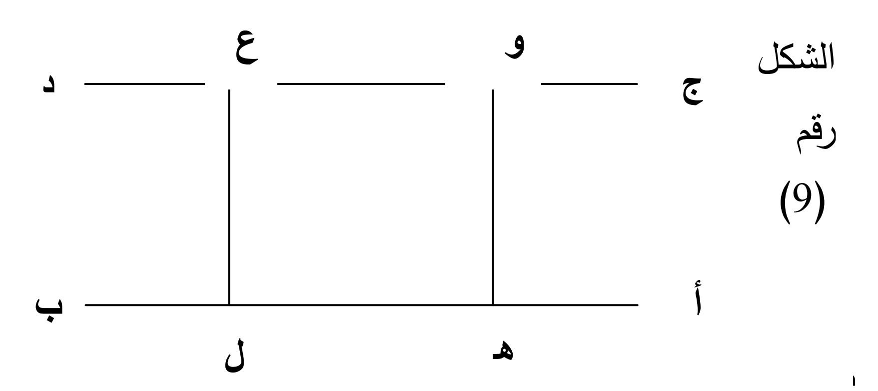
ر- يوضح الشكل رقم (8) توازي الانحرافات التي لا تلتقي مباشرة مهما امتدت إلى النهاية، مع أنها قد تلتقي في حالة تماسها بجسم، أو تقاطعها مع المستقيم (أ ب) عندما تتأثر به، وبما أن أ ب، هو خط تنظيم المجتمع، فإن ج د، منحرف عنه ومتوازيا مع الانحراف و هـ، المنحرف هو الآخر عن أب، ومع أن كلاً منهما عمودي على الخط المستقيم أ ب، فإن كلاً منهما يختلف عن الآخر في انحرافه، مع أنه ويوازيه، فالانحرافات السياسية على سبيل المثال مختلفة وتختلف عن غيرها من الانحرافات الدينية، والاقتصادية، والأخلاقية، والثقافية، ولذلك لا يلتقي الخطان المتوازيان مهما امتدا إلى النهاية، إلا إذا تماسا مع أب، وأثر فيهما أو في أحدهما، وهذا أمر ضروري في حالة امتدادهما إلى النهاية.

ولذا نضيف الخطين المتوازيين لا يمكن أن يكونا خطين إذا امتدا إلى النهاية، لأن امتدادهما إلى النهاية يجعل منهما دائرتين لا مستقيمين، هذا أولاً، وثانياً أن المستقيمين المتوازيين قد يلتقيان إذا تماسا مع مستقيم آخر يقطعهما، ولهذا ينبغي القول : المستقيمان المتوازيان لا يلتقيان ما لم يقطعهما مستقيم آخر.

هـ د

الشكل (8)

ز- إنّ الذي يميز الانحراف الموجب عن الانحراف السالب هو الموضوع المنحرف عنـه والموضـوع المنحـرف إليـه، فـإذا افترضـنا كمـا هـو مبـين بالشكـل رقـم (9)، أن أ ب، هـو مجتمـع مسـلم، وأن ج د، هـو مجتمـع مسـيحي، فـإن الانحـراف هـ و، يعـد انحرافـاً سـالباً بالنسـبة إلـى المجتمـع أ ب، لأنـه منحـرف عنـه، ويعـد انحرافـاً موجبـاً بالنسبة إلى المجتمع المسيحي ج د، لأنه منحرف إليه، وهكذا بالنسبة إلى الانحراف ع ل، يعتبـر موجبـاً بالنسـبة إلـى أ ب، لأنـه تخـلٍّ عـن المسـيحية واعتنـاق للـدين الإسلامي، ويعتبر انحرافاً سالباً بالنسبة للمجتمع ج د.



الشكل رقم (9)

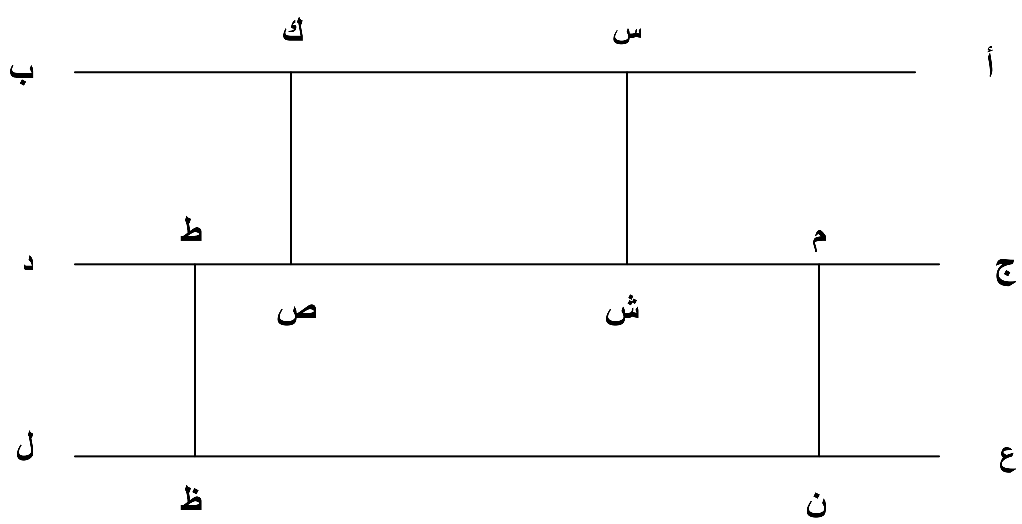
ن الثلاثـة،

الإسـلام، والمسيحية واليهوديـة فـإن الـدين الخـاص بكـل أمـة هـو المقيـاس الـذي يحـدد نـوع الموضـوع ألانحرافـي، ويحـدد أيضـاً خواصـه الموجبـة والسـالبة، ولـذلك تتكـون فـي الشكل رقم (10) ثلاثـة مقـاييس مختلفـة، ولـذا مـا يقره واحد منهـا، قد لا يقره الاثنـان الآخران، أو واحد منهمـا. فـي الشكل أ ب، مجتمـع مسـلم، ج د، مجتمـع مسيحـي، ع ل، جماعـة يهوديـة، ويكـون الانحـراف س ش، انحرافـاً سـالباً بالنسـبة إلـى المجتمـع أ

ب، لأنه خروج عنه ويكون سالباً أيضاً بالنسبة إلى المجتمع ع ل، ويعتبره المجتمع ج د، انحرافاً موجباً باعتباره عودة إليه، وتخلياً عن غيره والانحراف ص ك، يعد سالباً من وجهة نظر المجتمع ج د، والمجتمع ع ل، ويعد موجباً من وجهة نظر المجتمع أ ب، وكذلك الحال بالنسبة إلى الانحراف م ن، الذي يعد سالباً من وجهتي نظر المجتمع أ ب، والمجتمع ج د، مع أن مقاييسهما مختلفة باختلاف مواضيعهما، ويعتبر الانحراف ظ ط، موجباً بالنسبة إلى المجتمع ج د، وسالباً بالنسبة إلى المجتمع أ ب، والمجتمع ع ل.

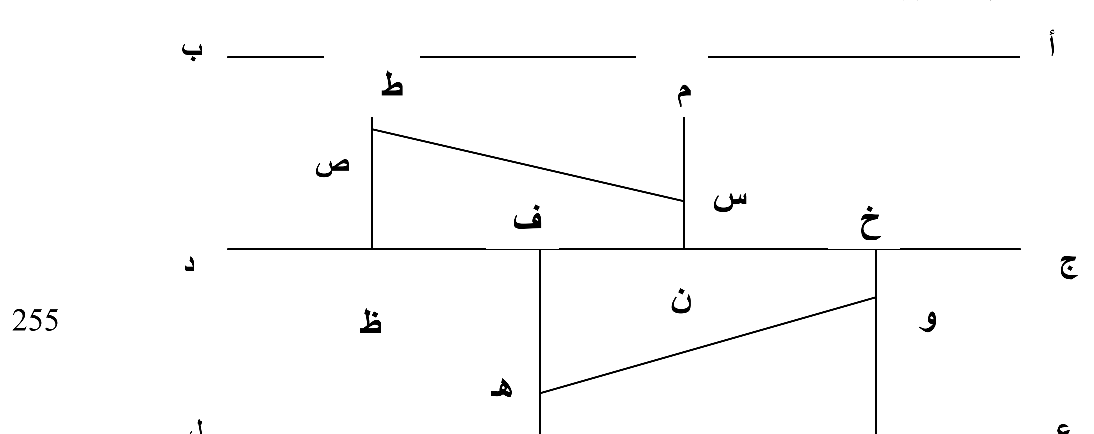
وعليه، الخروج عن الاتجاه يعد انحرافاً، والذي يحدد نوعه سالباً أو موجباً هو الموضوع المنحرف عنه والموضوع المنحرف إليه حسب مقياس كل مجتمع.

الشكل رقم (10)

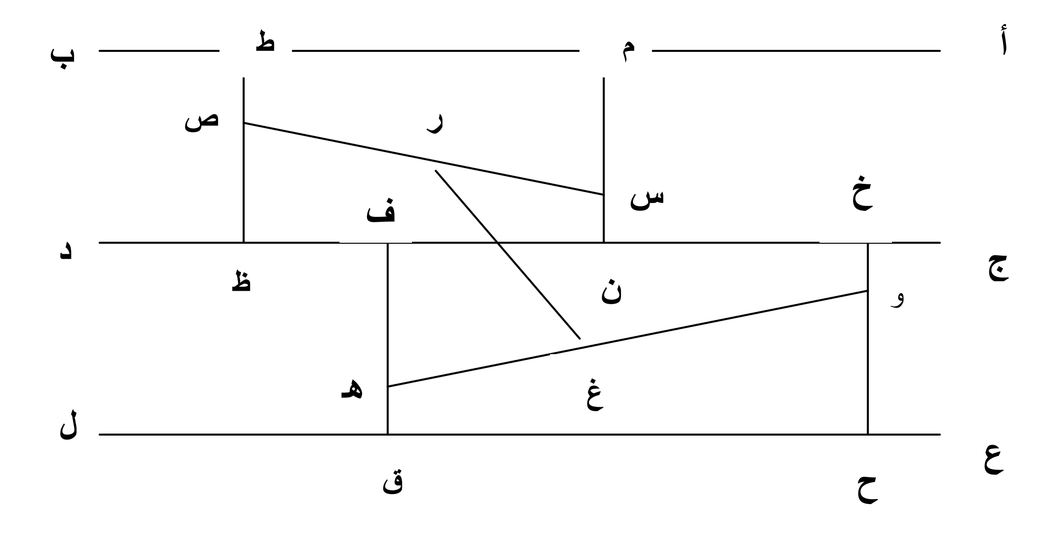


الحال بالنسبة إلى الانحراف هـ و، المنحرف عن الانحراف ق ف، ويعد سالباً بالنسبة إلى ق ف، وموجباً بالنسبة إلى خ ح، ع ل، ولهذا يحدث الصراع أو الاتفاق وتختلف المواقف باختلاف الاتجاهات.

الشكل رقم 11(أ)



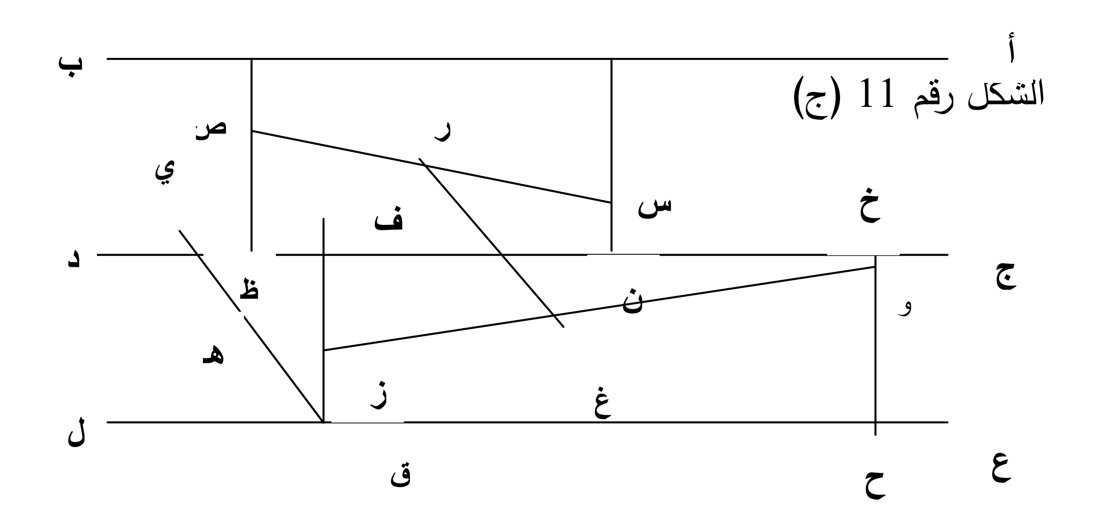
ويبيّن الشكل رقم 11 (ب) الانحراف غ ر، المنحرف عن هـ و،المنحرف هو الآخر عن ق ف، المنحرف عن ع ل، في اتجاه المنحرف س ص، المنحرف عن م ن، المنحرف هو الآخر عن أ ب، ويكون انحراف غ ر، موجباً بالنسبة إلى قياسات الانحراف س ص، والانحراف ظ ط، وكذلك بالنسبة إلى المستقيم أ ب، ويعد سالباً بالنسبة إلى قياسات هـ و، وقياسات ق ف، ع ل.



الشكل رقم 11 (ب)

وقد تنحرف عينة أو جماعة عن المجتمع كوحدة ثم تتجزأ بعد ذلك نتيجة أثر المتغيرات الجديدة فيها، مما يستوجب من الأخصائي الاجتماعي تتبعها بالتحليل الدقيق لكي يكتشف أثر المتغيرات في أفرادها أو أعضائها أو عناصرها، ففي الشكل رقم 11(ج) يمثل الخط المنحرف ز ي، العينة المنحرفة من ج د إلى (ق ف) التي بدخولها إليه قد تنقسم إلى جزأين: الجزء الأول قد يعود إلى ج د، بعد اختلاطه بالانحراف ق ف، والجزء الثاني قد يتجه مع العينة المنحرفة في اتجاه هـ و، والذي هو الآخر قد ينقسم إلى جزأين آخرين، جزء قد يستمر في الاتجاه هـ و، إلى أن

يستقر به الأمر إلى المستقيم ع ل، وجزء قد يتجه مع الانحراف (غ ر) الذي يؤدي به في النهاية إلى المستقيم أ ب، بعد مروره بالانحراف (س ص) وتكون النتيجة أن العينة ز ي، التي انحرفت عن المجتمع ج د، قد انقسمت إلى ثلاث مجموعات.



الشكل رقم 11 (ج)

المجموعة الأولى رجعت إلى المجتمع ج د، الذي انحرفت عنه.

والمجموعة الثانية انحرفت إلى الجماعة ع ل، من منظور المجتمع ج د، والمجتمع أ ب.

والمجموعة الثالثة انحرفت إلى المجتمع أ ب، من منظور المجتمع ع ل، والمجتمع ج د.

وعليه إن ذلك يجعل لدينا ثلاثة مقاييس مختلفة في حالة إذا ما طُلب منا الحكم على أنواع انحرافاتها بالسلب، أو بالإيجاب، ولهذا لا يمكن أن تمثل العينة المنحرفة ز ي، المجتمع ج د، الذي انحرفت عنه وهو لا يزال على دينه، وعلى سلوكه ونظمه الخاصة به، وكذلك لا تمثل بعضها أحسن تمثيل، ولا أسوء تمثيل، لأنه لو كانت تمثل بعضها ما انقسمت إلى ثلاث مجموعات، لكل واحدة منها اتجاه يخالف اتجاه الأخرى.

إذاً هناك حاجة إلى العلاج، ولكن لمن يكون العلاج؟ هل يكون للأشخاص أم للفكر الذي أثر فيهم؟.

إذا اتجهنا إلى معالجة الأشخاص المنحرفين فقد ننجح إلى حد ما في ذلك بعد دراسة وافية وتشخيص دقيق، ولكننا نتوقع الانتكاس والعودة مرة ثانية إلى الانحراف، وقد لا ننجح في معالجة الكثيرين.

وعليه ينبغي أن يكون العلاج للفكر المعوج الذي تشربوه وأثر في سلوكهم، فإذا تمت معالجة المعلومات والأفكار الخاطئة أو المنحرفة بمعلومات وأفكار سوية صائبة يتغير المنحرفون من الاتجاهات السلبية إلى الاتجاهات الموجبة التي يرتضيها المجتمع، ولهذا لم يكن الأفراد هم السبب في الانحراف، بل المعلومات الخاطئة التي تشربوها هي المسبب في ذلك، فلو تعلمنا فكراً معوجاً ونحن لم نتبيّن نقاط اعوجاجه فإننا سنسلك سلوكاً معوجاً، وإذا تعلمنا معلومات صائبة بقوة الحُجّة التي تحملها تكون معارفنا وسلوكياتنا صائبة. ولذا فمن أراد الإصلاح عليه بإصلاح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة

الباب الثاني

طرق البحث العلمي

طرق البحث العلمي:

الطريقة: approach كما سبق أن بيَّنا هي مولود المنهج المتكونة من مجموع الخُطوات المنتظمة المتناسقة في ممارسة الفعل، وهي التي تمارس وتُتبع من قبل الذين يلمُّون بها ويجيدون تكرارها وضبط عناصرها ومتغيراتها وتتبع خطواتها. وهي التي تُرتَّب وفقا للأولويات في خطة منهجية في ضوء القدرات والاستعدادات والإمكانات المتاحة من أجل انجاز أهداف واضحة ومحددة.

اتباع الطريقة يُمكِّن البحاث والأخصائيين من تقصي الأثر الذي تتركه الكلمة أو المرض والأثر الذي يتركه الفعل والسلوك.

توصف كل طريقة علمية بالخطوات التي تحتويها فخطوات التجربة هي التي تجعل منها طريقة تجريبية، وخطوات التقصي التاريخي هي التي تجعل للتاريخ طريقة، وكذلك خطوات المسح الاجتماعي هي الأخرى جعلت منه طريقة. وأيضا طريقة دراسة الحالة في مهنة الخدمة الاجتماعية، التي تأسست لها خمسة خطوات منتظمة في عمليات مهنية متناسقة موضوعيا جعلت دراسة الحالة طريقة يمارسها أخصائيون مهره، وخطواتها هي:

. جمع المعلومات.

. تحليل المعلومات.

. تشخيص الحالة.

. علاج الحالة.

. عملية التقويم.

وعليه فالطريقة هي التي بها يتم سبر أغوار المعلومة وتتبع مكامنها، وأثارها التي تتركها على الكلمة أو الفعل أو العمل أو السلوك، وهي التي بها يتم التعرف على ما هو كائن وبها يتم التطلُّع لِما ينبغي أن يكون. ولهذا فالمنهج يُحلل المعلومة ويُفككها ويُركبها، ويؤسس قواعد، أما الطريقة فلها خطوات تُتبع وفقا لتوجهات المنهج الذي يُستمد من الموضوع.

وخطوات الطريقة العلمية المستمدة من المنهج هي:

1 . تحديد إشكالية أو مشكلة البحث.

2 . تحديد أهمية البحث.

3 . تحديد أهداف واضحة للبحث.

4 . تحديد فروض البحث أو تحديد تساؤلاته العلمية.

5 .اختيار الطريقة المناسبة للبحث:

وفقا لتعدد ميادين البحث العلمي تتعدد طرق البحث مما يتطلب من الباحث أن يختار الطريقة المناسبة لموضع بحثه أو إشكالية بحثه، ومن هذه الطرق الآتي:

أ . طريقة البحث التاريخي.

ب . طريقة المسح الاجتماعي.

ت . الطريقة التجريبية.

ث . طريقة دراسة الحالة.

ج . طريقة تحليل المضمون.

الفصل الأول

الطريقة التاريخية

الطريقة التاريخية:

تتضح الأهمية البحثية للطريقة التاريخية بتحديد مفهوم الطريقة كما سبق أن بيَّنا وتحديد التاريخ دلالة ومعنى.

التاريخ:

التاريخ كما ورد في لسان العرب المحيط هو "تعريف الوقت"[11]. وبما أنه (الوقت) إذاً فهو المحتوى على الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، أي أنه الوقت الذي تستغرقه التجارب والظواهر والقضايا والحياة بشكل عام، ولذا يعتبر التاريخ السجل العام والميدان الواسع الذي تُسجل فيه الأحداث وهو المستوعب لكل ما يحدث، لهذا يكون التاريخ ملكا عاما ليس للأحياء فقط بل للماضين والآتين.

التاريخ هو المتضمن للمواقف والظواهر والأحداث التي نعتز بها ونفتخر بما هو إيجابي فيها ونأسف على بعض المواقف الفردية السلبية التي أُرتُكِبت نتيجة الطمع والخوف والتقرب لمن لا ينبغي التقرب إليه زلفى، ومع أنها تحتوي على إيجابيات ذات أهمية عالية للحياة الحاضرة عندما تكون محتوية لمضامين العبر إلا أنها لا تخلوا من النواقص حيث لا كمال إلا لله تعالى، ولهذا فهي تستوجب البحث في أغوارها لمعرفة المعطيات الإيجابية والسلبية من أجل أخذ العبر لمستقبل أفضل.

والتاريخ هو السجل المفتوح للحاضر والمستقبل والمستوعب للماضي، وبذلك يعتبر ملكا عاما لأنه صناعة عامة فمهما حاول البعض أن يطمس شيئا من معالمه أو يزوِّرها فلن يستطيع، وذلك لأن البعض الآخر قادر على إبرازها ولو اتفقت الأغلبية على تشويه التاريخ تحت أي ظرف من الظروف القهرية، فلن يتفق الجميع، ولذا لو بقي شخصا واحدا على قيد الحياة يستطيع أن يقول الحقيقة التي تبقى ما بقية الحياة. ولهذا فالتاريخ الحق هو الذي يصنعه الناس لا تصنعه الحكومة مع أنها قادرة على الإسهام في صنعه إن كانت ديمقراطية.

وبناء على ذلك يختلف التاريخ عن العلوم الأخرى وفق الآتي:

التاريخ زمن ووقت، والعلوم الأخرى مادة.

---

[11] لسان العرب المحيط ، المجلد الأول ، ص 44 .

التاريخ مستمر ثانية بثانية، والعلوم مستمرة بإنتاجها ولم تستمر بوقتها.

التاريخ متصل زمناً وأحداثاً، والتشبيه التقريبي لذلك هو المسبحة، الذي يعتبر الزمن خيطها المتصل وحباتها أحداث يحملها الزمن، وبذلك تكون العلوم كحبات المسبحة ويكون الزمن هو الخيط الذي تنتظم به.

ولذا فالتاريخ زمن ومحتوى، والزمن بدون محتوى يعتبر فراغ، والمحتوى بدون زمن استحالة. ولهذا الزمن كموجود علة وجود المحتوى فلولا الزمن والحركة ما كان المحتوى، ولولا المحتوى ما صُنِعَ تاريخ.

إذاً يتكون التاريخ الذي نقصده من زمن ومحتوى، وفي الزمن يحدث المحتوى أو يتكون، وبالمحتوى ويراجع الزمن، وكلاهما (الزمن والمحتوى) في زيادة مستمرة إلا أن الزمن متصل، والمحتوى منفصل، ومن الزمن والمحتوى تتحقق الحياة التي هي الفترة المؤقتة من التاريخ بالنسبة للأفراد والجماعات والمجتمعات، ومع وجود علاقة بين الزمن والمحتوى إلا أن النهايات لا تكون ذات علاقة، فالمحتوى يُصنع في الحياة من الأحياء، وعندما ينتهي الأحياء وتقوم القيامة يبقى الزمن شاهدا وحافظا للمحتوى الذي توقَّف عن الزيادة، وحتى في الحياة عندما تنتهي حياة فرد ما أو جماعة ما فلا تنتهي الحياة بانتهاء حياتهم، ولكن إن كان منهم صنَّاع تاريخ فسيبقون أحياء عند ربهم بما تركوا من محتوى عظيم، مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}[12].

ولأن الأعمال الخيِّرة تبقى فإن صدر التاريخ خير حافظ لها، وأن الله تعالى خير مجازٍ عليها، ولهذا الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الحق هم أحياء عند ربهم وأحياء في التاريخ، ولهذا تُعد الحياة هي العيش في التاريخ.

ولهذا قيمة التاريخ بما يحتويه من عبر، مصداقا لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[13]، ولكن لمن تكون العبر؟ بطبيعة الحال لأصحاب العقول

---

[12] آل عمران ، الآية 169 . 171.

[13] يوسف ، الآية 111 .

والضمائر الرفيعة الذين يستقرون التاريخ ويستمدون العبر والمواعظ والفضائل الحميدة منه.

وقد عرَّفَ هومر هوكيت Homer. Hockett التاريخ بأنه "السجل المكتوب للماضي والأحداث الماضية"[14].

إذا اعتمدنا هذا التعريف فيكون التاريخ ماضٍ وقد وقع وانتهى، وكأن السجل التاريخي قد امتلأ بالأحداث وقفل، وإذا سلمنا بهذا يعني أننا سلمنا في زمني الحاضر والمستقبل اللذين يُعدَّان من مكونات الوقت الذي عُرِّفّ التاريخ به كما سبق ذكره.

وكذلك إذا سلمنا بأن التاريخ هو السجل المكتوب، فإننا نسلم بأنه لم يبق لدينا ما نكتب، ولذا فإن التنقيب عن الآثار والبحث عن الحفريات لازال مستمر، وكل عثور على أية بصمات حملها التاريخ أو سطَّرها يتم تسجيله في الزمن الحاضر مع أنه قد وقع في الزمن الماضي ولكن زمن اكتشافه كان في الزمن الحاضر، ولهذا التاريخ لم يكتمل اكتشافه ولم ينته زمن صناعته ولم تعقم أمهات صُنَّاعه ولن.

إذن لا داعي بأن نُعرِّفَ التاريخ بأنه السجل المكتوب للماضي والأحداث الماضية، وبما أن الدنيا لم يقفل سجلها، إذن بالضرورة لم يقفل سجل التاريخ، ولا تنتهي الأحداث، وبما أنها كذلك فإن التاريخ لم يكن سجلا مقفلا. بل التاريخ هو السجل العام المفتوح، والميدان الواسع الذي يستوعب الأحداث في زمن وقوعها، سواء أكانت هذه الأحداث قد وقعت أم تحت القيد أو لم تقع بعد، وسواء أكانت مكتوبة أم لازالت في صدور الرواة أو أنها لم تُكتب بعد، ولذا فالتاريخ هو حاضر الزمن الماضي والماضين فيه، وإذا تساءل البعض كيف؟

تكون الإجابة: ما ندرسه نحن كماضي يعتبر للماضين حاضرا، وهكذا يعتبر للحاضرين ماضيا وهكذا سيضل التاريخ حيا.

ويقول ابن خلدون "يعتبر التاريخ معمل التجارب الهائل الذي تسجل فيه تجارب الإنسانية، والمتحف الطبيعي للظواهر في مختلف درجات تطورها"[15]، يوضح هذا

---

[14] Homer . Hockett , the critical . method in historical research and wzition . new York : the mac millan co , 1968 , p , 3 .

التعريف مرونة التاريخ ورحابة صدره في تقبل النقد والتفسير لما يحتويه سجله المليء بالتجارب والظواهر الماضية وعلاقتها بالمشاهدات والتجارب الحديثة بفتح صفحاته أمام الاكتشافات الحديثة. إلا أن كلمة معمل صغيرة جدا على التاريخ، إنه أوسع من ذلك بكثير لأنه ميدان الحياة وسجل نتاجها وإنه الزمن والمحتوى والحياة.
وللتاريخ بصمات يمكن مشاهدتها والتعرف عليها وعلى ما ورائها، فدلائل التاريخ كثيرة ، ومن خلالها يمكن معرفة الوقت الذي أنتجت فيه والعهد الذي تدل عليه والفن الذي تميزت به. وإذا عددنا شواهد التاريخ لا تحصى فمنها الآثار، والحفريات بمختلف أنواعها، والمخطوطات والتماثيل والنقوش، والزخرفة والكتب والمطبوعات كلها دلائل يمكن دراستها وملاحظتها والاستشهاد بها. فإذا أخذنا المساجد كشاهد في أي منطقة من المناطق أو إذا عثرنا على آثارها في أي بقعة من العالم فعلى ماذا تدل؟

إنها تدل على انتشار الدين الإسلامي وأن هناك مسلمين في تلك البقاع أو أنهم كانوا، في روسيا بعد الماركسية منعوا المسلمين من الصلاة في المساجد إلا أن المساجد بقيت ماثلة يمكن مشاهدتها علامة دالة على انتشار الإسلام، وفي ألمانيا الشرقية سابقا عندما كانت تحت الحكم الشيوعي منعت هي الأخرى الصلاة في المسجد وحولت مأذنته إلى خزانا للمياه، ومع ذلك بقى إلى اليوم علامة دالة على أنه كان مسجدا وبقي شاهدا بطابعه الإسلامي وشاهدا على عدم مقارعة الماركسية له التي طويت صفحاتها من التاريخ دون أن تجد من يتأسف عليها وبقي الجامع معلما إسلاميا يدل على أن مسلمين في مدينة برلين الشرقية هم يتواجدون.
ويصدق قول ابن خلدون أن التاريخ "في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمق لها الأقوال، وتصرف فيها الأمثال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها[16].
وعليه نتساءل:
هل هناك فرق بين التاريخ والمنهج التاريخي؟

---

[15] عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، ص 17 .

[16] المصدر السابق ، ص 71 .

نعم هناك فرق.

التاريخ كما بينَّاه ميدان عام تنهل منه كل العلوم وفيه تُسجَّل وتُعتمد على سجله في البحث والدراسة. وهناك فرق في هذا الخصوص بين التاريخ، والدراسات التاريخية المتخصصة.

فالتاريخ ملك عام لكل العلوم فهو الميدان الذي يستوعبها وتثريه ويثريها. أما الدراسات التاريخية المتخصصة تستهدف التعرف على فترة أو فترات حسب اهتمامات البحاث، وكثيرا ما تكون دراسات للأحداث والمواقف الفردية والجماعية، وكل الدراسات التاريخية عبارة عن جزء من بقية العلوم التي تشكل جزء من التاريخ، وعادة يتم التنقيب في الدراسات التاريخية من أجل الآخرين قيماً وعِبراً وفضائلاً ليتعظوا ويعتبروا، ومع ذلك فقد يكون المؤرخ ناقل يسرد الأحداث دون أن يوظفها خدمة للعلاقات الاجتماعية والإنسانية إلا أن القراء قادرون على استيعاب العِبر من مصادرها، وقد يحدث التحريف لبعض المعلومات من قبل بعض البحاث لأسباب ذاتية، أو أسباب سيادية أو نتيجة تأثير أداة الحكم على المعلومات أو على الباحث، وهنا قد تحدث محاولات لتزوير التاريخ لكنها صعبة وغير ممكنة لأن التاريخ لا يمثله أحد فهو الملك العام الذي لا يقتصر على الحاضرين، بل هو الذي يمتد من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل في حلقات متصلة لا تنفصم ولذا فإن الأجيال دائما قادرة على تصحيح ما يعلق به.

وعليه:

ما هي الطريقة التاريخية؟

الطريقة التاريخية هي التي بها تُجمَّع وتُستقراء المعلومة العلمية تأصيلا مع مراعاة انتظام المعلومات وفق متغيراتها الموضوعية والمكانية والزمنية أحداثا وعِبرا وقِصصا مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والدينية والعرفية التي بها تتميز كل هوية من الهويات الاجتماعية.

ولذا فالباحث المتبع للطريقة التاريخية يستهدف المعلومات من مصادرها الموثوقة سوا أكانت بشرية أم وثائقية ليستقرا بها ظاهرة أم حالة من الحالات الفردية أو

الجماعيــة أو المجتمعيــة أو أي إشــكالية أو مشــكلة تســتوجب البحــث تتبعــا بتتبــع الظروف والمتغيرات التي ظهرت فأثرت على الحالة.

ولأن موضوع هذه الطريقة يكمن في التاريخ الواسع، فإن تتبع الباحث لموضوع بحثه أو إشـكاليته البحثيـة يسـتوجب تقصـيا متصـلا للمشـكلة أو الموضـوع وإن انفصـلت حلقات تماسكه عبر الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل).

هذه الطريقـة لا تقتصـر علـى دراسـة علـم التـاريخ بـل هـي الطريقـة التـي بهـا تُسـتقرا العلـوم فـي غيـر منعزل عن مراحل نشـأتها أو تكوينهـا وتطورهـا عبـر التـاريخ وذلـك لمعرفة أثر كل متغير من المتغيرات التي أثرت فيها تأثيرا مباشرا أو غير مباشر.

ولأن لكل شيء تاريخ زماني ومكاني ولكل ظاهرة ومشكلة تاريخ لذا فكل شيئا يمكن أن يتم تناولـه موضـوعيا بالتقصـي العلمـي لا ينبغـي أن يُغفل عن البحث فـي تاريخـه الذي به تأثر وأثر.

وقد يتساءل البعض:

لماذا الطريقة التاريخية؟

بـدون شـك نحـن لا نعنـي اقتصـارها علـى الدراسـات التاريخيـة (علـم التـاريخ) بـل لوضوحها في التاريخ العام الذي يعتبر علم التاريخ جزءا منه، مما جعل هذه الطريقة تُتبـع فـي البحـث والدراسـة دون أن تقتصـر علـى علـم مـن العلـوم. ولـذلك فالطريقـة التاريخيـة هـي التـي يسـلكها الباحـث وهـو مهتـديا بنـور التـاريخ إلـى غايـات المعرفـة العلمية.

ولهذا تعتمد الطريقة التاريخية في تقصيها للمعلومة على الآتي:

1 . موضوع أو مشكلة: تستوجب البحث والتقصي العلمي.

2 . أدلة: تُثبتُ أو تُبطل ما يتعلق بالظاهرة أو الموضوع أو مشكلة البحث.

3 . مصادر: منها تستمد المعلومات أو تُستقرا وتستنبط.

4 . أدوات: يتم استخدامها لجمع المعلومات من مصادرها أو مكامنها.

هـذه الطريقـة لا تعتمـد كمـا يتصـور الـبعض علـى السـرد والنقـل بـل علـى الـتفحص الـدقيق، والقيـاس المعتمـد علـى قـوانين اجتماعيـة أو طبيعيـة ممـا يجعلنـا نطلـق عليهـا

طريقة العلوم بشكل عام، وجعل د . سمير نعيم يقول : "إن أي بحث مهما كان الأسلوب المتبع فيه لا عنى عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية"[17].

ولأن التاريخ ملئ بالتجارب والبراهين والحُجج والمعالجات والعبر، التي تفيد الباحثين وهم في حاجة لأن يعرفوها، فالبحث في أي ظاهرة أو مشكلة في العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية لا ينبغي أن يكون في منعزلٍ عن تاريخها، ونتيجة لذلك ظهرت أهمية الطريقة التاريخية في العلوم بشقيها النظري والتطبيقي.

ولأن لكل ظاهرة أو موضوع أو مشكلة تاريخ وفي كل العلوم إذاً لا بد وان تكون من بين طرق البحث العلمي طريقة تتوافق بحثا في تاريخ الحالات والظواهر والمشاكل الاجتماعية والطبيعية والإنسانية، ففي حالة البحث في تلك الحالات والظواهر والمشاكل لا بد من معرفة أسبابها وعللها من خلال التتبع الواعي المتمعن في المعلومة ومتغيراتها المتداخلة والمستقلة والتابعة والدخيلة، وذلك لإنجاز أهداف البحث وفروضه أو تساؤلاتها الموضوعية.

ولأن لكل طريقة مسمى فهي لا يمكن أن تتميز إلا إذا كانت تسميتها مستنبطة ومستمدة من الميدان الذي به تُسمى، ولأن الطريقة التاريخية مستمدة من ميادين التاريخ الواسعة فهي سميت بهذه التسمية، ولكي تتميز أيضا لا بد لها وأن تعتمد المعلومات من مصادرها بوسائل وتقنيات دائما في حالة تطوُّر، وهكذا استمدت الطريقة التجريبية من التجربة التي تُعد الميدان الواسع للبحوث العلمية وخاصة في العلوم الطبيعية والتجريبية، واستمدت الطريقة المسحية التي تميزت بدراسة المجتمع أو العينات المأخوذة منه كما استمدت طريقة دراسة الحالة من ميادين الحالات المستهدفة بالبحث والدراسة.

وعليه إذا أردنا معرفة الأسباب والعلل لأي موضوع أو ظاهرة ينبغي معرفة التاريخ، لأن في التاريخ تكمن الأسباب، وفي الأسباب تكمن النتائج وفي النتائج تكمن الحلول والمعالجات الموضوعية التي تجعل للتاريخ عبرة.

---

[17] سمير نعيم ، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية . القاهرة : المكتب العربي للأوفست ، الطبعة الخامسة ، 1992 ، ص 130 .

هذا ولم يكن الغرض من إتباع الطريقة التاريخية سرد المواقف، و تكرارها من باحث إلى آخر أو حفظ ونقل القصص والروايات، بل الهدف هو التعرف عليها وتفحُّص عبرها وتبيانها للآخرين واستخلاص القوانين الاجتماعية وآليات حركة المجتمع والطبيعة والتغيرات التي طرأت أو أدخلت عليها وتأثرت بها أو أثرت فيها.

صيغ الطريقة التاريخية:

هناك صيغتين هامتين للطريقة التاريخية هما:

1- صيغة الزمن.

2- صيغة الموضوع.

ولتوضيح ذلك أتناول كلا منهما على حدى:

1- صيغة الزمن: ويقصد بها الهيئة التي يؤسس الباحث عليها بحثه عندما يود تقصي متغيراتها، مما يجعله يصوغ فروضا أو تساؤلات من خلالها يتمكن من إنجاز أهداف بحثه.

وتنقسم هذه الصيغة إلى قسمين:

أ- دراسة الظاهرة أو المشكلة أو الموضوع من الماضي إلى الحاضر وذلك بعد تحديد فترة البحث أو الدراسة، وبعد تحديد نقطة البداية من الزمن الماضي وحسب الموضوع قيد البحث، مما يجعل أسباب الموضوع كامنة في الماضي وأهدافه واضحة في الحاضر، وغاياته ماثلة في المستقبل.

وهذه تختلف عن أسباب اختيار الباحث للموضوع. فأسباب الموضوع شئ وأسباب اختيار الباحث له شئ آخر.

فإذا افترضنا الموضوع هو (الظروف التي جعلت الاستعمار عبر التاريخ يتكرر في الوطن العربي، أو في قطر منه).

لذا فإن الطريقة التاريخية هنا تستوجب من الباحث تحديد بداية الاستعمار أي تحديد الزمن وفقا لتحديد متغيرات البحث مما يتطلب من الباحث أن يركِّز خلال تلك الفترة على الظروف والمعطيات التي سادت المجتمع العربي أو قطرا منه وهيئته لأن يُستعمر، ثم يلاحق بالبحث حسب التتبع الزمني إلى دراسة الفترة الثانية التي عاد فيها الاستعمار للوطن، ويهتم بدراسة ظروفها والمتغيرات التي أظهرتها، ثم يقارن

بين تلك الفترة السابقة وفترة الزمن الحاضر لعودة الاستعمار، حتى يتمكن من معرفة الظروف التي جعلته يتكرر، أي بالبحث يتمكن الباحث من معرفة اشتراطات دخول الاستعمار للبلدان العربية واحتلاله لها، وهكذا يأتي من الماضي إلى الحاضر وهو ينتقل إلينا من خلال التتبع الزمني المتواصل للموضوع لكي يبين لنا تلك الظروف والاشتراطات التي إذا ظهرت أو تكررت تجعل الاستعمار يتكرر ويعود، مما يجعل المجتمع مضطرا ليتفادى تلك الاشتراطات والمبررات، وتُحث المجتمع على أخذ العبر من التاريخ وإلا لن يتمكن من تأمين مستقبله.

ب- دراسة الظاهرة أو الموضوع من الحاضر إلى الماضي: وهذه تتطلب عودة مع الزمن الذي انقضى ولن يعود من خلال دراسة الأحداث التي وقعت فيه بتسلسل أوقات حدوثها أو ظهورها.

فإذا اعتبرنا الموضوع السابق هو موضوع البحث وهو (الظروف التي جعلت الاستعمار يتكرر في الوطن العربي، أو يتكرر في قطرٍ منه). وإن افترضنا هذا القطر هو الجماهيرية العظمى وبدأنا الدراسة في الوقت الحاضر، ونحن منطلقين ببحث من معرفة الظروف التي جعلت القواعد الاستعمارية تستمر في ليبيا حتى سنة 1970 ثم نتتبع ذلك إلى معرفة الظروف التي أوجدت الاستعمار الإيطالي عام 1911، ودراسة الظروف التي جعلت الاستعمار التركي يجثم على التراب الليبي بعد خروج فرسان مالطا عنه عام 1551 ومقارنة تلك الفترة مع الفترات السابقة واللاحقة لها، أي مقارنتها مع الظروف التي أوجدت الاستعمار الإيطالي، والقواعد الأمريكية والانجليزية والاحتلال الفرنسي لجزء من الجنوب الليبي كفترات لاحقة، ومقارنتها مع الفترات السابقة، وهي الاحتلال المالطي، والأسباني الذي خرج بقوة السلاح كغيره من أنواع الاستعمار لليبيا سنة 1510، ثم دراسة الظروف التي جعلت أطماع أمريكيا في احتلال ليبيا عام 1805، وهكذا يستمر البحث والتتبع الزمني في دارسة الظواهر والظروف التاريخية، والمشاكل والمواضيع بهذه الطريقة مع مراعاة الفترة الزمنية المستهدفة بالدراسة[18]، ولهذا كانت طريقة البحث منطلقة من صيغة زمنية

[18] عقيل حسن عقيل ، الأصول الفلسفة لتنظيم المجتمع الجماهيري . طرابلس : جامعة الفاتح ، 1992 ، ص 16 .

وموضوعية من الحاضر إلى الماضي لأجل أن تستمد العبر التي بها يُصنع التاريخ.

2 – صيغة الموضوع: كثيرا ما نجد هناك تشابه في المواضيع وكثيرا ما نجد وحدة بين المواضيع مع أن زمن حدوثها غير متصل من الناحية الزمنية مباشرة أو أنها لم تقع في مجتمع واحد، ولا أرض واحدة، ولا زمن واحد، ومع ذلك تظهر بنفس الظروف والمعطيات أو المبررات، وهذه التي تستوجب البحث عن طريق الاتصال الموضوعي، الذي جعل من الموضوع وحدة وترابط.

وقد يتبع الباحث طريقة دراسة الموضوع من الحاضر إلى الماضي أو بالعكس كما تم توضيحه، وذلك بالاعتماد على الصلة الموضوعية وليس على الصلة الزمنية.

فلو افترضنا أن موضوع البحث هو (أسس تنظيم المجتمع الفاضل) وبدأنا بما هو متوفر لدينا في المجتمع العربي، وحددنا المجتمع العربي الليبي واعتمدنا على النظرية والمحاولات التطبيقية التي تستهدف تنظيم مجتمع فاضل، وانتقلنا إلى دراسة المدينة الفاضلة عند ابن خلدون والفارابي وابن مسكوبة، ثم أفلاطون وأرسطو وسقراط وبركيلس وكليتنيس وسولون (المشرع)، فنجد الذي يربط بين هذه المحاولات هو الموضوع وليس المجتمع الواحد، والأرض الواحدة ولا الدين الواحد، ولا الزمن المتصل بينهما.

لذا تعتمد الطريقة التاريخية على الموضوعية في تجميع المعلومات وتحليلها لتمد الباحث بنتائج تستوجب التفسير العلمي والمنطقي للظواهر والمشاكل والحالات قيد البحث العلمي، ولهذا فالطريقة التاريخية هي طريقة جمع المعلومات من مصادرها سواء أكانت وثائق أم رواة أم دساتير وقوانين وتشريعات أم أي معطيات موضوعية أخرى.

أدوات الطريقة التاريخية:

من أهم أدوات الطريقة التاريخية الآتي:

1 . الملاحظة.

2 . المشاهدة.

3 . المقابلة.

4 . الاستبيان.

ولذا فللتاريخ شواهد وأدلة يمكن التأكد منها، ولم يكن خرافات لا أساس لها من الصحة، فالخرافات لا أدلة ثابتة لها مما يجعل صعوبة في تتبعها واختيارها مشكلة للبحث العلمي، وبالتالي فهي لا تُسند للتاريخ الذي هو الميدان الواسع للعلوم والمعارف، ولهذا كل شئ لم يكن له سندا وأدلة يعتبر خرافة.

ولأن التاريخ لم يكن الشيء المجرد بل هو ذو المعالم الآتية:

1 . الزمن.

2 . المحتوى.

3 . المكان.

4 . الحياة .

وعليه: فإن الخرافات لا تُعد من صناعة التاريخ وذلك لأنها بدون محتوى، وبدون حياة حتى وإن كان لها زمن النسيج والتكرار.

إذاً كل ظاهرة أو حادثة أو رسالة وقعت يمكن بالتتبع التاريخي العثور عليها، أو العثور على معالمها، أو مؤثراتها، فالوثائق مادة، والمخطوطات مواد للباحث العلمي يمكنه الاستناد إليها، والتحقيق منها. وكذلك المتاحف وما تحتوي عليه من مواد دالة على أحداث وحضارات وثقافات ومعارف، تعتبر أدلة وشواهد يمكن ملاحظتها ومشاهدتها والتحقيق منها.

وهذا يعني أن في صفحات التاريخ يتم حفظ البصمات والأدلة والآثار، وبالطريقة التاريخية يتم التمكن منها بحثا وتنقيبا وتقصيا وتتبعا، فالآثار مواد دالة على معاني شاهدة، أما الحدث أو الظاهرة أو الحضارة تقع في فترة من التاريخ تنتهي من حيث عدم مقدرتها على البقاء الدائم، إلا أن دلائل وجودها تبقى ماثلة للمشاهدة، والملاحظة كوسيلتين علميتين يعتمد عليهما الباحث. والذين يعتقدون أن الطريقة التاريخية تعتمد على السرد والنقل، هم مخطئون فشواهد التاريخ لا تختلف عن شواهد التجريب، الذي يعتمد على المشاهدة والملاحظة في الطريقة التجريبية.

وبالطريقة البحث التاريخية يتمكن الجيولوجي من البحث والتجريب في الأرض ومكوناتها من أجل التعامل مع كل مرحلة من مراحل ترسب طبقات الأرض

ومكوناتها، وعلى الأعماق الممكنة، مما يجعله يبحث ويدرس التربة والأحجار بأنواعها، والمعادن وأعمارها، وهو يبحث عن تاريخها في تاريخها، وهكذا الباحث الجغرافي يبحث في المؤثرات المناخية، وسطح الأرض وما يحدث عليه من تغيرات ومؤثرات بيئية، والطبيعة والتغيرات التي طرأت عليها، كل ذلك يتطلب اتباع الطريقة التاريخية والتجريبية معا، ولهذا لا تقتصر مواضيع البحث وإشكالياته على طريقة واحدة من ألفه إلى يائه، بل في معظم البحوث العلمية طرق البحث العلمي تتداخل من اجل استكمال البحث موضوعيا.

إن الطريقة التاريخية لا تقتصر على السرد كما يظن البعض بل تعتمد على الحُجَّة والدليل والبرهان المستند على الحقيقة، ولنا في التاريخ الشواهد التي منها:

ـ احتل الرومان ليبيا منذ زمن قديم، ومن يُكذِّب ذلك فعليه زيارة ليبيا لمشاهدة وملاحظة آثاره في مدينتي لبدة، وصبراته.

ـ إن بيت المقدس محتل إلى هذا اليوم ومن يكٌذب ذلك أو يريد أن يتأكد عليه زيادة الأرض المحتلة (فلسطين).

ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات، وأن الرسالة باقية ومن يريد أن يتأكد عليه بزيارة بلدان المسلمين ليشاهد الكتاب، والمساجد، والقراء، والمتعبدين الذين تجسَّد الإسلام في أقوالهم وأعمالهم، وعليهم أن يزور بيت الله إن تطهروا ليروا بأمهات أعينهم شواهد العبادة وتمسك المتعبدين بالأمر، وأن يزوروا مقام الرسول صلى الله عليه وسلم.

ـ إن باليمن سدا عظيما (سد مأرب) بفنه وهندسته وتاريخه، فمن أراد أن يتأكد منه عليه أن يزور اليمن السعيد ليشاهده، ويلاحظه إذا كانت ثقته مقتصرة على المشاهدة والملاحظة وكأنهما غايتين في حد ذاتهما.

إذن المتتبع للمنهج التاريخي يمكنه مشاهدة وملاحظة ما يحمله التاريخ من شواهد عندما تتوفر دلائلها، ولهذا تعتبر المشاهدة، والملاحظة من الأدوات المهمة في دراسة التاريخ والبحث في أغواره.

ويقول ابن خلدون في هذا الصدد "إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع

الإنساني، ولا قيس الغائب بالشاهد، والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن حادة الصدق[19]، لذا فإنه من الموضوعية العلمية والبحثية أن نربط الحاضر بالسابق وهذه لا تتم إلا بإتباع الطريقة التاريخية في البحث عن المعلومة الصادقة التي بها تتم مقارنة المعطيات والدلائل بما يماثلها أو يخالفها أو يشابهها.

وبإتباع الطريقة التاريخية يتمكن الباحث من التأكد من مدى مصداقية ما يكتب عن الظاهرة أو الحالة أو المشكلة أو الموضوع، وللتأكد من التاريخ المكتوب قد يتطلب الموضوع إجراء مقابلات مع من لا حظوا أو اشتركوا أو شاهدوا ما كتب عنه.

فإذا أردنا دراسة تاريخ المجاهد العظيم الشهيد عمر المختار، فإنه من الأفضل للباحث إجراء مقابلات مع من تبقى على قيد الحياة من مجاهدين أو الذين عايشوا فترة عمر المختار، ومقارنتها مع أقوال كل الذين يتم الالتقاء بهم، ومع ما كتب عنه، هذه طريقة مهمة في البحث في التاريخ القريب. أما التاريخ البعيد لا نجد رواة له على قيد الحياة ولكننا قد نجد ما كتبوا السابقين عنه، أو ما كتب نقلا عن رواة عنه، وذلك لأنه ليس بالإمكان دراسة كل التاريخ أو التأكد منه عن طريق المقابلات والمشاهدات والملاحظات، ولكن يجوز لجزء منه، مثل الثورة الجزائرية يمكن دراستها عن طريق المقابلات مع المجاهدين الأحياء، وذلك لأن الإنسان دائما أكبر دليل على إثبات الحقائق عندما تتعلق بالموضوع وتقال بموضوعية، ولكن قد يشوبها شئ من الشك إذا كانت متعلقة به مما يستوجب على الباحث أخذ الحيطة بجعل ما يقوله الفرد عن شخصه ليس يقينا ويكون خاضع للاختيار.

ويكون هذا ردا على بعض أساتذة علم الاجتماع، وهم قلة لعدم ثقتهم في التاريخ والطريقة التاريخية بحجة عدم التسليم فيما تقوله أو تنقله مصادر البحث المعتمدة على أقوال الإنسان.

وعليه كيف يُقبل هذا التحفظ من البعض وهم لا يثقون في بحوثهم في ميادين علم الاجتماع إلا على ما يقوله المبحوث (الإنسان)؟

---

[19] عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، المجلد الأول ، 1086 ، ص 12 .

وكأن الإنسان إنسانان واحدا للتاريخ وآخر لعلم الاجتماع، ولأن الإنسان واحدا إذن كيف لا نثق فيه في دارسة التاريخ، ونثق فيه في دراسة علم الاجتماع؟

وإذا كان الشك في الإنسان كمصدر للمعلومات إذن الشك وارد في كل باحث باعتباره أيضا سيكون مصدرا للمعلومات، وإلا هذا البعض كمن يمتلك حق الفيتو، يحق له أن يفعل ما يشاء ويحق له حرمان الآخرين منه مما يجعلنا نقول: إذا كانت هناك أحقية للفيتو في الميدان العلمي يجب أن تكون للتاريخ.

وإذا أردنا أن نتفحص استعمالات المشاهد والملاحظة، والمقابلة في التحاجج معهم فأيهما أصدق للمشاهدة والملاحظة وأيسر، أن تلاحظ ، وتشاهد سد مأرب، أم تشاهد وتلاحظ سلوك منحرف يعرف أنه تحت البحث والدراسة؟.

إن الطريقة التاريخية عند اتباعها من قبل الباحث في تجميع المعلومات عن سد مأرب، فإن إخضاع السد من قبله للمشاهدة، والملاحظة وكتابة كل ما يتراء له أيسر بكثير من إخضاع حقيقة الإنسان للمشاهدة والملاحظة التي يعتمد عليها إمبريقيا. ومع أنه من الممكن مشاهدة سلوك الإنسان، وملاحظته إلا انه من الصعب التسليم بما يلاحظ عنه.

إذن أيهما أصدق وأيسر مشاهدة وملاحظة حقيقة الإنسان من خلال سلوكه، أم ملاحظة ومشاهدة سد مأرب وما يحتوي عليه من جهد وفن، وعلم وهندسة راقية؟

وإذا استعملت وسيلة المقابلة في التحاجج أيهما فأصدق:

ما يقوله مجاهدين عن جهاد عمر المختار باعتبارهم عاصروه وجاهدوا معه، أم ما يقوله المبحوثون عند إجراء المقابلات معهم عن سلوكهم الإنحرافي؟

أعتقد أن ما يقال عن جهاد الشهيد عمر المختار من قبل المجاهدين الأحياء الذين جاهدوا معه أصدق بكثير عما يقوله المنحرف عن شخصيته المنحرفة عن قيم المجتمع وفضائله الحميدة.

وعليه: لا يمكن لأي طريقة من طرق البحث العلمي أن تغني الباحث عن معطيات المعرفة التاريخية، والتي يؤكدها الدكتور سمير نعيم في قوله: "إن أي بحث مهما

كان الأسلوب المتبع فيه لا غنى له عن الاستعانة بمعطيات المعرفة التاريخية بالمجتمع"[20].

ولذلك يكون الاتجاه الامبريقي الذي يهتم بدراسة الظروف في زمنها الحاضر ولا يهتم بماضيها كثيرا لم يعرف أن الزمن الحاضرة عبارة عن نقطة لا اتساع لها ولا ميدان إلا بالماضي والمستقبل.

فإذا أدرنا أن نميز الزمن من خلال الكلمة نجد أن الزمن كالحبل ما جُذب منه أو سُحب أصبح ماضيا، وما لم يجذب أو يُسحب منه يعد في المستقبل، وما هو الآن على ظهر البكرة التي يُجر عليها هو الحاضر، ولهذا كل الزمن لا بد وأن يمر على الحاضر كبكرة لجر الحبل عليها. أي أن ما يعتقده البعض في الحاضر عليهم أن يعرفوا ضرورة وقوعه في الماضي سريعة جدا، وإذا أنكروا الماضي، فإنهم أنكروا حاضرهم بالضرورة. وبما أن ذلك يرتبط بحياة الإنسان، إذا حياة كل الناس لا تتكون إلا بالزمن الماضي والزمن الحاضر. أما المستقبل فلم يكن في حياة الناس لأن مستقبل الناس بعد الموت وهو مستقبل معروف، أما ما دونه بالنسبة للإنسان لا يمر إلا بزمنين هما الماضي، والحاضر وهكذا الحاضر يستمر والماضي يزداد تراكما ويبقى الأمل معهما مستمرا.

خطوات الطريقة التاريخية:

ولأن طرق البحث العلمي واحدة فإن اتباعها يتطلب الخطوات الآتية:

1 . تحديد مشكلة البحث أو موضوعه.

2 – تحديد أهداف البحث.

3 – تحديد فروض البحث أو تساؤلاته.

4 . تحديد مصطلحات البحث.

5 . استطلاع الدراسات السابقة .

6 – جمع المعلومات والبيانات.

7 – تحليل المعلومات.

---

[20] سمير نعيم ، المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية . القاهرة : المكتب العربي للأفيست ، الطبعة الخامسة ، 1992 ، ص 130 .

8 – استخلاص النتائج أو الاستنتاجات وعرضها.

9. تفسير النتائج.

10 – كتابة التقرير.

وعليه كل طريقة تتبع هذه الخطوات تعتبر طريقة من طرق البحث العلمي، ومن يعتقد أن تحديد الأسباب هو أحد خطوات الطريقة التاريخية أو أي طريقة من طرق البحث العلمي فقد أخطأ كثيرا، فالأسباب هي التي يبحث الباحث من أجل أن يتعرف عليها وإن تعرف عليها أو عرفها تمكَّن من معرفة العلل التي من أجلها يبحث أو يدرس.

مصادر معلومات الطريقة التاريخية: تنقسم إلى الآتي:

1– مصادر بشرية : وهم شهود العيان، والمعاصرون، والمشتركون في الموضوع قيد البحث أو الدراسة .

2– مصادر مكتوبة ومشاهدة: وتنقسم إلى الآتي:

أ– مخطوطات: بعد إخضاعها للنقد الداخلي بما تتضمنه من نصوص ولغة، وأسلوب، وشواهد، وبراهين وحجج، وتعريضها للنقد الخارجي من حيث الزمن الذي كتبت فيه، والزمن الذي تتحدث عنه، وعلاقتها بما كتب في مجال نصوصها ومضامينها أو ما كتب عنها.

ب– الوثائق الرسمية من مقلات وأفكار، وأشعار وسجلات، وتقارير، وصحف معتمدة، والمذكرات والمراسلات الرسمية والمذكرات الخاصة التي تعتبر هامة لحياة الفرد إذا كان صاحب الحالة المدروسة من الذين يعانون من أمراض نفسية واجتماعية من خلال البحث ألتتابعي لتاريخ حياته والظرف المسببة والمحيطة بحالته والمؤثرة فيها.

ج – الآثار، والتحف، والرسومات، تعتبر شواهد مادية يمكن مشاهدتها وملاحظتها.

الفوائد العلمية المترتبة على استخدامات الطريقة التاريخية:

1– أخذ العبر من التجارب الماضين المثبتة .

2- تُمكِّن من معرفة التاريخ الذي يحتوي على كل مجرب، والبحث عن المجرب وفي المجرب هو البحث عن الحقيقة التي يسعى الباحث للتنقيب عنها كدلائل ومصادق علمية.

3- تُمكِّن من التتبع الزمني والموضوعي باعتبار الزمن الحاضر نقطة انطلاق للبحث في الموضوع الحاضر أو السابق من خلال استقصاء المعلومات والبيانات، ومراعاة المتغيرات التي كانت والتي استجدت على الموضوع سلبيا أو إيجابيا والتعرف على مسبباتها، وآثارها الرئيسة والجانبية.

4- تُمكِّن الباحث من فهم الأحداث والظروف الخاصة بكل حالة وخصوصيتها التي بها تمتاز عن غيرها من الحالات ويعتبر التحليل العلمي والتفسير العلمي هما الممكنان من كشف الحق وإظهارها لحيز المعرفة الوافية.

5 . تُبيِّن للقراء أن الأحداث التاريخية متداخلة وتتداخل فيها عدة أسباب لا ينبغي التغافل عنها، أو إهمالها حتى يكون التفسير لنتائج التاريخ مقصورا على سبب واحدٍ أو عليه بعينها.

6 . تُمكِّن من تفسير القضايا التاريخية وفقا لظروفها وخصوصيتها المكانية والزمانية والموضوعية.

7 – تستمد الطريقة من الموضوع قيد البحث ولا تستمد من غيره ولهذا فلكل طريقة موضوع للبحث العلمي تناسبه ويتوافق معها، ولهذا لا تُروَّم طريقة البحث التاريخي لمشاكل البحث وظواهره ترويما تعسفيا.

8 – تُمكِّن من تحري الصدق، والنزاهة، والتأكد من صحة ما يسجله الباحث من أحداث، وأفكار، ومواقف وظواهر والابتعاد عن التحيز الذي يضعف الموضوع أو ينحرف به عن جادة الصواب.

9 – الاعتماد على المصادر في كتابة التاريخ، أو في أخذ العبر منه، والابتعاد عن التتبع الهامشي الذي لا يصاحبه اليقين وذلك لافتقاده للمصادق والبراهين الموضوعية.

10 – تُمكِّن مـن التبـيُّن الممكـن مـن النقـد البنـاء فـي تنـاول القضـايا والأفكـار والمواضـيع، وكـذلك تمكـن مـن معرفـة آراء شـهود العيـان وأقـوالهم أو أراء النـاقلين والملاحظين، والتأكد من الوثائق، وإخضاعها إلى النقد الداخلي والخارجي.

الفصل الثانـي

الطريقة المسحيـة

طريقة المسح الاجتماعي:

إنها أحد الطرق العلمية المُمكِّنة من اكتشاف العلاقات الناتجة عن تداخل عدد من المتغيرات التي تؤثر سلبيا أو إيجابيا على الظاهرة مما يستوجب تقصي الحقائق عنها بإجراء مسح شامل للمجتمع المستهدف بالبحث أو الدراسة وهو المسح الذي يطلق عليه بالمسح العام عندما لا تستثني أي مفردة من مفردات المجتمع.

أما إذا حدث الاستثناء فيعني ذلك أنه حدث التخصيص والتحديد الذي ينحصر في اختيار عينة من المجتمع ولذا يتضح الفرق بين المسح الشامل والعينة من حيث الأهداف، ومن حيث الفلسفة، ومن حيث الأهمية.

إن أهداف دراسة المجتمع دون استثناء أي مفردة بشرية منه، يعني الاعتراف بأثر المتغيرات على كل فرد، والاعتراف بأن هناك فروقا فردية، ينبغي مراعاتها، بدراسة المجتمع ككل دون استثناء مما يجعل البحث مستهدف الجميع بالمسح الشامل.

والغاية من البحث العام تدل على عدم الاعتراف بالتمثيل السلوكي والاجتماعي للأفراد والجماعات، ولهذا فلا مبرر لأن يمثل المجتمع بجزء منه وهو قادر على إعطاء الحقيقة دون وسطاء، ولأن المجتمع لم يكن غائبا فكيف لنا بالقبول بمن يمثله أو ينوب عنه.

أمَّا التبرير بصعوبة دراسة المجتمع عن طريق الحصر الشامل هو الذي استوجب تمثيله بالعينة فهو تبرير في غير محله حتى وإن قبلنا ذلك في بحوثنا على الحيوانات والطيور والأسماك والنباتات والجماد فإننا لا نقبله على مستوى من خلقه الله تعالى في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض يصلح ولا يفسد ولا يسفك دما فيها بغير حق.

وبالنسبة للذين يقولون كلما كبر حجم العينة اقتربت صفاتها وخصائصها من صفات المجتمع وخصائصه، نقول لهم نعم من حيث اقترابها، ولكن من حيث تطابق نتائجها مع نتائج المسح الشامل فلن، وذلك لِما للخصوصية الفردية من دلالة ومعنى، حتى وإن تحدثنا عن أوسع مسح لن نجد من يوم الحشر الذي يقف فيه كل إنسان بما عمل، ولا يحق لأحد أن يمثل الآخر فيه، وهذه عبرة ينبغي أن نأخذ بها في تنظيم حياتنا الاجتماعية والعلمية، وإذا كان ربنا العظيم الذي يعلم بكل شئ لا

يقبل بالعينة أن تمثل المجتمع فكيف نحن الذين لا نعلم بما في الصدور نقبل بأن نغيِّبَ المجتمع ونُعمم نتائج العينة عليه؟

وعليه إذا أراد الباحث أن يستهدف نتائج علمية وموضوعية فعليه بتقصي المعلومة لدى كل مفردة من مفردات المجتمع، وإذا تساءل البعض:

كيف يمكن لنا دراسة المجتمع بكامله؟

نقول:

أن حجم المجتمع يختلف من بحث إلى بحثٍ آخر، أي أن حجم المجتمع يحدده الموضوع قيد البحث أو الدراسة ولم يتحدد هكذا عفويا وفقا لرغبة الباحث، ولأن من أهداف المسح الاجتماعي الرئيسة هو التعرف على معالم المجتمع ومواقفه وثقافته وأنماط حياته وقيمه، إذا من الذي سيعكس واقع المجتمع إن أردنا معرفة تامة غير منقوصة؟ بالتأكيد لن يكون أحدا غير المجتمع ذاته.

ولأن كلمة المجتمع كلمة عامة غير محددة فإن الباحث سيكون أمام إشكالية في المفاهيم إن لم يحدد اصطلاحا أي مجتمع يقصد أو يعني، فهل هو المجتمع الإنساني أم انه مجتمع القرية أم المدينة؟

فهل يعني بكلمة المجتمع:

المجتمع المسلم؟

المجتمع العربي؟

المجتمع الليبي؟

أم يعني به مجتمع مدينة طرابلس؟

أم مجتمع المدينة القديمة؟

أم مجتمع المنحرفين؟

أم مجتمع المهندسين؟

أم انه المجتمع السمكي؟

أم أنه المجتمع الحيواني؟

أم أي مجتمع يقصد من غير ذلك؟

لذا جاءت الضرورة لتحديد المصطلحات حتى يُفك اللبس والغموض الذي قد يعلق في ذهن القراء والدارسين والباحثين.

وبما أن الباحث لا يمكن أن يتناول بالبحث مجتمعا مجهولا إذا عليه بتحديد مجتمع بحثه كما وموضوعا وزمانا ومكانا مع تحديد الفترة الزمنية المستهدفة بالمسح الشامل أو المسحي باختيار العينات.

وبما أن للبحث موضوعا. إذن للموضوع مجتمعا. فإذا كان موضوع البحث هو انحراف الأحداث في مدينة طرابلس فيكون مجتمع البحث هو كل المنحرفين في مدينة طرابلس، وليس كل سكان مدينة طرابلس، ولهذا يستهدف المسح الشامل كل المنحرفين ولا يستهدف غيرهم، وعادة يتم التعامل في مثل هذه المواضيع مع الحالات المسجلة في المؤسسات الإصلاح الاجتماعي، ولذا فمهما كبر العدد ليس من الصعب دراسته. وإذا كان من الممكن أن يجزأ موضوع الانحراف إلى مواضيع أخرى حسب نوع الانحراف تكون الدراسة أكثر دقة وعلمية، وذلك كأن يجزئ الباحث موضوع الانحراف العام إلى مواضيع تتعلق بظواهر انحرافية كحالات السرقة، وتناول المخدرات، والقتل عمدا، والهروب من المنزل، وتخريب المؤسسات العامة أو هدر المال العام فهذه المواضيع عندما يرتكبها الأحداث تندرج تحت موضوع عام هو انحراف الأحداث، ولكن الانحراف أنواع مما يستوجب تجزئتها وفقا لكل نوع كما بيَّنا.

وعليه دراسة المواضيع الإنحرافية السابقة بطريقة المسح الشامل تكون متيسرة وبدون صعوبة، ولو أخذنا موضوعا آخر وليكن (حالات الطلاق في سوق الجمعة بطرابلس)، فإن جميع حالات الطلاق مسجلة ويمكن معرفتها عن طريق المؤسسات الرسمية ذات العلاقة ويمكن إجراء مسح شامل عليها، ومهما كبر حجم مجتمع البحث فلن يكون بحثا لجميع السكان، الذين يحصون كل ثلاثة أو خمسة أو عشرة سنوات عن طريق المسح الشامل الذي لم يكن هدفه جمع معلومات عن ظاهرة آو مشكلة بقدر ما يهتم بالحصر الكمي الذي أصبح ميسرا عن طريق الحاسوب الذي يضاف فيه كل مولود جديد ويمحى منه كل من انتهت به الأيام إلى طلب الرحمة والمغفرة مع عالم الأموات أو الشهداء.

ولكن إذا كان من الضروري أن يتم اختيار عينة للبحث أو الدراسة بناء على الموضوع المحدد للبحث فإن النتائج المتوصل إليها عن طريق العينة لا يمكن أن تمثل المجتمع الذي أخذت منه، بل أنها تمثل جميع أفراد العينة فقط .

ومع ذلك فإن النتائج المتوصل إليها عن طريق البحث بالعينات تعطي مؤشرات هامة لدراسة المجتمع ككل، أو البحث في مواضيع أخرى ذات علاقة بالنتائج المتوصل إليها.

أهمية طريقة المسح الاجتماعي الشامل:

إنه يُمكِّن من التعرف على علل الظاهرة أو علل موضوع البحث مباشرة من قبل الذين تربطهم علاقة به دون استثناء لأحد منهم.

وتكتمل المعلومات ويتم التعرف عليها وربط العلاقة بين العوامل المكونة لها باكتمال آراء أفراد كل المجتمع (مجتمع البحث) وأحكامها قاطعة وفق المعلومات المتحصل عليها. أما العينة فإنه من الصعب الثقة في معلوماتها والاعتماد عليها في وضع الخطط العامة لأنها جزء من المجتمع وقد تكون آراؤها مخطئة حتى وإن تم قبول البحث باعتماده لنسبة من الأخطاء المعتمدة أو المتوقعة من قبل الباحث.

ومن الأهمية أيضا قد يتحقق الرضا العام لنتائج المسح الشامل، والذي لا ترتقي العينة لتحقيقه.

إن المسح الاجتماعي طريقة ذات خطوات موضوعية تتبع في التعرف على صفات ظاهرية موجودة في الزمن الحاضر، وهذه الصفات يعترف بالتعبير عنها وفق المعلومات المُجمَّعة في استمارة مقابلة أو استبيان أو مشاهدة سلوك.

ولذلك تُجمَّع المعلومات وفق خطة تراع فيها الأهداف، والفروض المصاغة وتحلل حسب معطياتها العلمية وتساهم في عملية الإصلاح الاجتماعي والسياسي، والاقتصادي.

ولأن المسح الاجتماعي يهتم بالظاهر عند الإنسان، فهل يستطيع أن يظهر هذا الإنسان كل ما في وجدانه كما هو للعيان دون أن يتأثر أو دون أن يراعى نواميس المجتمع ودينه؟

ولذا، وصف ما هو ظاهر وبكل دقة قد لا يكون هو نتيجة انعكاسات ما في الباطن، أي لا يمكن أن تكون الأقوال والأعمال هي في حالة تطابق مع ما تكنَّه النفس أو تضمره، ولهذا نقول دائما الأعمال بالنيات.

فقد يقول الفرد المبحوث أو قيد الدراسة عندما يسأل أثناء المقابلة معلومات خاطئة تماما مع حقيقة الأمر الذي يعرفه وذلك لأن الإنسان في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع بطبعه الاجتماعي يصدق ويكذب. وكما نعلم لقد كذب البعض على الله جل جلاله فكيف لا يكذب المبحوث على الباحث.

وبناء على ذلك أتساءل:

ـ هل الدراسات التي تعتمد على المشاهدة والاستبيان في دراسة الحالات الفردية، والجماعة يُعتمد عليها في العلاج والإصلاح خاصة ونحن نعرف أن في خطة البحث التي سينتهجها الباحث للوصول إلى أهدافه البحثية تقبل بنسبة خطاء لإجازة المعلومات والنتائج المتوصل إليها؟ وغالبا ما تكون هذه النسبة 5% ويتم التصديق بنسبة 95% ومع ذلك لم يكن للباحث برهان لإثبات صحة ما قاله بنسبة 95% من المبحوثين بأنه الحق. وذلك لأن الاستبيان عبارة عن أسئلة نابعة من فروض ومحتوية على مجموعة من المتغيرات، ومعدة مسبقا من قبل الباحث، وبالتالي الاستجابات أو المعلومات المطلوب الحصول عليها لم تكن جدلية، إلى جانب انه لم يحدث تفاعل بين ورقات الاستبيان والمبحوث.

ولذلك فالمعلومات بدون جدل وحوار واستيضاح وتفهُّم وتقبل من خلال الإحساس بأهميتها للمبحوث لا تخدم الأهداف العلمية، ولا الاجتماعية ولكن يجوز أن تخدم مصلحة خاصة للباحث بأن ينجز بحثه لينال عليه مقابلا ماديا أو معنويا.

وبما أن نتائج البحوث ينبغي أن تترتب عليها حلول ومعالجات ومقترحات قد تكون على مستوى الدولة السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي فيجب إخضاع نسبة 95% من مجتمع البحث للاختيار، والذي لا يتحقق عن طريق الاستبيان، بل يتحقق عن طريق المقابلة مصداقا لقول الله تعالى: { لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ}[1].

---

[1] الأحزاب ، الآية 8 .

ليس من العيب أن يسأل الإنسان عمَّ يقول للتأكد من براهينه على ما قاله حتى يؤخذ رأيه مع الآراء الأخرى المتأكد من صوابها وفرزها عن الآراء التي لا تستند على مصادق موضوعية، ولذا أصبح البحث الذي ينبغي أن يجاز بأخطاء 5% يحتوي على أخطاء 55% تقريباً.

وبما أن استمارة الاستبيان تعد مسبقا فإنها بالنسبة للمبحوثين توزع عليهم جاهزة، وما على المبحوثين إلا قبولها كما هي وبأخطائها المعتمدة من قبل الباحث ومع أنها تُجرَّب على نسبة قليلة من المجتمع المستهدف بأخذ العينة منه، وتُنقَّح بعد تجريبها وتصحيحها لغة وأسلوبا ومفهوما ومصطلحا إلا أنها لا تتخلص من الغموض بالتمام والكمال مما يجعل البعض بعد تعميمها عليهم لملأها يقعون في أخطاء مقدرة بنسبة 5% كما سبق أن وضحنا.

وحتى إن سلمنا بمصداقية المعلومات المتحصل عليها من خلال استمارة الاستبيان فإن الأخطاء المتوقعة لها لا تجيزها لدراسة المسح الشامل، والأخطاء المتوقعة هي:

1-عند التجريب تتضح أخطاء الاستمارة ولكن لوجود فرصة التعديل والتصحيح يحدث التصويب والضبط .

2-عند تعميم الاستمارة على أفراد العينة بأخطاء مقبولة تساوي 5% ، تصبح نسبة الأخطاء أكثر عند تعميم النتائج على أفراد المجتمع .

مثال : لو افترضنا أن حجم المجتمع = 50.000 نسمة ، وأن نسبة العينة = 5% فيكون حجم العينة يساوي 2500 مفردة.

وبما أن الأخطاء التي ظهرت في استمارة الاستبيان بالفعل كانت 5% كما هو متوقع من حجم العينة الذي يساوي 2500 مفردة نتيجة غموض في بعض الأسئلة، أو التباس في المعنى أو المفاهيم أو نتيجة عدم تركيز المبحوث على محتوى الاستبيان، أو عدم قدرة المبحوث على القراءة المدرسية التي تختلف عن القراءة والكتابة المتعرف عليها في الكتاتيب، وكذلك لعدم وجود جرأة أدبية تجعل المبحوث على مقدرة لسؤال الباحث.

وإضافة إلى ما سبق ذكره لو عُمم هذا الاستبيان على المجتمع فقد يجد الباحث أن هناك البعض الذي لا يقرأ ولا يكتب وأن هذا البعض من قبل المستهدفين بالبحث

وينبغي له أن يجيب على استمارة الاستبيان، فهذه أخرى تزيد من ارتفاع نسبة الأخطاء خاصة إذا كان التوزيع للاستمارة غير مباشر.

وعليه، نستنتج مما سبق أن نسبة أخطاء الاستبيان تزيد إذا عممت نتائج العينة على المجتمع الذي أخذت منه.

فحسب المثال السابق أن حجم المجتمع 50000 مفردة وحجم العينة 2500 مفردة وأن نسبة الخطأ عند دراسة العينة كانت 5%، وبما أننا سنعمم نتائج العينة على المجتمع، إذن علينا أن نعمم أيضا نسبة الخطأ المقبول والذي تحقق من العينة 2500 مفردة.

هذا يعني أن كل 2500 مفردة قد تقع في أخطاء 5%، وبناء على ذلك لو جمعنا نسبة أخطاء الاستبيان بعرضه على أفراد المجتمع 50000 مفردة يكون مجمل نسبة أخطاء الاستبيان تساوي 100% لأنها تساوي حجم العينة 2500 مفردة.

وهذه النسبة لم يتم من خلالها اختيار نسبة الصواب المتحصل عليها وهي 95% والتي يمكن أن تكون نتائجها أكبر من قبولها الظاهري كنسبة مئوية لو تعرضت لإجراء مقابلات مع الأفراد المتكونة منهم، وهكذا تنقص هذه النسبة إلى أن تصل إلى 10% ، وترتفع نسبة الأخطاء إلى أن تصل إلى 100% ، مما يجعلنا نتساءل:

. هل يمكن بعد ذلك الاعتماد على تعميم نتائج الاستبيان؟

. هل تصبح دراسة العينة التي تهدف من ورائها التعميم دراسة علمية يعتد بها ويعتمد عليها؟

. هل العينة في هذه الحالة تمثل المجتمع؟

وبما أننا نجيز المسح الاجتماعي العام فهل يفضل أن يدرس الباحث المجتمع دون سابق معرفة به؟ أم يفضل التعرف على خصائصه وصفاته أولا؟ أي هل يمكن للباحث أن يدرس مجتمعا لا يعرفه أو لا يعرف عنه شيئا؟

وعليه، فإن البحث العلمي ينبغي أن يُبني على معرفة نظرية لتسنده في ميادين المعرفة والبحث العلمي موضوعيا، فبدون سابق معرفة لا يمكن أن يتحدد الموضوع، ولا يصاغ الاستبيان بدقة تُمكِّن إجراءاته من التقنين والاحتكام إليها، ولذا ففهم المجتمع، ومعايشته، والقرب منه هو الاستطلاع العلمي الذي يساعد على اختيار

المواضيع وصياغة فروضها واستمارات استبيانها أو مقابلاتها. وذلك لأن من أهداف طريقة المسح الاجتماعي هو التعرف على معدل توزيع بعض الخصائص الاجتماعية كالمهنة، والسن، والنوع، والحالة الاجتماعية ونوع المهنة أو الحرفة، ومتوسط الدخل السنوي وغيرها كثير. وكذلك تهدف طريقة المسح الاجتماعي إلى تقويم أوضاع قائمة، ومعرفة ما هو كائن، ومدى ارتباط الخصائص الاجتماعية بأنماط السلوك أو الاتجاهات الاجتماعية.

ولذلك فإذا كان الاهتمام بالكيف، ينبغي التعرف على الأسباب والعلل التي كانت وراء السلوك، أو الظاهرة، أو الحالة، أما إذا كان الهدف التعرف على معدل توزيع بعض الخصائص، فهذه مسألة مختلفة، فالأول مضامين وعلل، والثاني أرقام ونسب، وإذا تعاملنا مع المجتمع وقيمه على أساس كمي، فإنه من الصعب علينا معرفة المجتمع وقيمه والحالة التي هو عليها، لأن مضامين المجتمع معان، وقوانين طبيعة، وأديان، وأعرف وقيم وفضائل، وأصل وانتماء.

إذن تهدف طريقة المسح الاجتماعي إلى وضع تصورات، ومقترحات للمستقبل، وبما أنها تهدف إلى ذلك لذا ينبغي فهم الحاضر جيدا وبعمق لا بالاقتصار على وصف الظواهر فقط. لأن المجتمع كما وضَّحنا سابقا له ونواميس وقيم وفضائل لا تُشخَّص بالوصف، ولا يمكن فهمها إلا بالغوص فيها وتتبعها، ولهذا فطريقة المسح الاجتماعي ترتبط بالواقع من حيث خصوصية الموضوع والمكان والزمان مما جعلها تؤكد على أهمية ربط الحاضر بالماضي والمستقبل دون انفصال، وذلك من أجل وضع الخطط ورسم السياسات والاستراتيجيات التي بها تتطور الأحوال وتتغير إلى ما هو أفضل وأجود وأنفع وأحسن.

فمن أراد أن يقتدي أو يعتبر، عليه أن يعود إلى الماضي الذي يحتوي على التجارب الإنسانية والاجتماعية بحيث لا يكرر جهودا غير مثمرة، أو أن يضع تصورات سبق وأن جُربت ولم تحقق نجاحا، وحتى لا يضيع جهده ووقته هباء منثورا، فعليه أن يطلع على سنن الأولين.

إن أي أسلوب أو منهج إذا أنعزل عن المحتوى الفكري للموضوع فإن نتائجه لا تؤدي إلى قوانين ولا نظريات، وهذا ما يلاحظ على المسح الاجتماعي الذي يهتم

بالأوصاف، والأشكال، والأرقام دون الاهتمام بالعلل التي أنتجت المتغيرات التي تكثر في البحوث المسحية.

ونحن لا اعتراض لنا على استخدام الأرقام نسبا وكميات فهذا أمر مهم ولكن الاقتصار عند حدود الكم دون النظر إلى الكيف هو الذي نُبدي تحفُّظا حوله.

فالذي يهم الباحث في دارسة حالات السرقة على سبيل المثال هو: لماذا تفشت السرقة في مجتمع من المجتمعات بشكل جعلها ظاهرة؟

فما يهم الباحث في بحثه لهذه الظاهرة، هو معرفة الأسباب التي جعلت من أبناء المجتمع سُرَّاقا، فهل هي:

. متغيرات الظروف السياسية؟

. أم أنها متغيرات الظروف الاقتصادية؟

. أم أنها متغيرات الظروف الطبقية؟

. أم أنها بأسباب الغزو والاستعمار إن تعرض البلد للاحتلال؟

. أم أنها أسباب أخرى؟

كل هذه تهم الباحث مما يجعله يبحث لأجل معرفتها على أرض الواقع، بهدف إيجاد حلول ومعالجات، ولذلك لا يتوقف الباحث عند معرفة حدود الكم ونسبه المرتفعة بل يتوجَّه إلى معرفة الأسباب ومكامن العلل، ولذا فالكم ونِسبه المرتفعة يُفيد كثيرا في معرفة حجم المشكلة، أمَّا معرفة العلل والأسباب يفيد كثيرا في معرفة المعالجات وإيجاد الحلول الموضوعية.

ولهذا لا يمكن أن يؤدي المسح الاجتماعي من خلال نتائجه الوصفية إلى نظريات إذا لم يتوحَّد مع المحتوى الفكري للموضوع.

ولكي يصبح المسح الاجتماعي إصلاحي ينبغي أن يهتم بمعرفة العلل والأسباب المكونة للظاهرة أو الموضوع التي تراكمت من الماضي إلى وقت ظهورها، ولذا فإتباع خطوات الطريقة المسحية يؤدي إلى معرفة الآتي:

أ – معرفة الظرف الزماني بماضيه وحاضره.

ب – معرفة الظرف المكاني الذي ظهرت فيه المشكلة.

ج – معرفة طرفي المشكلة ليتم الصلح بينهما سواء أكانوا أفرادا أم جماعات أم مجتمعات.

د – معرفة لب المشكلة ومرتكزات مكامنها من خلال معرفة أسبابها ومعطياتها، ومضمونها والمتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة عليها.

وبعد معرفة الظاهرة أو المشكلة، وأسبابها، وظروفها وتحديد أطرافها بالبحث الموضوعي يُمكن أن يحدث الإصلاح أو تتحقق المعالجات.

بناء على ما تقدم تتضح الأسس التي ينبغي مراعاتها عند البحث إذا أردنا أن يكون المسح الاجتماعي إصلاحيا وإلا لا داعي لإطلاق هذه الصفة عليه.

أنواع المسوح الاجتماعية:

أولاً – المسوح الاجتماعية من حيث مجال البحث أو الدراسة:

وتنقسم إلى مسوح عامة، ومسوح خاصة.

1– المسوح العامة: هي التي تهتم بمسح الظاهرة أو الموضوع بشكل شمولي وهي كمن يمسح الأرض ليقيم عليها بناء أو إنشاء، وذلك لأجل تحديد نوع التربة ومكوناتها ودرجة تماسكها وتحملها، وأهمية موقعها في المخطط العام ، ومعرفة المعالجات السابقة إن وجدت، والتوقعات المستقبلية لعمرها الزمني وأهميتها الاقتصادية للمجتمع أو الدولة بشكل عام.

ولذا فالمسوح العامة تستهدف معالجة عدة أوجه من خلال البحث أو الدراسة الموضوعية فتهتم بالجانب التعليمي، والصحي، والسكني، والإنتاجي، والخدمي والسياسي كمعطيات تتداخل في تحديد أهمية البحث ودراسة المواضيع ووضع الخطط المستقبلية بشأنها.

2 – المسوح الخاصة: هي التي تركز على جوانب محددة كبؤرة اهتمام كأن تقتصر على جانب من الحياة الاجتماعية بكل دقة ووضوح، وتتسع دائرة التركيز هذه لتبيان العوامل المتداخلة في الموضوع كالتعليم، أو الصحة، أو الاقتصاد، أو قطاع المرافق والخدمات.

فلو أخذنا التعليم كمثال يكون التركيز على أهميته للمواطن أو للمتعلم من حيث تأهيله وإعداده علميا ومهنيا أو حرفيا وبما يُمكِّنه من الحصول على فرصة عمل تناسب ما أهل من أجله.

ثانيا – المسوح الاجتماعية من حيث المجال البشري:

وتنقسم إلى نوعين: شاملة (المسح العام)، ومسوح محدودة تقتصر على اختيار العينة.

المسوح الشاملة:

وهي التي تهدف إلى البحث في كل مفردات المجتمع دون استثناء وتسمى طريقة المسح الشامل وهذه تمتاز بأهميتها العلمية في جمع المعلومات، البيانات، وتحليلها واستخلاص النتائج منها ثم تفسيرها وعرض الحلول والمقترحات والتوصيات.

والمقصود بالبحث الشامل هو الذي يجريه الباحث على مجتمع الموضوع أو المشكلة أو الإشكالية أو الظاهرة ولا يقصد به كل أفراد المجتمع السكاني، أي انه المجتمع المعني بالبحث ولا علاقة له بمن لا علاقة لهم بمشكلة البحث فهو المقصور على حدود البحث التي صاغها الباحث لبحثه.

فلو اخترنا مجتمع البحث سكان المدينة القديمة بطرابلس، فإننا سنستهدف بالبحث كل المقيمين في المدينة القديمة، إلا إذا استثنى الباحث البعض بأسباب موضوعية كأن يكون موضع البحث أو الإشكالية خاص بالسكان الليبيين مما يجعله يستثني الأجانب إن وجدوا من ضمن السكان في المدينة القديمة.

إن المسح الشامل هو الذي يعكس الواقع الفعلي للمجتمع قيد البحث، وإن النتائج المتوصل إليها تخص مجتمع المدينة القديمة المتكون من المواطنين الليبيين فقط، وبالتالي إن نتائجه لا يمكن تطبيقها على مجتمع آخر حتى ولو كان من الليبيين.

وعليه فإن نتائج المسح الشامل تُطبَّق على المجتمع الذي تجرى البحوث عليه، ولا يجوز أن تطبق على غيره، وذلك بأسباب خصوصيات المكان والزمان والموضوع والمستوى التعليمي والثقافي ومتغيرات الأديان والأعراف، وهكذا يكون التباين بين البحوث التي تجرى على المجتمعات سواء أكانوا سكان مدن أم قرى أم غيرها.

2 – المسح بالعينة: وهو الذي يحدد حجم مجتمع معين وفق اختيارات منهجية لأنواع العينات تقرُبا إلى اختيار تقل فيه نسب الأخطاء والتحيز قدر الإمكان.

وتُعمم نتائج العينة على بقية أفراد المجتمع الذي اختيرت منه عينة البحث وتقترب صفاتها وخصائصها من صفات وخصائص المجتمع كلما زاد حجمها وتبتعد كلما قل حجمها أو صغر؛ وسواء اقتربت أو ابتعدت الصفات والخصائص فإن نتائجها تعمم على من لم يشركوا أو يستهدفوا مباشرة بالبحث، وبما أن هناك خصوصيات للفرد، والجماعة، والمجتمع فإن تعميم نتائج بحوث العينات في العلوم الاجتماعية والإنسانية على من لم تجر عليهم مسألة تحفُها الشكوك.

أدوات المسح الاجتماعي:

من أهم أدواته الآتي:

1 . المشاهدة.

2 . الملاحظة.

3 . المقابلة.

4 . الاستبيان.

5 . التصنيف ألقيمي.

خطوات الطريقة المسحية:

تنتظم خطوات الطريقة المسحية وفقا للخطوات الآتية:

1– رسم الخطة التي تحتوي على المنهجيات وتقنيات البحث الآتية:

أ . تحديد مشكلة البحث.

ب . تحديد أهمية البحث.

ت . تحديد أهداف البحث.

ث . تحديد حدود البحث.

ج . تحديد فروض البحث أو تساؤلاته.

ح . تحديد الطريقة أو الطرق المتداخلة من أجل إنجاز البحث وتحقيق أهدافه.

خ . استطلاع الدراسات السابقة إن كانت هناك ضرورة موضوعية لذلك.

د . تحديد الأدوات أو الوسيلة المناسبة لجمع المعلومات من مصادرها.

2- كتابة الإطار النظري الذي يتناول الباحث فيه النظريات أو أدبيات المهنة أو ميدان التخصص وربطه بالمتغيرات المستهدفة بالبحث.

3 . تحديد الإطار الميداني أو المعياري الذي يحدد وفقا للمعلومات التي تُجمَّع من المبحوثين المستهدفين بالبحث سواء أكانوا أفرادا أم جماعاتا أم مجتمعا أم أكانوا وثائقا أم أكانوا إمكاناتا ومعطياتا مادية كالتربة والثروة المعدنية والثروة الحيوانية والزراعية أو المصانع أو المعسكرات والمدارس أم غيرها وغيرها كثير.

4 – تحليل المعلومات والبيانات.

5 – عرض النتائج.

6 – كتابة التقرير.

جوانب القصور في طريقة المسح الاجتماعي:

ولأن الكمال لله تعالى إذا لابد وأن يكون القصور في من يستخدم هذه الطريقة أو غيرها من الطرق البحثية الأخرى، ولهذا نقول: إن كان هناك قصور فلا يلحق الطرقة ولكن يلحق المستخدمين لها من حيث الآتي:

إن أقصروا البحاث بحوثهم على ما هو حاضر وبمنعزل عن الماضي الذي يشكل له إطارا مرجعيا، وذلك لأن الظواهر والمشاكل كمواضيع للبحث هي ظواهر لأسباب ماضية، مما يجعل صعوبة البحث في الظواهر بمنعزل عن الأسباب التي أظهرتها، مما يستوجب العودة إلى متغيرات الماضي ومقارنتها مع متغيرات الحاضر وفقا للمتطلبات والتوقعات المستقبلية في دائرة الممكن.

أن نتائج المسح الاجتماعي لا تؤدي إلى نظريات إذا انعزلت عن محتواها الفكري الذي أثر في الظاهرة قيد البحث.

إن تكرار المسوح الميدانية عن طريق الاستبيان على المجتمع أو العينات المأخوذة منه قد يسبب الملل والقلق والتهرب لدى المستهدفين بالبحث خاصة إذا لم يلمس المبحوثين نتائجا إيجابية من البحوث التي أجريت عليهم في السابق.

إن البحوث المسحية لا تهتم بتفاعل المبحوثين مع موضوع البحث بل الذي يركز عليه بعض البحاث هو تجميع معلومات وبيانات كمية من خلال متغيرات محددة، ولذلك فإن أهمية البحث لا يحس بها المبحوث من خلال الأسطر البسيطة التي

يكتبها الباحث في مقدمة الاستبيان بل المبحوث يحس بها عندما يحس بأن الموضوع يمس مباشرة مشكلته وما تتركه عليه من آثار جانبية.

المسح الاجتماعي يكثر من دارسة العينات ويعمم نتائجها على من لم يشترك مباشرة في البحث، ولذلك فإن تعميم نتائج العينات يتضمن تعميم عيوبها على من لم يكن من مفردات بحثها.

بعض البحاث المستخدمين لطريقة المسح الاجتماعي يتعمدون قصرها على البحث في الظاهر في الوقت الذي يعرف فيه الجميع أن الظاهر في كثير من الأحيان لا يعكس حقيقة الواقع ولا علاقة له بما هو كامن.

الفصل الثالث
الطريقة التجريبية

الطريقة التجريبية:

يعتبر التجريب موقفا مصطنعا يُهيئ لإثبات حقائق أو بطلانها أو نفيها من خلال البحث والتقصي الدقيق ملاحظةً ومشاهدةً ومعايشةً، وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية تكون الحقائق كامنة وتظهر في التصرفات والسلوك والأفعال والأعمال التي تخضع للمشاهدة والملاحظة، ولكن ليس من السهل إظهار الكامن للمشاهدة، والملاحظة، وهنا تكمن الصعوبة العلمية التي تواجه العلوم غير الطبيعية، فالذي يود البحث مشاهدته وملاحظته يقع تحت سيطرة المبحوث وظروفه الخاصة التي قد لا يسمح بإظهارها للمشاهدة والملاحظة أو لا يسمح إلا بإظهار جزءا بسيطا منها، وقد يُظهر عكس حقيقة الموقف أو الحالة أو الظاهرة التي هو عليها وذلك لاعتبارات تستوقفه أمام الآخرين وفي هذه الحالة تكون المعلومات المتحصل عليها عن طريق أداة الملاحظة والمشاهدة غير صحيحة وبالتالي غير علمية.

وحتى التجريب عن طريق المجموعة الواحدة أو المجموعتين أو أكثر إذا اعتمدنا فيه على المشاهدة والملاحظة قد تكون أحكامنا غير صائبة مائة في المائة لأن المجموعة أو المجموعات التجريبية والضابطة وإدخال المتغيرات عليها أو على بعضها يجعل المُجرَّب عليهم تحت تأثير مباشر من الباحث، وهنا قد يتصنَّع بعض المبحوثين أو حتى جميع المبحوثين إظهار التزام أو انضباط مبالغ فيه أمام الباحث وهذه ليست بحقيقة مما يجعل الباحث إن احتكم فقط بما يشاهده يقع في أخطاء تكون ضارة بالبحث وذلك بأسباب السلوك المصطنع من قبل المبحوثين أو بعضا منهم.

ولذا فإن تعمم نتائج البحوث التي تتأثر بما سبق ذكره على مجموعات أخرى لم يتم اختيارها من ضمن المجموعات التجريبية ولا الضابطة قد لا يفيد في معالجة المشاكل الاجتماعية والنفسية التي تتطلب مراعاة كل خصوصية وما يتعلق بها من ظروف موضوعية.

وبما أن دراسة الإنسان من حيث مشاعره وأمانيه، واستعداداته وحبه، وأمله، وكرهه مسألة يصعب التحكم فيها والتأكد منها لذلك من الصعب إخضاع

كل ذلك للتجريب المباشر. ولهذا لا يمكن إخضاع المشاعر للتجريب والمشاهدة، مما يجعل البحاثة يلتجئون إلى استخدام الأساليب الإسقاطية لفهم النفس وما تكنَّه من معلومات تفيد دراسة الحالة وتحليل المعلومات المتعلقة بها وكذلك تفيد تشخيصها من خلال معرفة العلل ومكامنها والأسباب وما يترتب عليها لأجل التوصل إلى النتائج وبلوغ مرحلة العلاج المؤسس على العلم والمهارة.

ولأن الإنسان عاقل ومجادل إذاً بطبيعة الحال هو قادر على أن يخفي ما في نفسه ولا يعلمه لأحد، ولهذا يكون الجدل والنقاش والمقابلة من أفضل الوسائل في الحصول على المعومات من البشر مما يجعل للمقابلات العلمية أهمية كبرى في مجالات العلوم الاجتماعية والنفسية، ولذا فإن التجربة الاجتماعية تحتاج إلى ظروف زمنية ومكانية تختلف عن ظروف التجارب المعملية وتجارب المختبرات التي تُجرى على الحيوانات والنباتات والأسماك والطيور وغيرها كثير.

تجارب المعامل والمختبرات قد تعطي نتائج فورية، أما تجارب البشر فتحتاج إلى زمن أطول كي تعطي حقائق وأدلة يحتكم بها أو يتحكم إليها أو حتى لمجرد أن يتم التعرف عليها، كلنا نريد الخبز ساخنا، ولكن هل يمكن الحصول عليه بدون فترة تخمير؟ فما بالك إذا في التجارب الاجتماعية التي تحتاج إلى زمن أطول من زمن التخمير لتكون جاهزة للتعرف عليها استحسانا واستئناسا أو استغرابا وتجنبا، ولهذا تُعد الحياة في السجن تجربة للسجين، ومن أراد من البحاث أن يعرف تلك التجربة فعليه أن يتوجه إلى السجن ليتعرف على حياة السجناء من خلال التجربة التي لم تُصطنع اصطناعا كما هو حال التجارب في المعامل والمختبرات.

وكذلك العزوبية تجربة تتطلب البحث من قبل من يرغب أن يتعرف على ما فيها من إيجابيات وسلبيات وقضايا وهمومها.

والزواج تجربة يمكن التعرف على ما فيه من ميز أثناء التراضي والتوادد، وما فيه من عيوب أثناء الغضب واستعراض المزايدات بين الزوج والزوجة.

وهكذا الطلاق مع أنه حل إلا انه تجربة مُرَّة، وأسبابه اختلاف وعدم تقدير أو فقدان ثقة، والأضرار المترتبة عليه كثيرة قد تلحق الأبناء وقد تمتد لعداوات بين الأسر.

الكفر تجربة، والإسلام تجربة، والهروب من المدرسة تجربة، والبطالة تجربة، والعمل العام تجربة، والعمل الخاص تجربة تختلف عن تجربة العمل العام، والاستعمار تجربة، والجهاد تجربة وعبادة بالنسبة للمسلمين إذا توفرت شروطه ومعطياته. وكذلك الحكم تجربة والنظم الاقتصادية والسياسية تجارب عندما تنتظم المجتمعات وفق فلسفتها، والحرية تجربة، والعبودية تجربة، وفترة التعلم والتعليم تجربة، والالتزام تجربة، وهكذا الحياة الاجتماعية والإنسانية مليئة بالتجارب التي تستوجب البحث والبحاث غافلون عنها.

وهكذا تتعدد التجارب الاجتماعية وتتجدد وتتنوع، وهي أفضل ميدان ومادة تجريبية لمن أراد أن يُقدِّم جديدا أو أراد أن يتقدَّم به في ميادين العلوم الاجتماعية ولإنسانية، إنها التجارب العظيمة التي تُثري كل التخصصات العلمية وتمد المتعلمين بالخبرة والعبرة.

إن احترامنا للعلوم الطبيعة والاعتراف برسائلها العلمية يزداد وذلك لالتزامها بإجراء التجارب في ميادينها، وهي تهدف إلى بلوغ كل ما من شأنه أن يُطوِّر الإنسان ويرفع من شأنه اقتصاديا وعلميا ومهنيا وحرفيا.

أما العلوم الاجتماعية فهي لا زالت متأخرة إن لم تلتفت إلى ميادينها المليئة بالتجارب لتخصُّها بالبحث حتى تكون لها هوية كما هو حال العلوم الطبية التي أصبحت لها هوية بها تتميز وبها تعتز.

ومع أن لكل علم ميدانه الخاص به وطريقته الخاصة به ومنهجه الخاص به إلا أن الغاية من البحوث العلمية هي الإنسان في كل العلوم والميادين البحثية والجامعات ومراكز البحث العلمي، أي كل التجارب والبحوث التي تُجرى تكون نتائجه من أجل الإنسان، فعندما تجري التجربة على أرنب أو حمامة أو شجرة أو طائر أو سمكة أو نبات أو بالمطلق كل ما يخضع للتجريب لم يكن هو المستهدف لذاتها مع إنه المُجرَّب عليه (الضحية)، فالإنسان قيمة رفيعة لا

يُجرب عليه بما يُعرِّضه للخطر، بل يخضع للتجربة التي فيها يجد أهميته واحترامه وتقديره ومكانته ولهذا فاحترام العلوم الطبيعية للإنسان وتقديسها له لم تخضعه للتجربة ولم تعرضه للخطر.

ولهذا إذا أردنا للعلوم الاجتماعية والإنسانية أن تتقدم فعلينا بالبحث والدراسة في التجارب الحياتية للمجتمعات والشعوب وان نُسخِّر العلوم لخدمة الإنسان لا للتجريب عليه.

ولذا فمهما يحاول البعض أن يفضل العلوم الطبيعية عن الاجتماعية لا يتحقق له ذلك، وما الفصل الظاهري بينهما إلا لتبيان المسار المنهجي لكل منهما في ميادينه التي فيها يتميَّز. فعلى سبيل المثال: مجتمع كان عدد سكانه قبل عشر سنوات مليوني نسمة، ثم أصبح الآن ستُ ملايين نسمة نتيجة الزيادة العادية ونتيجة الهجرة إليه من الخارج، وأن المستوى الاقتصادي للفرد وللأسرة كان تحت المقبول نتيجة اعتماده على المجهود العضلي الذي يبذله الفرد في الزراعة، والصيد، والصناعات التقليدية، ثم خلال هذه الفترة (الأربعين سنة) انتقل البلد إلى الإنتاج الصناعي الحديث، مع اكتشاف النفط مورد اقتصادي كبير، وانتشار المدارس والجامعات ومراكز البحث العلمي وانفتاحه على العالم وما لديه من علوم وتقنيات متقدمة، هذه حالة مجتمع من المجتمعات إن أخضعناه للبحث باستخدام وسيلتي الملاحة والمشاهدة، نلاحظ الآتي:

. زيادة عدد سكان.

. ارتفاع مستوى الدخل.

. ارتفاع المستوى الثقافي.

. ارتفاع عدد المتعلمين ونسبتهم في المجتمع الذي كان يعاني من ويلات الجهل.

. التغيُّر السياسي.

. التغيُّر الاجتماعي من البساطة إلى التعقيد.

. ارتفاع المستوى الصحي وتحسُن أحوال المواطنين الصحية.

إن مثل هذه الحالة تحتاج إلى بحوث ودراسات علمية لمعرفة لماذا لم تستمر البساطة مع التقدم والتطور الذي حدث على حياة المجتمع وظروفه؟

وهكذا ينبغي أن تتوجه البحوث إلى البحث في تجارب الشعوب من خلال ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية لمعرفة أثر المتغيرات السياسية والاقتصادية والعلمية والصحية والثقافية وغيرها من المجالات الأخرى التي لا ينبغي الإغفال عنها.

ولذا فعلى العلوم الاجتماعية أن لا تغفل عن الآتي:

أ – استيعاب العلوم الطبيعية وما وصلت إليه من حيث تأثيرها والنتائج المترتبة على تطبيقاتها في الميادين الاجتماعي والإنسانية، واستنباط الحلول للمشاكل المترتبة عليها أو للظواهر الناتجة عنها.

ب – ملاحظة ومتابعة النمو الاجتماعي والتطورات أو الانحرافات الطارئة عليه، وذلك لأن حياة المجتمعات قابلة للتغيير والتغير حسب المؤثر، ولهذا فالأديان السماوية تؤثر على حياة المجتمعات إيجابيا وكذلك للأفكار الوضعية أثرا على حياة الإنسان سلبيا أو إيجابيا فللبوذية أثرها، وللكنفوشية أثرها، وللماركسية أثرها، وللرأسمالية أثرها ولا ننسى ما للفلسفة من أثرٍ على الفكر الإنساني وسلوكه الثقافي والحضاري حيث بها سادة حضارات ثم بادت وحلت حضارات أخرى محلها وهكذا لن يبقي ثابتا إلا وجه ربُّك ذو الجلال والإكرام.

وعليه كل متغير في حياة المجتمعات والثقافات والحضارات ينبغي أن يتوجه البحاث الاجتماعيين إليه بالبحث والدراسة لمعرفة كنوزه وأخذها قبل أن تزول أو تندثر، ولذا فأعظم العلوم هي التي تؤخذ من تجارب الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب بمختلف ثقافاته وحضاراته وأديانها وعلومها ومعارفها.

إذا على البحاث أن يراجعوا ويتفحصوا تجارب الشعوب من خلال دراسة الأفراد الذين انعكست على سلوكهم آثار متميزة سلبيا أو إيجابيا أو الاثنين معا لمعرفة عوامل أو أسباب التأثير الإيجابي والتأثير السلبي لتأكيد الموجب وإبعاد السالب عنها أو تخليصها منه.

وإن قال قائلا: أنه لمن الصعوبة أن نكون متأكدين مما يقوله الإنسان تجاه ما يعمل أو يسلك؟

نقول:

ليس كل الظواهر الإنسانية والاجتماعية مبنية على التحيز وعدم المصداقية فدراسة أثر الدين أو التعليم أو الصحة أو القانون، أو السجن، أو الديمقراطية، أو الاقتصاد على حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات عندما تعيشها تجربة لم يكن بالضرورة متأثرا بتحايل المبحوث أو إنجازه الشخصاني، فما يود أن يعرفه الباحث بالبحث من تجربة السجين هو نظرة المبحوث إلى المؤسسة الإصلاحية لا نظرته إلى نفسه أي أن موضوع الدراسة هو أثر السجن على حياة السجين وليس على السجن.

فلو أجزنا هذه الأسئلة المتعلقة بأثر السجن على حياة السجين وفقا للآتي:

1- هل تحب السجن؟ ولماذا؟

2- هل أثَّر السجن على صحتك ونفسك أم لا أثره له على ذلك؟ ولماذا؟

3- ما رأيك في نظام الرعاية داخل السجن؟

4- هل تُفضِّل حياة السجن على حياة الأسرة بالرغم من القيود التي تلاقيها فيه؟

5- هل تعتبر حياتك لفترة حبيسا بين أربعة جدران تجربة في حياتك العامة؟

6- من وجهة نظرك ما هي الآثار السلبية والإيجابية على حياتك في السجن؟

7- هل تعتقد أنَّ السجن مؤسسة إصلاحية أم عقابية؟ ولماذا؟

8- من خلال تجربتك حياة السجن وظروفه هل تنصح بالالتزام والاحترام الذي يُبعد عن دخول السجون؟.

9- يقال أن السجن للرجال هل تصدِّق ذلك القول؟ ولماذا؟

كل الإجابات على مثل هذه الأسئلة تعبر عن تجربة نتائجها لا تتأثر بخصوصية المبحوث، لأن موضوع التجربة يتعلق بالمؤسسة الإصلاحية ولا يتعلق بشخصية السجين، وعليه إن إجابات المبحوث عن المؤسسة لا تحتاج إلى تحايل من المبحوث ولا تحايل من الباحث بأساليب إسقاطية على المبحوث. إنها تجربة واضحة الأسباب وواضحة الأهداف مما يجعل البحث أو الدراسة للتجربة علمية وموضوعية.

أما إذا كانت الأسئلة منصبَّة على شخصية المبحوث رغم معايشته للتجربة الإيوائية (داخل السجن)، فإن هذه الأسئلة المحددة من خلال المشاهدة أو

الملاحظة أو الاستبيان أو المقابلة التي بها يستهدف الباحث جوهر المبحوث ستكون مختلفة تماما عن أسلوب الأسئلة السابقة من حيث الهدف والفلسفة.

فعلى سبيل المثال: إذا كانت التجربة هي حالة سرقة فتكون الأسئلة على النحو الآتي:

السؤال الأول:

لماذا سرقت؟

فقد تكون الإجابة:

لم أسرق وهذه الإجابة قد تكون على احتمالين:

. الصدق.

. الكذب.

فإن كانت صادقة يستوجب التسليم بها، وإن كانت كاذبة، يجب معرفة الأسباب التي دعته إلى الكذب، وهذه هي طريقة الأسئلة المباشرة.

ويمكن صياغة السؤال عن الظروف:

ما هي الظروف التي جعلتك تسرق؟

ويمكن أن تكون الإجابة على هذا السؤال، بلم اسرق. وهذه الإجابة هي الأخرى تحتاج إلى التأكد منها. وهذا النوع من الأسئلة المباشرة أيضا.

وقد يصاغ السؤال بشكل آخر:

هل من حق المواطن أن يسرق إذا لم تُشبع حاجاته؟ أو إذا لم تتوفر له فرص العمل؟

هذا السؤال لا يُعد سؤلا مباشرا وذلك لعدم توجهه لحالة المبحوث الخاصة.

فإذا كانت الإجابة بلا، ينبغي أن يلحق هذا السؤال بسؤال آخر هو: ما هو الحل من وجهة نظرك؟

السؤال الثاني: أن تكون الإجابة:

(بنعم) أو (لا)	نعم	لا
-إن الالتزام الديني لا يشجع على السرقة.	[ ]	[ ]
-إن البطالة تشجع على السرقة والانحراف.	[ ]	[ ]

-أفضل البقاء في السجن عن الحياة خارجه إذا لم تحل المشكلة. [ ] [ ] [ ]
-أفضل الخروج من السجن عن البقاء فيه. [ ]
[ ]
-الحياة الطبقية تستوجب من الفقير أن يسرق. [ ] [ ] [ ]
-القتل حق إذا تحكَّم آخر في حاجاتك. [ ] [ ] [ ]
-السرقة لا تُعبر عن الاحتياج دائما. [ ]
[ ]
-الاعتراف بأنني سارق يعني لا أخلاق لي. [ ]
[ ]
-السرقة أقصر طريق لتوفير متطلبات الحياة. [ ] [ ] [ ]
-السارق يجب أن تقطع يده [نعم] [لا] ولماذا؟
-أنا لا أحترم السرَّاق [نعم] [لا] ولماذا؟
-سرقة المواطن عيب [نعم] [لا] ولماذا؟
-سرقة الحكومة جائزة [نعم] [لا] ولماذا؟

معظم مثل هذه الأسئلة تعتبر إسقاطية ويمكن أن يتحايل فيها الباحث، ويتحايل فيها المبحوث على السواء. يتلاعب الباحث من حيث صياغة الأسئلة، ويتلاعب المبحوث من حيث إعطاء الإجابات. فتكون النتيجة كلها مبنية على التحايل، والتلاعب.

ولهذا يتضح الفرق بين أهداف التجارب في المثال السابق في كلا الحالتين لقد جرَّب الإنسان حياة السجون، إلا أنَّ الأسئلة التي وجهة (للظاهرة) فهي تُمكِّن الباحث من معرفة نتائج التجربة بموضوعية بعد معرفته للأسباب والعلل الكامنة ورائها، ويمكن إيجاد الحلول والمعالجات العلمية والعملية لها.

أما التجربة التي تستهدف جوهر الإنسان في وجود عقاب وقوانين لا تحمي المغفلين كما يقال عنها. فإن الإجابات المتحصل عليها يحفها الشك من كل جانب، فلا يستأنس لها، وعليه يتعذَّر وصف نتائج تجربتها بأنها علمية سواء اعتمدنا على مشاهداتنا أو ملاحظاتنا أو مقابلاتنا أو استبياناتنا أو أساليبنا

الإسقاطية، لذا فإن مُعظم نتائجها موضوع شك، وبالتالي الإدعاء بالتصديق التجريبي فيما يقوله المبحوث أو يلاحظه الباحث مسألة لا يمكن الركون إليها ولا التسليم بها. وبما أن الجوهر لا تراه الأبصار ليكون تحت سيطرة المشاهدة، ولأن الإنسان جوهر فكيف نسلم بالشكل ولا نسلم بالجوهر؟

وعليه فإن السلوك الظاهر يمكن أن يكون مصطنعا ولا يُعبِّر عن طبيعة الموقف أو الظاهرة المنعكسة في الفرد أو الأفراد.

وإذا تساءل البعض:

هل تكون أسباب الظاهرة أو المشكلة في طبيعتها تماما كالأسباب المحققة للموقف الاصطناعي؟ وبصيغة أخرى: هل هناك فروق بين الطبيعة والاصطناع؟

فإذا كانت الإجابة بنعم.

إذاً لماذا الاحتكام إلى التجريب على مواقف لا تستوجب ذلك؟

الاحتكام إلى التجريب من اجل أن يُحكم على الظواهر الطبيعية موضوعيا بطبائعها، ولذا لا ينبغي أن يُحكم على ضمائر الناس بنوايا الباحث أو البحاث، بل الحكم عليها بها وليس بخارجها .

وإذا كانت الإجابة بلا، فإن النتيجة تكون طبيعية أو اصطناعية لا الاثنين معا، وفي هذه الحالة لا يوجد اختلاف، ويفرق الفيلسوف توماس هوبز ذلك بقوله : "إن الطبيعي هو ما نجده على ما هو عليه، أما المصطنع فهو ما يقع داخل حدود الفعل البشري"[22].

وإذا تحدثنا عن السلوك الفردي أو الثنائي أو الجماعي أو المجتمعي يكون حسب ما يتراءى لنا، وهذا ليس بطبيعي، ويكون السلوك صناعة وأحيانا افتعالا، ولهذا لا يمكن أن يكون الفعل هو المفتعل، فالطبيعي هو الموجود الحق وكما هو عليه لا كما يجب أن يكون حسب رؤية الباحث في الفعل الاجتماعي والظواهر الاجتماعية.

---

[22] إمام عبد الفتاح ، توماس هو بز فيلسوف العقلانية . دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1985 م . ص 293 .

والفرق بين الطبيعي والاصطناعي:

إن الطبيعي يوجد أولا ويكون التفكير فيه ثانيا.

أما المصطنع فيكون التفكير فيه أولا ثم يحدث ثانيا. ولهذا فالطبيعي سواء أكان ظاهرة أم سلوكا أم موقفا فهو مثيرا. أما إذا كان مصطنعا فتكون الظاهرة أو السلوك أو أي فعل هو مثارا. أي أن الأولى مثيرة بذاتها، أما الثانية فمثارة من خارجها.

الفرق بين التجربة والتجريب

أولا: التجربة:

يقول لسان العرب المحيط "التجربة من المصادر المجموعة، ومجرب قد عرف الأمور وجربها، أو الذي قد جرب الأمور وعرف ما عنده"[23].

التجربة في العلوم الاجتماعية هي نتاج المعايشة للواقع حلوه ومره، وهي التي تمد مفرداتها بالخبرة، وقد تكون بإرادة وقد تكون عن غير إرادة، مما يجعل الحياة اليومية الاعتيادية في دائرة الممكن تجربة إرادية، ويجعل تجربة السجين في سجنه تجربة عن غير إرادة.

أمَّا التجربة في العلوم الطبيعية فهي قصدية يُهيئ لها المناخ المناسب مع فائق التحكُّم في عناصرها والمتغيرات التي تُستهدف بالاختبار والقياس من قبل الباحث، وهي قابلة للتكرار دون اختلال في تتبع خطواتها.

ولذا فإن التجربة هي نتاج التجريب الذي هو مجموعة من الخطوات المتوَّجة بنتائج أنتجت قوانين التي بإثباتها يصبح التجريب خطوات للتجربة يمكن تكرارها على أيدي البحاث وفرقهم المساعدة.

ونتائج التجربة يمكن أن تكون موجبه ويمكن أن تكون سالبة، وذلك حسب المستخدم لها، فاكتشاف الذرة تجربة ساهمت في التقدم التقني والعلمي للبشرية، وفي نفس الوقت تساهم في إبادتها.

والتجربة دائما ماضية والتجريب دائما حاضرا، أي أن التجربة تعبر عن ماضٍ ويمكن أن تستعمل في الحاضر والمستقبل على السواء، فلولا خطوات حدثت ما

---

[23] لسان العرب ، المجلد الأول ، دار العرب ، بيروت : ص 429 – 430 .

حصلت التجربة، ولولا تطبيقاتها ما نجحت أو فشلت، ولولا نجاحها أو فشلها ما كانت تجربة، وبما أنها كانت أو حتى أصبحت فهي الماضية بالنسبة لزمن اكتشافها وإتمامها وهي الحاضرة في تكرار خطواتها على أيدي البحاث كلما كرروها تجربة في المعامل والمختبرات وميادين البحث العلمي الواسعة في العلوم الطبيعية والطبية والاجتماعية والإنسانية.

إن الحياة الاجتماعية مليئة بالتجارب، الزواج، والطلاق، والترمل، والعزوبية تجارب وكل حياة اجتماعية وإنسانية مليئة بالتجارب القديمة والجديدة وتعتبر التجربة الاجتماعية أكثر شمولية من التجربة في العلوم الطبيعية، ومع ذلك فمن السهل إخضاع أحشاء الطبيعة وأديم الأرض للتجريب، ومن الصعب إخضاع الإنسان لذلك، ولذا فإن التجربة تُعد حكما لا شك في نتائجه ناتج عن التجريب الذي له مصداقية.

والتجربة الاجتماعية يمكن مراجعتها ومعرفة عللها وخطواتها ونتائجها، وهي في معظم الأحيان لا تكون مصطنعة، بل تمارس وفق معطياتها، وظروفها وتتأكد بقيمها، وتُرسَّخ بالذين آمنوا بها، فالحياة العربية بعد الإسلام وظهور متغير الدين الإسلامي ومعايشته قولا وعملا أصبح للمجتمع العربي تجربتين اجتماعيتين:

الأولى: في ماضيهم (العصر الجاهلي).

والثانية: في حاضرهم (عصر التنوير).

فكانت الحياة السابقة للرسالة تجربة للعرب تختلف عن التجربة الاجتماعية الجديدة، وذلك باختلاف معطيات كل منهما في مضمون القول وإرادة الفعل والعمل وظاهر السلوك.

وهكذا مرت جميع المجتمعات البشرية بتجارب تُظهر مفارقات في القول والعمل والسلوك، سواء أكانت من خلال الأديان السابقة للرسالة الخاتمة أم للمظاهر الفكرية والفلسفية التي جعلت للمجتمعات أكثر من تجربة، ولهذا مرت ريادات التاريخ بمتغيرات عبر العصور مما جعل لكل عصر مسمى بما امتاز به، فكان العصر الحجري والعصر البرنزي والعصر الجاهلي والعصر التنويري والعصر الصناعي والتقني، ولهذا كان للمجتمع الأثيني تجاربه الاجتماعية، وللمجتمع

الروماني تجاربه الاجتماعية وللمجتمع العربي تجاربه الاجتماعية والإنسانية، وفي العصر الحديث كان للمجتمع الماركسي تجربة بادت قبل أن تسود، وبأسباب تعدد التجارب الاجتماعية كان لكل هوية اجتماعية عنوان ومسمى.

ومع أن عقل الإنسان وأحاسيسه ومشاعره لا يمكن إخضاعها للمشاهدة التجريبية، إلا أن ما ينتجه العقل الإنساني يمكن أن يُكوِّن تجربة، أو أن يؤثر في تجربة.

وعليه، نقول: الحياة الاجتماعية هي التجربة الواسعة التي تفوق أي تجربة في العلوم التجريبية.

ثانيا: التجريب:

ويقصد بذلك التجريب المقصود المبني على خطة لها خطوات حدثت، وفق أسباب، وتسعى إلى أهداف يمكن الوصول إليها من خلال فروض محددة، ومع ذلك التجريب لم يكن يقيني النتيجة لأنه إذا أصبح يقينا صح عليه قول تجربة، ولذا فأنه المحاولات الجادة من خلال اعتماده مبدأ التعديل، والتغيير، والنجاح، والفشل، فإذا فشلنا كان تجريبا، وإذا نجحنا أصبح تجربة من خلال معرفتنا لقوانينها وقدرتنا على إعادتها والتحكم في عناصرها ومتغيراتها وقياس نتائجها.

ولهذا يكون التجريب في العلوم الطبيعية خاضعا لضوابط، ويقبل التضحية بالمجرَّب عليه عندما يستهدف به خير البشرية، سواء أكان المجرب عليه حيوانا أم نباتا أم طيرا أم من باطن الأرض أم من على سطحها.

أمَّا التجريب على بطون البشر وأجسادهم فمحظور فأمره محظورا، وذلك لأن التجريب مبنيا على الشك الذي تتساوى فيه كفتا النجاح والفشل، وهذه عين الخطورة على حياة الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، ولهذا يكون التجريب في العلوم الاجتماعية بالإنسان وليس عليه.

التجريب يحتوي على ديمومة واستمرارية يكون فيها الزمن الحاضر كبيرا أي أنه المتصل المستمر، فما نجح منه (التجريب) يصبح تجربة وفق اشتراطاتها، وما لم ينجح منه تتم تنقيته من الشوائب وفقا للأهداف المحددة له.

التجريب أقل شمولا من التجربة التي هي أوسع دائرة منه، ولهذا فالتجريب هو خطوات للتجربة.

إذاً التجربة تحمل التجريب مع أنها لولا التجريب ما كانت التجربة، ولولا التجربة ما تكرر التجريب، وبما أنه المتكرر إذن هو المستمر وهي التي تنتهي عند كل تجربة.

بناء على ما تقدم تتضح أهمية الطريقة التجريبية في دراسة الماضي والحاضر من خلال دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية المكونة للبيئة وللبشر من أجل معرفة ما عندهم من مخزون معرفي وثقافي، وما جسدوه من حضارات وما عندهم من فضائل وقيم تصنع القول الحق والفعل الحق والعمل الحق والسلوك الحق.

الهدف من استخدامات الطريقة التجريبية في العلوم الاجتماعية:

هدف الطريقة التجريبية في العلوم الاجتماعية التعرف على الظواهر وعللها وأسبابها ومكامنها، وتأثيراتها السلبية والإيجابية، مع إيجاد مقاييس لتقنينها والتحكم في عناصرها، وهي تختلف عن التجريب في العلوم الطبيعية التي تهدف إلى الاكتشاف والاختراع الفني والتقني من أجل تسخير إمكانيات الطبيعة، والعيش من ثمارها الظاهرة والكامنة (من أحشائها أو من على ظهرها).

والغاية من التجريب في العلوم الاجتماعية لأن يواكب الإنسان ونظمه حركة الاكتشاف العلمي ولا يفرط في القيم الحميدة التي صنعها الماضون وهي لا تتعارض مع المكتشف الجديد. وأن يستفيد من الاختراعات والابتكارات التي تمده بها العلوم الطبيعية، وأن يوجه عنايته واهتمامه للطبيعة مصدر رزقه، وميدان تدريبه وتجربته من أجل تقدمه ليصل إلى الفضيلة وينتظم في مجتمع فاضل حسب انتمائه الاجتماعي بود ومحبة وتعاون مع الآخرين الذين تربطه علاقات بهم والذين من أجلهم يحافظ على البيئة.

ومن أهداف الطريقة التجريبية التعرف بالعقل على الخارج عنه والخارج منه، بعد إخضاعه للقياس الكيفي والكمي وتعرضه للنقد الداخلي والخارجي. ولهذا فلطبيعة

الفضل على العقل لأنها الميدان الواسع للتجريب بها وعيها فلولا الطبيعة ما بحثنا ولولا البحث ما اكتشفنا، ولولا الاكتشاف ما تقدَّمنا.

إذا لم يكن الهدف هو اكتشاف الطبيعة، فالطبيعة ماثلة أمام الناظرين وهم على ظهرها محمولين، وبما أنها كذلك، إذاً فما هو دور الإنسان حيالها؟

دوره التعرف على ما فيها من كنوز واستثمارها لغاية مستقبل أفضل، والتعرف على الأسس المنتظمة عليها لاستنباط أهمية النظم في العلاقات الاجتماعية والإنسانية.

ولهذا هناك غاية من وراء الهدف من استخدام الطريق التجريبية في العلوم الاجتماعية وهي الانطلاق منه والوصول إليه، أي الانطلاق من الهدف عندما يكون محمولاً في الفرضيات أو التساؤلات، والوصول إليه عندما يكون ظاهرا في النتائج والمعالجات.

وعليه: نتساءل:

بما أننا سنجرب، فلماذا إذن ننطلق من فرضيات؟ ولماذا نحدد أهدافا؟

فتكون الإجابة محمولة في مضمون سؤالا آخر هو:

من أجل ماذا سأجرب؟

كل ذلك من أجل أن أتعرف أو أكتشف، وإذا عرفت أو اكتشفت فماذا فعل؟

. أوصي.

. أقترح.

. أعالج.

. أخطط.

. أصوغ استراتيجيات المستقبل وكيفية صناعته.

إذاً من المستهدف من كل ذلك؟

المستهدف بذلك المجتمع، وذلك لأن تقدم أو تغير فرد منه أو اثنين أو عينة لا يعني تقدم المجتمع وتطوره، ولهذا يكون المستهدف بفلسفة المنهج التجريبي هو المجتمع، وبما أنه المجتمع، هل يمكن إخضاعه المجتمع جملة للتجربة المختبرية؟ إنه من الصعب.

وبما أنه من الصعب، فهل يمكن أن يكون للمجتمع تجربة؟

نعم.

وهل يمكن أن تكون له طريقة ومنهجا؟

نعم.

كيف؟

أولا – تجربة المجتمع:

تجربة المجتمع هي التي يخوضها بكامله وفق قدراته واستعداداته، وحسب المتغيرات المستقلة والتابعة والمتداخلة والدخيلة إن وجدت، هذا وقد تشترك أجيالا متلاحقة في تجربة المجتمع، وفي هذه الحالة لا معنى للمجموعة التجريبية والضابطة التي تُستخدم لتنوب عن تجربة المجتمع؛ فالمجتمع هو الضابط وهو المجربِّ والمتجرِّب، ولذلك فتجربته تفوق كل التجارب في العلوم الطبيعية والسلوكية، لأنها أوسع مجالا وأكثر أهمية.

وعليه فإن قرأنا التاريخ نلاحظ أن هناك حضارات سادت ثم بادت، ولسيادتها أسباب ولإبادتها أسباب، وإذا تأملنا حياة أممها وشعوبها نجد أنها عاشت ومارست تجارب كبيرة جدا إذا ما قورنت بتجربة جربت على فأر، أو قطعة قماش، أو رأس بصل، أو شريحة ثوم، وغيرها كثير جدا، ولذا فبدون تحيز فإن تجربة يقوم بها مجتمع بكاملة أهم وأعظم من تجربة على شجر، أو حيوان أو طائر أو سمكة أو نبتةٍ.

إذا التجربة التي يقوم بها المجتمع بأسره لا يمكن أن يلتصق بها تحيزا أو تعمدا، لأنها تجربة علمية وبدون باحث الذي قد يكون من قبله يحدث التحيز والتعمد ألقصدي في غير محله.

ومن خلال مراجعتنا لحياة الأمم والشعوب نجد أنها عاشت تجارب اجتماعية وإنسانية جعلت بعضها في صدارة التقدم، فللمجتمع اليوناني تجربة لا يمكن إغفالها أو التغافل عنها، وللمجتمع الروماني تجربة اجتماعية وسياسية واقتصادية والدينية التي جعلت له نمطا خاصا وحياة اجتماعية وإنسانية متميزة ومتغيرة من فترة لأخرى حسب العوامل والمتغيرات التي نُبِعت منه أو أدخلت عليه، فللمجتمع

العربي قبل الرسالة تجارب وبعدها كانت له تجربة أكبر باعتبار الدين كمتغير تصحيحي للقيم الاجتماعية وذلك بإثبات الخيِّر منها وإبعاد السيئ عنها وفق منظور المتغير الجديد (الدين).

ولا ننسى التجربة الحديثة التي أجراها المجتمع الماركسي على ما سمي بالاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية. وفي كل التجارب يمكن ملاحظة النجاح والفشل في فيها، فقد نجحت التجربة العربية الإسلامية داخل محيطها الاجتماعي والمكاني وألزماني كما نجحت خارجه لما لها من معطيات ومسلمات، وحُجج وبراهين وأدلة منطقية وموضوعية غايتها الإنسان قيمه ثابتة في الوجود، وفي مقابل ذلك فشلت التجربة الماركسية لأنها لم تقم على اختيارات ورغبات بل تأسست على إجبار وإكراه فلم يتحقق لها الرضي الذي يؤدي إلى النجاح بالضرورة.

ولأن التجربة الاجتماعية تختلف عن تجارب العينات، والمجموعات، والمختبرات التي تخضع لاشتراطات، وتحكم الباحث في عناصرها وظروفها، لذا فإن المناداة التي تبناه البعض من أساتذة علم الاجتماع، والمتتلمذين عليهم بأنه لا يمكن دراسة المجتمع بأسره أصبحت باطلة لأن المجتمع يمكن له أن يعيش ويمارس تجربة من خلال تفاعله، واستجاباته وقبوله ورفضه، وتقبله للمتغيرات، كل حسب تأثيرها والأسلوب المتبع من قبل المتأثرين بها.

ولذلك نقول:

إن حياة المجتمعات تحت وطأة الاستعمار تعتبر تجربة مريرة تستوجب البحث والغوص في أغوارها لمعرفة ما جرى وما ترتب على هذه التجربة المريرة من متغيرات في حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والنفسية.

ثانيا: منهج المجتمع:

المنهج هو الذي به يتم تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع وجماعاته وهو المؤسس على مجموعة من القواعد الفكرية والدينية والعرفية والقيمية التي تهذب الأخلاق وتقوي وحدة المجتمع وتحافظ على هويته التي تُميزه عن هويات الآخرين.

ولذا فمنهج المجتمع هو الذي يرسم سبيله بإرادة حرة من المبادئ إلى الأهداف والغايات التي من ورائها.

ولهذا لا منهج إلا وموضوع، مما يجعل البحاث يستمدون مناهجهم من مواضيع بحوثهم. أي لا يمكن أن يُبحث في أي إشكالية أو ظاهرة كمواضيع للبحث إلا بمناهج تُستمد من صلبها، وإلا سيكون المنهج أجنبيا عليها، وفي هذه الحالة لا يُمكِّن الباحث من تقصي الحقائق بموضوعية.

وعودٍ على بدء، أتساءل:

هل هناك مجتمع بدون موضوع (بدون رسالة أو مهمة)؟

بالتأكيد لا.

وذلك إن لكل مجتمع أو أمة رسالة أو مهام تؤديها (موضوعا) وبما أن للأمة موضوع، إذن لا بد أن يكون لها منهاجا، مصداقا لقوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ}[24]. أي لكل أمة موضوع ومسلك، تحتكم بالأول وتنتهج الثاني.

لقد تميَّز كل مجتمع من المجتمعات البشرية بما امتاز به عن غيره، ولهذا كان لكل شِرعة ومنهاجا، فقد تميَّز المجتمع الهندي مثلا بالموضوع عن غيره من الشعوب والأمم فكان له منهج يميزه عن غيره، وحسب الموضوع الذي تميز به، وهكذا المجتمع اليوناني والروسي، والروماني، والعربي، ولا يمكن أن تحقق وحدة المجتمع إلا بوحدة الموضوع، والمنهج.

أمَّا إذا كان المنهج لا علاقة له بالموضوع فتكون الطريق المؤدية للأهداف مليئة بالكثبان وسماؤها عواصف ويكون الباحث كالأعمى لا يمكنه أن يقود السيارة بأمان وسلامة. وإذا فرض على المجتمع منهجا لا علاقة له بالموضوع فتكون النتيجة الآية متطابقة مع قوله تعالى: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ}[25]. إذن وحدة الموضوع والمنهج تؤدي إلى وحدة المجتمع.

---

[24] سورة المائدة ، الآية 48 .

[25] سورة الحشر ، الآية 14 .

وعليه، يكون البحث الناجح هو البحث الذي يتوحَّد منهجه مع موضوعه، أما إذا لم يستنبط المنهج من الموضوع، فتكون النتيجة الاختلاف وعدم الموضوعية.

إذاً الاتفاق يكون مع استخراج المنهج من الموضوع والاختلاف يكون بترويم منهج جاهز في كتب البحث وهو لا يمت بصلة إلى الموضوع المستهدف بالبحث أو الدراسة.

الجماعات التجريبية:

لقد ظهرت محاولات لتطبيق الطريقة التجريبية بين أساتذة علماء الاجتماع وعلم النفس، وظهر قبل ذلك نظريات خاصة بكل مجال وبدأ بعضهم كمن يُعلِّم الطفل المشي باعتمادهم على المحاولة والخطأ، وتحققت نجاحات تدريبية في هذا الميدان العلمي من خلال إخضاع بعض الحيوانات للتجريب والتدريب، ثم وصلت إلى التجريب على الإنسان من خلال المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، ويمكن الإشارة لكل منها وفق الآتي:

1-الجماعة الواحدة: قد يختار الباحث جماعة واحدة للتجريب وذلك بإدخال متغيرات يراعي فيها الظرف الزماني والمكاني لمعرفة أثر المتغير على الجماعة مع مراعاته للآتي:

أ – تحديد حجم الجماعة المستهدفة بالبحث .

ب – تحديد المكان المناسب للتجربة .

ت – تحديد الزمان المناسب للتجربة .

ث – تحديد المتغير أو المتغيرات المستهدف قياس آثارها .

ج – قياس الجماعة قبل إدخال أي متغير عليها.

ح – توحيد صفات وظروف المجرب عليهم .

خ – قياس الجماعة بعد إدخال كل متغير .

د – مقارنة أثر المتغير على الجماعة القبلية والبعدية .

ذ – اختبار الفروض.

ر – تحديد النتائج .

وتكون الجماعة تجريبية وضابطة في وقت واحد، ضابطة بقياسها قبل إدخال المتغيرات عليها، وتجريبية بعد إدخالها، فإذا أردنا معرفه أثر ممارسة الرياضية على جسم الإنسان وعقله لا داعي هنا لاشتراط مجموعتين بحيث تكون احد المجموعتين ضابطة والأخرى تجريبية، بل يمكن معرفة أثر المتغير المستقل وهو ممارسة الرياضة على مجموعة واحدة، وذلك بقياس مستوى جميع أفراد الجماعة قبل ممارسة الرياضة، ثم قياسه بعد ممارستها، وذلك لتسجيل الفارق ومعرفة درجة الاستجابة والتغير الذي حدث أو طرأ على جسم الإنسان وعقله.

ومع ذلك نتساءل:

. هل السلوك الحاصل من التجريبية سلوكا طبيعيا؟

. وهل السلوك الطبيعي يساوي السلوك المصطنع؟

. وهل هما ينطبقان بالتمام؟

كل هذه الأسئلة تحمل إجاباتها واضحة فيها لأنه لا يمكن أن يكون السلوك الطبيعي هو السلوك المصطنع، ولا حياة التجربة تكون هي مطابقة للحياة الطبيعية. ويؤكد هذا القول، ما قاله أستاذ علم النفس (بجامعة شيكاغو، ت. ج. أندروز) "نوع السلوك اليومي الذي نبغي فهمه يقع خارج المعامل، وأنه حين يكون موضوع الدراسة في المعمل يصبح خاضعا للشروط المألوفة للضبط الصارم والقياس الدقيق، ولا يكون نفس السلوك"[26].

ومع أن دراسة الجماعات تحت كل هذه الظروف تعطينا مؤشرات ونتائج محددة وفق اشتراطات التجربة، إلا أنها غير مضمونة الأثر والفائدة الدائمة.

2 – المجموعتان: كما سبق وأن حددنا شروطا للمجموعة الواحدة فإننا نحدد هنا شروطا للمجموعتين، وهي الشروط السابقة مع التأكيد على توفر شروط التشابه في الصفات بين أفراد المجموعتين، وذلك من حيث الأعمار والمستوى التعليمي، والقدرات، والاستعدادات قبل إدخال أي متغير على المجموعة التجريبية.

وتنقسم المجموعتان إلى الآتي:

---

[26] ت . ج . أندروز : مناهج البحث في علم النفس . ترجمة ، يوسف مراد . القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ج 1 ، 1983 ، ص 30 .

أ – المجموعة الضابطة:

وهي المجموعة التي تتوفر فيها نفس شروط المجموعة التجريبية قبل إدخال أي متغير عليها، والمجموعة الضابطة هي التي يتم بها قياس أثر المتغيرات على المجموعة التجريبية، أي أنها المجوعة التي لم يدخل عليها متغير تجريبي وذلك لضبط قياسات المجموعة التجريبية ولا يتضح أثر العامل التجريبي إلا بعد دراسة الجماعتين قبل إدخاله كمتغير وبعد إدخاله كمتغير تجريبي.

ب – المجموعة التجريبية:

هي الجماعة المحددة للتجريب وهي التي يتم إدخال متغير عليها ولا يعرف أثره إلا بمقارنتها مع الجماعة الضابطة، ولا يتضح أثر العامل التجريبي إلا بعد دراسة الجماعتين قبل إدخال العامل التجريبي على الجماعة التجريبية أي بعد تحديد معرفة المستوى الذي عليه الجماعتان قبل تنفيذ التجربة، ثم بعد إدخال المتغير التجريبي يُسجل الباحث كل الملاحظات الجديدة التي شاهدها أو لاحظها.

وإذا تساءل البعض عن الفارق بين المجموعتين: ما هو؟

فإن الإجابة تكون هو العامل التجريبي أو المتغير الذي أُدخل على الجماعة التجريبية.

وإذا تساءل البعض أيضا:

هل يمكن إيجاد جماعتين بشريتين متساويتين في الصفات والظروف؟

نقول:

إنه الأمر الأصعب من أي أمرٍ.

وعليه: نستنتج من ذلك أهمية الجماعة أو المجموعة في دراسة أثر العوامل التجريبية ونستنتج في الوقت ذاته صعوبة عدم موضوعية دراسة الجماعة أو المجموعتين بالعوامل التجريبية.

3 . الجماعة المناوبة: وهي الجماعة المشتركة في التجربة ويتم إدخال متغير أو متغيرات عليها فتكون ضابطة لبعضها وتجريبية في وقت واحد مع اختلاف زمن إدخال المتغيرات. ولإجراء تجربة المناوبة يمكن إدخال جماعتين أو أكثر في

التجربة وذلك بعد توفير شروط إجراء التجربة من حيث المعطيات والصفات الأساسية للجماعات المستهدفة بالتجريب.

ثم يبدأ البحث التجريبي بالتوالي على الجماعات التي تم اختيارها للتجريب من قبل الباحث وذلك بإدخال العامل التجريبي على كل جماعة بعد الأخرى، وتكون كل جماعة تجريبية حين إدخال العامل التجريبي عليها ضابطة لغيرها من المجموعات الأخرى بعد انتهاء زمن التجريب وتسجيل أثر المتغير أولا بأول، فإذا كانت الجماعات التجريبية مكونة من ثلاثة مجموعات (أ ، ب ، ج) تكون المجموعة (أ) تجريبية عند إدخال المتغير التجريبي عليها وبعد إدخال المتغير التجريبي على المجموعة (ب) تكون المجموعة (أ) ضابطة للمجموعة (ب)، وعند إدخال العامل التجريبي على المجموعة (ج) تكون المجموعتان (أ ، ب) ضابطتين للمجموعة (ج) التي لا زالت تحت أثر العامل التجريبي، وهكذا تتم التجربة بالتناوب على كل المجموعات المستهدفة بالبحث وليس في وقت واحد. وهكذا يتحدد نوع الجماعة بأنها ضابطة أو تجريبية حسب إدخال العامل التجريبي وحسب مراحل البحث وفترة المناوبة على كل متغير.

وهذه الجماعات المناوبة يمكن أن تستهدف في بحث أثر أكثر من متغير مع مراعاة زمن إدخال كل متغير وقياس أثر المتغير السابق والمتغير اللاحق على كل جماعة.

ولكن عندما تكون الجماعات المدروسة أكثر من جماعتين فإن قياس أثر المتغيرات قد يؤثر ويختلف من جماعة لأخرى من الجماعات المستهدفة بالتجريب خاصة إذا كررنا العامل التجريبي بفارق زمني يكون له حسابه بين أول جماعة تجريبية وآخر جماعة تجريبية لأن لكل متغير أثر مباشر وغير مباشر حسب الفروق الفردية التي لا يمكن أن يتساوى فيها الأفراد والجماعات مهما عملنا من حيطة وحذر.

إن البحوث التجريبية في الزمن الحاضر، لم تكن ناتجة عن فراغ فكري لحظة أو زمن ظهورها، أو أنها ناتجة عن المادة المتكونة من الهيولي والصورة، بل إن زمن المشاهدة والملاحظة والإطلاع على المكتوب أو الموثَّق هو نقطة الانطلاق

في الزمنين (الماضي، والمستقبل) لاستكمال المعلومات وإثراء الأفكار مما يجعلنا نقول أن التجريب لم يكن منطلقا من فراغ لا مصدر له، أو أنه لم يستند على معطيات؛ ونتيجة لوحدة الزمن فإنه كفيل بإثبات أو بطلان صحة ما يطلع عليه، فباستخدام الحواس في الزمن المضارع تتم رؤية الماضي، والمستقبل، وتتكرر الصور أو يكتشف الجديد، مع أنه كامن في معطيات سابقة.

فإذا نظرنا إلى شجرة التفاح الصغيرة نرى في الزمن الحاضر (زمن المشاهدة) ثمارها حتى وإن لم تكن في ذلك الوقت مثمرة، وهذا هو مستقبل الشجرة في الذهن العاقل الذي يستقراء ويستنبط ويُدرك. ونرى في نفس الوقت أنها كانت برعما أو بذرة وهذا هو ماضيها.

ولهذا نقول:

إن الاعتماد على الحاضر المشاهد في الزمن المضارع بمنعزل عن الزمنين الهامين (الماضي، والمستقبل) لا يؤدي إلى التعمير، والإنتاج، والتواصل، والتجديد، والتطور وصناعة المستقبل، فالبشر لو لم يتذوقوا طعم التفاح وفوائده ما دعتهم أفكارهم إلى ضرورة الاستمرار في غرسه في الزمن الحاضر ليؤكل منه في الزمن المتوقع (المستقبل).

عيوب التجريب في العلوم الاجتماعية :

إن النتائج المتوصل إليها من خلال الجماعات التجريبية والضابطة يصعب تكرارها بنفس الدرجة والدقة مثلما يحدث في العلوم الطبيعية .

إنه من الصعب إخضاع الإنسان إلى التجريب المعملي أو ألمختبري نظرا لأهميته.

عدم توفير الأجهزة والأدوات الدقيقة التي تمكننا من قياس أثر المتغير التجريبي بين الجماعات التجريبية والضابطة. وما هو مستعمل الآن في قياسات العلوم الاجتماعية والإنسانية يتأثر سلبا وإيجابا باستجابات المبحوث التي تتغير من وقت إلى أخر في حالة تكرار التجريب.

إن الاعتماد على المشاهدة والملاحظة في العلوم الاجتماعية لم يكن ناجحا دائما لأن المشاعر، والعواطف، والحب، والكراهية، والحنان، والتناغم الوجداني من

الصعب أن تتم رؤيته أو إخضاعه للمشاهدة، وبما أن الإنسان متكون من كل وهذا وأكثر ، وبما أن كل هذا لا يمكن مشاهدته وملاحظته إذاً لا يمكن الاعتماد على وسيلة المشاهدة وأحكامها في دراسة الإنسان كجوهر (على محتوى أو مضمون داخلي).

من الصعب التحكم في أثر المتغير بنفس الدرجة على الأفراد أو المجموعات التجريبية، لأن تفاعل الأفراد أو استجاباتهم مع أي عامل تجريبي قد تتأثر بالفروق الفردية، وبالخلفية الثقافية أو الاجتماعية، أو العاطفية للفرد والجماعة والمجتمع.

أخطاء التحيز: والذي يحدث نتيجة الشخصانية (الأنانية) التي يتأثر بها الباحث تجاه الموضوع أو تجاه الأفراد أو الجماعة المبحوثة، وكذلك أخطاء تحيز المبحوثين إذا عرفوا بأن هناك عائدا نافعا عليهم إذا نجحت التجربة مما يجعل الجماعة التي تحت التجربة متصنِّعة السلوك، وفي هذه الحالة يكون السلوك غير طبيعي ، وتجربة غير طبيعية مع إنسان طبيعي.

إذا تعمَّد الباحث تفسير المعلومات سيجد بحثه خاليا من الحقائق وذلك لأن الحقائق لا يتم التوصل إليها بتحليل المعلومات بل يتم التوصل إليها بتحليل النتائج.

إذا فطن المبحوث بأنه مشاهد أو ملاحظ أو أنه تحت الدراسة فقد يتصنَّع سلوكا ليس بالطبيعي كما لو لم يفطن تجاه ذلك.

الفصل الرابع
طريقة دراسة الحالة

طريقة دراسة الحالة:

أنها الطريقة العلمية المتبعة في دراسة الحالات الفردية والجماعية والمجتمعية، وهي التي تهتم بالبحث في أعماق الظواهر الاجتماعية التي تظهر في كل وقت من الأوقات، وهي الطريقة التي تولي اهتماما خاصا بتشخيص كل حالة من الحالات المبحوثة والمدروسة، ولذا يركز التشخيص على المعلومة وتحليلها مع مقابلة الحالة أو عناصر الحالة لأجراء التشخيص مباشرة على الحالة ومن يعاني من تأزماتها.

وقد تكون الحالة موضوع البحث والدراسة خيرة، من أجل أخذ العبرة منها واستنباط المبادئ التربوية والاجتماعية التي تُسهم في تنظيم المجتمع وبناء شخصيته المتكاملة؛ وقد تكون شريرة مما يجعل التركيز عليها والاهتمام بها مسألة ضرورية من أجل إصلاح العناصر التي انعكست الحالة في سلوكهم المرفوض اجتماعيا. ولهذا فالحالة كما عرَّفها اللغويون هي: "ما عليه الإنسان من خير وشر يقال حال وحالة"[27].

إذن طريقة دراسة الحالة لم تقتصر على دراسة الحالات المشينة أو السيئة فقط بل كذلك تهتم بدراسة الحالات ذات المضمون الإيجابي الذي هو الآخر يؤدي إلى بلوغ نتائج جليلة تفيد الفرد والأسرة والمجتمع.

والحالة الفردية هي سيرة متكاملة ومتلاحقة يمكن التعرف عليها من خلال مراجعتها وتتبع مراحل تطورها أو تعقدها، وتحديد عناصر القوة والضعف من خلال معرفة مضمونها والمنظومة القيمية والأخلاقية التي انتظمت عليها، وأظهرتها إلى مستوى الحالة الخيرة أو الشريرة.

---

[27] شرح أبن عقيل: الجزء الأول، المكتبة المصرية، بيروت: 1988، ص 568.

ومع أن الله تعالى قد خلق الإنسان في أحسن تقويم إلا أن البعض بأسباب وعلل تستوجب البحث والدراسة ارتد عن طبيعة خلقه وعن الفضائل والقيم الحميدة التي ينتظم المجتمع عليها، وارتضى أن يكون في أسفل السافلين.

وبما أن خلق الإنسان هو حُسن التقويم فلماذا إذاً لم يحافظ على حُسن تقويمه؟ بالتأكيد مجموعة أسباب وعلل تتداخل في حالته لتدفعه بعد ضعفٍ إلى مواطن الفساد والدونية، ومن بين هذه العلل الطمع فيما ليس له حق فيه، وكذلك الحاجة وشدة ضغوطها، والجهل بالأمر (أي أمر)، والانقياد إلى الرغبة والشهوة، وسوء التربية، والتشويش من قبل الغير، والانحرافات السياسية والاقتصادية في البلد، وضعف المناهج والمقررات التعليمية وغفلتها عن الرعاية والوقاية والتوجيه والإرشاد.

ولذا أهتم الأخصائيون الاجتماعيون كثيرا بدراسة حالات الأفراد من أجل إعادتهم إلى سماحة المجتمع التي تستوعبهم أفرادا وجماعاتا فاعلين، ولأجل إخراجهم من المستويات السفلة التي ارتضوا الركون إليها ثمَّ الارتقاء بهم إلى المستويات العليا التي تُحدث لهم النُقلة إلى المستقبل الأفضل. ولهذا فإن باب التوبة مفتوح للذي خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان مُعرَّض للإصابة البدنية والإصابة النفسية والصحية، وفي كل الحالات هو مُعرَّض، مما يستوجب رعايته والعناية به، فكانت مهنة الخدمة الاجتماعية مهنة سبَّاقة في خوض هذا المجال بمهنية وتفنن، بهما تدرس الحالة وتستوعب عناصرها سوا أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا. مهنة تأسست على قاعدة: (ليس عيبا أن يغفر المجتمع لأفراده أخطائهم، وليس عيبا على الأفراد أن يكفِّروا عن سيئاتهم). قال تعالى: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[28]، وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[29].

---

[28] المائدة 39.

[29] الأنعام 54.

هذه سُنَّة الحياة الله تعالى هو الغفور الرحيم، فلماذا لا يكون العباد على هذه السُنَّة الحميدة يغفرون ويتراحمون؟

ولأن الله الذي خلقنا جميعا قادرا على أن يغفر الذنوب جميعا فما بالك نحن الذين نخطأ ونصيب، ولِما لا نغفر لمن يهتدي إلى الحق، قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}[30].

فمهنة الخدمة الاجتماعية تؤمن بأن الإنسان لا ييأس ولا يقنط حتى وإن وقع تحت ظروف قد جعلته منحرفا لأن الاستسلام لظروف الحالة هو نتيجة ضعف الإيمان بإمكانية الإصلاح والعلاج الذي بأسبابه تتغير الأحوال من سيئة إلى حسنة، وكثيرا من الذين انحرفوا انحرفوا عن انحرافاتهم إلى الطريق القويم وأصبحوا من المفلحين مصداقا لقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}[31].

ولأن الله تعالى خلق كل فردٍ فرداً بذاته، إذا الله جعل لكل فردٍ خصوصية بها يتميَّز عن غيره ولو كان توأمه، لهذا توجهَّت مهنة الخدمة الاجتماعية إلى دراسات الحالات الفردية حالة حالة، وهي متيقِّنة أن لكلٍ خصوصيته من حيث المشاعر والأحاسيس والقدرات والمهارات والخبرات والاستعدادات ومن حيث أثر التعلم والتعليم والثقافة والدين والعرف والقيم والفكر والمعلومة. مما يتطلب عدم التعميم، أي أن أخطاء كثيرة وغير مفيدة وقد تكون ضارة إن تم تعميم الخصوصيات على الآخرين أو تقييمهم وفقا لمعطياتها.

إذاً ينبغي مراعاة خصوصية الفرد أو الجماعة، أو المجتمع نتيجة وجود فروق فردية، بأسباب القدرات والاستعدادات والأحاسيس والمشاعر والأديان والأعراف والقيم والثقافات والتعاليم التي تختلف من شخص إلى آخر، وبالتالي لا يجب إغفالها. فقد تكون المشكلة واحدة، كأن تكون سرقة، ألتي قد يشترك أفراد كثيرون في ارتكابها، لكن الأسباب التي دعت للسرقة ليس بالضرورة أن تكون واحدة، بل هي تختلف من فردٍ إلى فردٍ آخر، مما يجعل دراسة حالة كل فرد تختلف عن

---

[30] طه ، الآية 82 .

[31] القصص ، الآية 67 .

حالة الآخر، ولهذا فإن دراسة كل حالة تتطلب معلومات وافية عن كل حالة، وكذلك تتطلب تحليلا موضوعيا لمتغيرات كل حالة من الحالات المدروسة والمبحوثة، ثم تشخيصا وافيا للحالة مباشرة، أي أن التحليل دائما للمعلومات التي لا تتطلب بالضرورة أن يكون الفرد حاضرا أمام الباحث، والتشخيص دائما للحالة من خلال مقابلات مباشرة مع الفرد أو الأفراد ذوي العلاقة بالحالة قيد البحث والدراسة.

طريقة دراسة الحالة لا تتوقف عند حد تجميع البيانات والمعلومات وإبداء المقترحات أو التوصيات التي قد يؤخذ بها وقد لا يؤخذ، بل هي طريقة تستهدف الإصلاح والعلاج بما تستند عليه من تعمُّق وتتبع أثناء البحث وبما يظهره من حلول ومعالجات.

والإصلاح ليس هو تقديم المساعدة، تقديم المساعدة هو من صميم عمل المؤسسة أو الجهة المسؤولة، ولتبيان ذلك نفترض أننا سندرس حالة مجتمع طبقي وليكن هذا المجتمع مسلما باعتبار أن موضوعه يحتوي على عناصر الإصلاح فيه، فتكون الزكاة هي الوسيلة الإصلاحية، ولم تكن من أجل استمرار الحاجة وتقديم المساعدة، وإذا تساءل البعض:

لماذا؟

يجاب عليهم بأنها الحق المعلوم، وبما أنها الحق المعلوم فهي لم تكن مساعدة أو منة من أحد، ولذا فهي ركنا من أركان رسالة الإسلام الحنيف، فإذا أنهدَّ هذا الركن أختل التنظيم الاجتماعي السليم وأصبحت حالة المجتمع تحتاج إلى دراسة وتحليل وتشخيص وعلاج.

يتضح من الفقرة السابقة أهمية فلسفة الزكاة، ولكن إذا تساءل آخرون:

لماذا لم يتحقق الإصلاح مع وجود فريضة الزكاة؟

نقول:

لم يتحقق ذلك نتيجة عدم الالتزام بإعطائها، فلو ألتزم المسلمون بإخراج الزكاة من بداية ظهور إسلامهم لما وُجِدَ بينهم فقير وغني، بل يكون المجتمع الإسلامي مجتمع المساواة التي تستهدفه فلسفة الإصلاح الاجتماعي التي نحن بصدد

الكتابة عنها في طريقة دراسة الحالة، لأن الإصلاح علاج لِما أعطبه الدهر ظلما، أما المساعدة فهي التلفيق المؤقت الذي أهلك المدن والقرى عبر التاريخ، قال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[32].

ولذا فالإصلاح يؤدي إلى الاعتماد على النفس، أمَّا المساعدة فتؤدي إلى الاعتماد على الغير.

وعليه، فطريقة دراسة الحالة تعتمد البدء مع الحالات الفردية من حيث هم، وكما هم عليه، وذلك لأجل بلوغ ما ينبغي أن يكونوا عليه وهو الأفضل والأحسن والأجود.

وبما أنَّ الباحث يود أن يكون المبحوث أو المدروس حالته متعاونا، إذا ليس له بدا إلا أن يبدأ معه من حيث هو، حتى يحس بأهميته من خلال مراعاة الباحث أو الأخصائي الاجتماعي لظروفه الخاصة التي أوقعته في الانحراف إن كان من المنحرفين.

وفي دراسة الحالات ينبغي أن يكون الباحث أو الأخصائي الاجتماعي فطنا ومتيقظا حتى لا يقع في الفخ الذي ينصبه له أولئك الذين انحرفوا ذكاءً في غير محله، فهؤلاء بذكائهم قد يقعوا البحث فيما يبعده عن نواميس المهنة وأصولها وأخلاقياتها التي تستوجب من الباحث أن يكون فطنا بما حوله من مظاهر وسلوكيات وأساليب التوائية قد ينتهجها المنحرفون أثناء إجراء عمليات الدراسة معهم.

وأن يكون مرنا في تعامله مع المبحوثين والعملاء مستوعبا لهم ولما يعانونه من هموم، فلا يستخدم معهم كلمات قد تؤدي بهم إلى التخندق حول أنفسهم، كأن يقول لهم إنكم مخطئون أو منحرفون أو سُرَّاق وغيرها من الجمل التي تجعل الباحث وكأنه طرفا وخصما. فالأخصائي الاجتماعي والباحث الماهر يعرف أن هذه الصفات لم يلد الإنسان بها ولم يُخلق عليها، ولكن عندما تحدث يكون من ورائها أسباب كثيرة تستوجب البحث من أجل الإصلاح والعلاج وإحداث النقلة إلى الأجود النافع.

---

[32] هود ، لآية 117 .

إذاً من البداية ينبغي أن تكون المعاملة المهنية بين الباحث والمبحوث علمية وإنسانية وفنية من حيث التعامل والانتباه لكل المتغيرات التي قد تظهر أثناء الدراسة وتجميع المعلومات عن الحالة .

وهذا الأمر يستوجب مراعاة مستويات المبحوثين أو المدروسين العقلية، والصحية والاجتماعية والتعليمية، والاقتصادية لكي تكون نقاط انطلاق في اتجاه إصلاح الحالة وعلاجها.

تهتم طريقة دراسة الحالة بتثبيت الإرادة، التي تعتبر هي القوة الدافعة للفعل أو السلوك المرتكب الذي قد يكون ايجابيا أو يكون سلبيا، مما يجعلنا نقول أنه ليس كل فعل مرتكب بإرادة حرة يعبر عن أعمال خيِّرة، فالفرد قد ينحرف بإرادته وقد ينحرف بمؤثرات خارجية؛ ومع ذلك حتى ما يرتكبه الفرد في يوم من الأيام قد يأتي يوما آخر فينكره، وهذه ميزة بها يتراجع الفرد عمَّا ارتكب أو اقترف، وفي مثل هذا الأمر يقول اوتورانك Otto Rank : "أن كل إنسان يريد وفي نفس الوقت ينكر ما يريد لأنه ثمة شعور بالذنب يصاحب الإرادة عادة"[33].

ومع أن الإرادة كما عرفها العلماء السوفيت هي : "التصميم الواعي للشخص على تنفيذ فعل معين أو أفعال معينة"[34]. وبرغم أنها التصميم الواعي لارتكاب الأفعال، إلا أن إنكارها في ظروف معينة يمكن تحقيقه بإرادة صاحب الإرادة، (الفرد المرتكب للفعل).

وعليه في الوقت الذي ينبغي فيه مراعاة إرادة المبحوث أو المبحوثين عند دراسة الحالات، وخاصة ذات التأثير السالب على حياة الفرد، أو المحيط الاجتماعي له، في الوقت ذاته على الباحث أو الباحثين العمل على تهذيب إرادة المبحوث سواء أكان فردا، أو اثنين، أو أكثر، فتهذيب الإرادة يؤدي إلى التطابق بين ارتكاب الفعل وبين الاعتراف به، ولذا فإن تهذيب الإرادة يؤدي إلى تصحيح

---

[33] محمود حسن : مقدمة الخدمة الاجتماعية . بيروت : دار النهضة العربية ، ص 143 .

[34] الموسوعة الفلسفية : وضع لجنة من العلماء الأكاديميين السوفيتيين ، إشراف : م . روزنتال ، ب . يودين . " ترجمة سمير كرم بيروت : دار الطليعة ، الطبعة الخامسة ، 1985 ، ص 17 .

السلوك. ولهذا الاعتراف بالفعل لم يكن إدانة في العلوم الاجتماعية والنفسية مع أنه إدانة قانونية.

وعليه تُعتبر مهام البحَّاث والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين إنسانية، غايتهم الإصلاح وليس العقاب، فالمبحوث أو العميل عندما يعي بحاله وبمخالفته للفضائل والقيم الحميدة التي ينتظم مجتمعه عليها يستجيب للإصلاح والعلاج المستهدف من قبل الباحث. ولهذا من المهم أن يُشرِك الأخصائي الاجتماعي المبحوث في تشخيص حالته ليكون متقبلاً من بعده لِما يؤدي إلى الإصلاح والعلاج.

يراعي في دارسة الحالة تداخل الإرادة مع بناء الذات المتكون من قيم المجتمع وتاريخه المنعكس على شخصية الفرد.

تعتبر الذات قيما يتشربها الفرد وقد يتميز بها، وهي ليست الشخصانية الفردية كما يعتقد البعض، بل أن الذاتية هي المتكونة من ثقافة المجتمع ودينه وأعرافه وقيمه وفضائله.

ولهذا إذا ضعف البناء الاجتماعي والتربية الاجتماعية ضعف الذات عند الأفراد والجماعات، وإذا ضعفت الذات ضعف الانتماء الودي مع المجتمع (مع متطلباته وأوامره ونواهيه) فتكون العلاقة الفردية مع المجتمع علاقة نفعية وليست علاقة قيم وأخلاق مما يؤدي إلى الانحراف المتحقق من الانسلاخ عن الذات والتمسك بالأنا التي تمركز كل شيء عليها ولا ترتضيه للآخرين، ولنا وجهة نظر بأن الأنا تختلف عن الذات ، فالأنا شخصانية، أما الذات فاجتماعية والأنا فردية والذات عامة، ولقد فكينا هذه الملابسات الكثيرة في كتابنا (خماسي تحليل القيم).

ولكي تستمر الذات قوية في تكوين الأفراد ينبغي العمل على ديمومة العلاقات الاجتماعية في الاتجاه الموجب، وإذا حسَّ الفرد بتلك الأهمية أزداد تمسكا بها، وإذا أزداد تمسكا بها دامت حالته الخيرة في اتجاه المحافظة على سلامة الذات التي تتطلب وضوح المبادئ ووضوح الأهداف، وهكذا يتحقق العلاج ويستمر. ولكن إذا ارتبط الإصلاح بالماديات فإنه قد ينعكس بانتهاء المصلحة المادية ولا يكتسب صفة الديمومة، أما إذا ارتبط بقيم خيرة تتعلق بالفرد والمجتمع الذي

ينتمي إليه يكون للإصلاح صفة الديمومة مادامت القيم والفضائل بين الناس أفرادا وجماعات ومجتمعات.

إن بناء وتحقيق الإرادة، وديمومة الإصلاح لا يتحققان إلا بوجود تفاعل مسبق يتم بين الباحث والمبحوث ثم بين المبحوث والموضوع لأن التفاعل هو الذي يحقق التفاهم ويؤدي إلى التفهُّم. فبدون تفاهم وتفهُّم لا تبني الذات، ولا تتحقق الإرادة ، ولا يتم الإصلاح والعلاج.

ولا ننسى دور الخبرة في دارسة الحالة التي بها يتم استيعاب المبحوث وموضوعه الذي فيه تكمن الظروف والسباب، فالخبرة يتم تقبل المبحوث كما هود، والعمل على إصلاح حالته وعلاجه من همومها، والوصول به إلى ما ينبغي أن يكون عليه، مع فتح آفاق المستقبل أمامه حتى تتحقق له النقلة من الحالة السابقة إلى المستقبل الأفضل.

تشخيص الحالة:

التشخيص: diagnosis عملية مهنية يتم من خلاله مقارنة النتائج المبدئية التي وصل إليها البحاث أو الأخصائيون الاجتماعيون أو الطبيب من عملية تحليل المعلومات ومقارنتها مع واقع شخصية العميل والحالة التي يعاني منها، حتى يتمكَّن الأخصائي الاجتماعي من معرفة المستوى القيمي الذي عليه حالة العميل ليعمل على عودته إلى القواعد القيمية المعتمدة من المجتمع ومن ثم دفعه إلى ما يحقق له النقلة. ولا تتم عملية التشخيص على الإطلاق بتغييب العميل أو من يتعلق الأمر به كما هو حال عملية التحليل التي لا ضرورة لها في ذلك.

وتُنسب عملية التشخيص إلى شخوص العميل وتواجده أمام الأخصائي الاجتماعي ومشاركته له في هذه العملية.

والفرق كبير بين عمليتي التحليل الذي يتمركز على تحليل المعلومات وبين التشخيص الذي يتمركز على شخصية العميل مباشرة وعلاقته بالمعلومات المحللة.

وعليه لا يمكن أن يكون التحليل هو التشخيص، مما جعلنا نقول: التحليل للمعلومات، والتشخيص للحالة التي عليها المبحوث أو العميل، ولهذا فحالة

العميل في مهنة الخدمة الاجتماعية مثل حالة المريض في مهنة الطب، الذي هو الآخر يتعرض للتحليل والتشخيص وإلا لن يتحقق له العلاج المناسب الذي يُسهم في شفائه، فالمريض بعد أن يقابله الطبيب يطلب منه مجموعة من العينات لأجل إخضاعها للتحليل المعملي أو ألمختبري، وبعد ظهور النتائج يأتي إليه الطبيب وهو في سريره العلاجي ليشخِّص حالته وفقا لما توصَّل إليه من نتائج إن أظهرت للطبيب شيئا يعتد به، وإن لم تُظهر النتائج شيئا يستأنس به الطبيب للعلاج قد يأخذ منه مجموعة من العينات الأخرى وفقا لفرضية لدى الطبيب ويحيلها كما أحال العينات الأولى إلى المعمل أو المختبر لأجراء عمليات التحليل بعيدا عن وجود المريض، وبعد خروج نتائج التحليل يأتي الطبيب ثانية إلى المريض ليشخِّص حالته وفقا لما توفَّر لديه من نتائج معملية أو مختبرية، فإن لم يتبِّن له شيئا يستدل به على الحالة المرضية قد يحيل المريض إلى طبيبا آخر في تخصص آخر، ليستكمل عمليات التحليل ومن ثم التشخيص، وهكذا الحال في مهنة الخدمة الاجتماعية التي تستوجب تحليل المعلومات وتشخيص حالة العميل.

إذا الحالة تتطلب الآتي:

. تجميع المعلومات.

. تحليل المعلومات.

. تشخيص الحالة مباشرة مع وجود العميل أو المريض.

. تحديد العلاج.

. وصف الدواء من قبل الطبيب إن كانت الحالة حالة مرض بدني أو نفسي.

أهمية دراسة الحالة:

إنها تستوعب الموضوع بوضوح من خلال تناوله بشكل متكامل تتضح فيه الأسباب والعلل، والمتغيرات المتداخلة والمستقلة والمتداخلة والدخيلة، التي أظهرت الحالة قيد البحث والدراسة، وبطريقة دراسة الحالة يتيسر التشخيص العلمي والمهني الذي يؤدي إلى إصلاح ومعالجات موضوعية.

ـ دراسة الحالة تُمكِّن من العودة إلى ماضي العميل أو المبحوث وتُمكِّن من الوقوف على العلل والأسباب والمعطيات التي يحتويها، وهي المؤثر الأساسي في إظهار الحالة قيد البحث والدراسة، وكذلك تُمكِّن من رسم خطط واستراتيجيات لأحداث النُقله في حياة المبحوثين.

. إنها تهتم بدارسة السلوك والعمل على تقيم انحرافاته.

إنها تُلفت الانتباه إلى حالات الذين فشلوا كما تُلفت الانتباه إلى حالات الذين نجحوا في حياتهم بشكل مقارن وذلك لتبيان أسباب النجاح، والتأكيد على أهميتها، والعمل على تعميمها لتعم الفائدة، والتمسك بها في بناء الشخصية المتفاعلة، وكذلك لتبيان أسباب الفشل لأجل الحياد عنها، وتفادي تكرارها، والقضاء على عللها وأسبابها.

إنها تُمكِّن المجتمع من الاهتمام بأفراده، وجماعاته بتطبيق الإصلاحات المتوصل إليها عن طريق الدراسة، والتشخيص والعلاج.

تُمكِّن من إزالة المخاوف من المبحوث من خلال تقبله (هو كما هو) وتقبل التعامل مع حالته وبما فيها من إشكاليات أو صعاب.

ـ تُمكن من تفهُّم حالة المبحوث وتفهُّم الظروف التي ألمت به وجعلته بين الجدران نزيلا بمؤسسة من مؤسسات الإصلاح.

ـ إنها تحقق للمبحوث أو العميل التنفيس الوجداني بإجراء مقابلات مهنية تُجرى من قبل بحاثة وأخصائيين مهره يعتمدون على مبادئ مهنية ويسعون إلى إنجاز أهداف إنسانية سامية.

. تُعد أفضل الطرق البحثية المُمكِّنة من التعرف على المبحوث مباشرة عن طريق إجراء مقابلات متخصصة بمهارة وفن راقيين.

. تُمكِّن من تكوين علاقات مهنية مع المبحوثين بها يتم تخفيف التوتر من خلال الإنصات والانتباه إلى المبحوثين أو العملاء، خاصة عندما يُعطى العميل حرية التحدث والتعبير عن حالته حتى يتمكن من إظهار ما يكنَّه في أحاسيسه ومشاعره ووجدانه تجاه حالته وظروفه وكذلك اتجاه المجتمع الذي ينتمي إليه.

أهداف دراسة الحالة:

تفهُّم الموضوع وآثاره السلبية أو الإيجابية على العناصر المتأثرة به.
معرفة موقف الأفراد والجماعات من الموضوع .
تبصير المبحوثين إلى ذاتهم ومستقبلهم.
تحديد كل العوامل والعناصر المؤثرة والمتأثرة بالموضوع، والكشف عن الأسباب المتداخلة في الحالة المدروسة أو المبحوثة وإيجاد حلول لها.
معرفة الجوهر من خلال ملاحظة ما يحدث من سلوك أو فعل.
إشراك المبحوث في التعرف على حالته وتوليد الرغبة لديه بما يحفِّزه للبحث عن حلول.
الإصلاح والعلاج وليس المساعدة.
مصادر دراسة الحالة:
تنقسم مصادر إلى مصادر بشرية، ومصادر مكتوبة.
المصادر البشرية:
وهم المستهدفون بالدراسة سواء أكانوا على علاقة مباشرة بالموضوع، أم أكانوا على علاقة بالشخص المرتكب للفعل، فقد يكون المصدر فردا، أو اثنين، أو أسرة، أو الرفاق، أو الجيران، أو الطبيب، والمحامي، والمدرس. وقد يكونوا جميعا مصادر للدراسة، وخاصة إذا كانت الحالة سرقة، وأن السارق يقرأ ويعمل في وقت واحد، وأن له قضية تتابعه، وأننا نحتاج إلى معرفة التشويهات والإعاقات التي يعاني منها إن كان معاقا مما يستوجب مقابلة بعض أفراد أسرته، ورفاقه سواء في المدرسة أو في العمل، وجيرانه، ومدرسية، والطبيب المختص، والمحامي الذي يتابع قضيته وهكذا تستمر الدراسة وتتسع كي لا تغفل عن متغيرٍ من المتغيرات ذات العلاقة بالحالة أو العميل.
المصادر المكتوبة:
وهي الدلائل المثبتة للحقائق، والشواهد الدالة على أفعال أو نوايا يمكن القيام بها، وهذه المصادر تشمل الوثائق العامة والخاصة، والشهائد والتقارير المعتمدة، والسير الخاصة، والمذكرات الخاصة وهذه المصادر قد تكون من جهات رسمية وبالتالي يستوجب اعتمادها حتى لا يحدث التزوير، وقد تكون شخصية وتُقبل

كمـا هـي، علـى أن تتعـرض للنقـد الـداخلي، والنقـد الخـارجي مـن أجـل سـلامة محتوياتها والتفسيرات المترتبة عليها.

وسائل دراسة الحالة:

تعتمـد دراســة الحالــة علــى أهـم الوســائل العلميــة فــي تجميــع وتحليـل المعلومات والبيانات، وهي:

1 . المقابلة: التي تُمكِّن الباحث من عرض أسئلته، واستفساراته للمبحوث عن كل ما يتعلق به شخصيا وكذلك عن الموضوع المتعلق به، ثم الاستماع والإنصات لما يقوله أو يفعله المبحوث، وتُمكِّن المقابلة من التثبت من مصداقية الوثائق من عدمه.

2 . الملاحظـة: التـي بهـا يتمكّن الباحث أو الأخصـائي الاجتمـاعي والنفسـي من متابعـة القولِ والفعلِ والعملِ وكل مسموع ومشاهد من قبل المبحوث أو العميل فبها تتم ملاحظـة ردود أفعال المبحوث تجاه كل سؤال أو استفسار يوجِهه إليه الباحث أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي.

3 . المشـاهدة العلميـة سـواء عـن قـرب مباشـر، أو غيـر مباشـر وأعنـي بـالقرب المباشر هو الدور الـذي يقـوم بـه الباحـث المشـاهد ويعرفـه المبحـوث، أمـا بـالقرب غيـر المباشـر فهـو مـا لـم يعرفـه المبحـوث ويقـوم بـه الباحـث مـن خـلال اشـتراك المبحـوث سـواء أكـان فـردا أم أكثـر فـي مناشـط أو أعمـال لمعرفـة التغيـرات التـي تحدث على سلوكه في وسط جماعة .

4 . التصـنيف القيمـي: الذي به يتمكّن الباحث من معرفة وتحديد المستوي القيمـي الـذي عليـه المبحـوث، فلكـي يتمكَّن الباحـث مـن البـدء مـع العميـل مـن حيـث هـو عليه بإخضاع العميل للبحث والدراسة بأحد التصانيف القيمية التي بها يتم تحديد المستوي القيمي الذي عليه العميل ومن ثم يستطيع البحث والبدء مع العميل من المستوى الـذي هـو عليـه لأجـل أن يُحـدث لـه النُقلـة إلـى المستوى الأفضـل الـذي يُمكِّنه من المشاركة في صناعة المستقبل للمجتمع.

5 . الاسـتبيان: وهـو مجمـوع الأسـئلة المحـددة وفقـا لأهـداف الدراسـة وفروضـها العلميـة، لأجل استيضـاح حالـة العميل أو المبحـوث، وقد يكون الاستبيان مكتوبـا

ويوزع على المبحوثين وقد يتم وهو الأفضل عند دراسة الحالات بمصاحبة المقابلة، حيث أن بعض المبحوثين لا يجيدون القراءة والكتابة مما يجعلهم في حاجة لمن يساعدهم في قراءتها وملء الاستمارة التي تصاحبها كثيرا من العيوب إن لم تكن مصاحبة للمقابلة.

وكثيرا ما تتداخل هذه الوسائل في دراسة حالة واحدة سواء أكانت فردية أم جماعية أم مجتمعة وذلك حسب متطلبات الموضوع، والظروف الزماني والمكاني للحالة وخصوصيتها.

أنواع دراسة الحالة:

تنقسم دراسة الحالة إلى أربعة أنواع سواء من حيث المجال البشري أو من حيث الموضوع، وتشمل كل حالة على جوانب إيجابية وجوانب سلبية وفقا للآتي:

أولا- من حيث المجال البشري: ويقصد به عدد الأفراد المشتركين في الحالة ، فقد يكون فردا واحدا، أو اثنان، أو جماعة، وقد يكون مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما.

ثانيا- من حيث الموضوع: وتنقسم إلى أربعة أنواع هي:

1- حالة فردية: وهي الحالة التي تخص شخصا واحدا ولم تكن مُركَّبة بتداخلها أو اشتراكها مع حالات أفراد آخرين، وتنقسم إلى جزأين:

أ- حالات فردية سالبة: مثل حالة الانتحار، وحالة التزوير، أو السرقة ، أو أي نوع من أنواع الانحراف الشاذ.

ب- حالات فردية موجبة: مثل حالة الجهاد، وحالة الفوز العلمي أو الرياضي أو الفني.

2- حالات ثنائية: وهي الحالات التي تشترك فيها عناصر الوجود الحي مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[35]، ومع أن هذه الآية تدل على الذكر والأنثى إلا أن الحالات الثنائية لا تقتصر عليهما فقط فقد تكون الحالة بين نوع واحد، وقد تكون بين النوعين. أي قد تكون الحالة بين الزوج وزوجته، أو الصديق وصديقته، وقد تكون بين الأخ وأخيه أو صاحبه، وقد تكون

---

[35] الذاريات ، الآية 49 .

بين الرجال والنساء، أو تكون بين دولة ودولة أخرى، وقد تكون بين أهل ديانتين دينين، هذه وغيرها كثير كلها حالات ثنائية وتنقسم هي الأخرى إلى جزأين:

أ – حالات ثنائية سالبة: مثل حالات الطلاق، والصراع، والاقتتال، والسرقة، وثنائيات أخرى من أنواع الانحراف.

ب – حالات ثنائية موجبة: مثل حالة المودة والمحبة، وحالة الزواج، والانسجام، والتوافق، والاتحاد، والتعاون، والوفاء.

3- حالات جماعية: وهي الحالات التي يتأثر بها أكثر من الاثنين وتعود نتائجها عليهم، فتكون الحالة واحدة والأسباب مختلفة كحالات الدراسة، وحالات الجيرة، والمناشط، والجمعيات، وحالات الرفقة، وحالات العمل. وتنقسم إلى جزأين:

أ-حالات جماعية سالبة: مثل حالة تعاطي المخدرات، وتعاطي المسكرات، والهروب من العمل ومن المدرسة ومن المعسكرات، وجماعات العصابات للسرقة والسطو وغيرها كثير.

ب – حالات جماعية إيجابية: مثل التعاون بين جماعات المناشط الرياضية والفنية والموسيقية والمسرحية والجمالية والكشفية، وحالات التنافس التي تساهم في اكتشاف الموهوبين والمتفوقين والعمل التطوعي الذي يساهم في إصحاح البيئة، وزيادة الإنتاج، وحالات إحياء الأفراح وحالات التآزر في المأتم.

4- حالات مجتمعية: وهي الحالات التي تحدث على مستوى المجتمع المحلي والمجتمع العام كوحدة واحدة وتؤثر على أفراده حسب الموضوع المتعلق بهم في المجالات السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والصحية والفنية والاجتماعية بشكل عام. وتنقسم إلى جزأين:

أ – حالات مجتمعة سالبة: مثل التحزُّب، والتعصُّب، والمجاعة، وتدني المستوى التعليمي والصحي، وتدني مستوى الدخل وكذلك الانحلال.

ب – حالات مجتمعية إيجابية: مثل ممارسة الديمقراطية بإرادة، والحالات التي تؤدي إلى زيادة الدخل العام، وارتفاع المستوى التعليمي والصحي والفني وكذلك حالات التعاون والوحدة.

مميزات دراسة الحالة:

تُمكِّن الباحث من تكوين علاقات مهنية مع المبحوث.

نتائجها لا تعميم على غير مفرداتها البحثية.

تعطي للباحث فرصة للتحقق من المعلومات والبيانات من خلال التتبع والتقصي الدقيق أثناء إجراء المقابلات بأنواعها وتُمكِّن من استخدام وسيلتي المشاهدة والملاحظة كما تُمكِّن من الرجوع إلى الوثائق إثناء تجميع المعلومات وأثناء تحليلها وإثناء التشخيص الموضوعي للحالة.

تعتبر من الأدوات المهمة في دراسة عمليات التغير الاجتماعي وسلوك الأفراد.

تمكن الباحث من دراسة الموضوع دراسة متكاملة مكانا وزمانا وموضوعا.

تعتبر المبحوث شريكا أساسيا مع الباحث في عملية دراسة حالته.

تلتزم بتتبع المبادئ العلمية في التعامل مع الأفراد وحالاتهم الخاصة.

إنها تمتاز بالمرونة في تجميع المعلومات من خلال استعمال وسيلة المقابلة ولا تعتمد على الاستفسارات الجامدة والأسئلة الجاهزة مسبقا قبل التعرف على نوع الحالة ومؤثراتها الأساسية والثانوية.

إنها تُمكِّن الباحث من اختيار المواقف، والنظم، والأشخاص بالتتبع الدقيق للحالات المدروسة.

تُمكِّن الباحث من عدم التسليم لكل ما يشاهد، أو يلاحظ، أو يقال، أو يكتب.

المآخذ على دراسة الحالة:

إنها تحتاج إلى وقت كثير وجهد أكبر.

يصعب عن طريقها دراسة المجتمع كثير العدد إذا استهدفت التشخيص والعلاج واستعملت وسائلها الهامة في تجميع البيانات والمعلومات.

أنها تحتاج إلى خبرة وتدريب فائق لكي تحقق تعاملا ونتائج ناجحة مع الحالات الفردية، والثنائية والجماعية والمجتمعية.

نتيجة الزمن المتعلق بتاريخ الحالة فقد ينسى المبحوث بعض المعلومات، والبيانات المهمة في استكمال دراسة الحالة.

قد يكون المبحوث أصم وأبكم ولا يجيد أو يعرف اللغة الحركية الخاصة بهذه الفئة.

قد تتأثر الحالة بالجوانب الشخصية للباحث كأن يكون الباحث ذكرا والمبحوثة فتاة جميلة أو بالعكس، مما يجعل الحالة معرضة لأن تتأثر بالجوانب العاطفية ويتم إهمال الجانب المهني.

الفصل الخامس

طريقة تحليل المضمون

طريقة تحليل المضمون:

المضمون content مكمن الشيء ومركز اختفائه، وهو الذي يكمن في الكلمة والفكرة والجملة التي ينقلها المحتوى، وفي تكراراتها يتأكد سلبا أو إيجابا، والمضمون الذي يحمله النص كمحتوى هو ما يدور عليه الحديث أو الكلام أو ما يُعبِّر عنه في الخطاب. ولهذا يحمل الكتاب مضمونه في عنوانه، ويحمل الكتاب ما يحتويه في صفحاته، فالمضمون لا يشاهد ولكن يُدرك إدراكا من المشهد والصورة والارتسام والحركة والمعنى والفعل السلوك. ولذا يكمن المضمون في الكلمة والفكرة والموضوع كما يكمن الزيت في حبة الزيتون ويكمن الكائن الحي في الخلية، ويكمن الزبد في اللبن.

ولتحديد المضمون دلالة ومعنى ينبغي تحديد المحتوى حيث هناك من البعض من يظن بأن المضمون هو المحتوى، ولذا نقول:

المضمون شيئا والمحتوى شيئا آخر، فالمضمون كما سبق تحديده، هو الذي يتوحد في الكلمة والجملة الناقلة له مع الفكرة والمحتوى في وقت واحد مثل توحده في رسالة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ملك الروم (اسلم تسلم) هذه الرسالة محتوى متكون من كلمتين، وفي الكلمتين يكمن المضمون، وفيهما تُحمل الفكرة وتتجلى، ولكن ليس دائما يحدث مثل هذا الأمر بل في مُعظمه قد ينتشر المحتوى في خطابه أو نصه الذي فيه يكمن المضمون كما يكمن الزبد في اللبن. فالمضمون يُدرك ويُستنبط ويُستقراء استقراءا حتى يُستدل عليه معرفة. أمَّا المحتوى غير ذلك.

فالمحتوى: content: هو ما يشتمل عليه النص أو الخطاب أو الكتاب أو الموضوع، فمحتوى الكتاب من الغلاف إلى الغلاف، ومحتوى الخطاب أو النص

من أول كلمة قيلت أو كُتبت إلى آخر كلمة قيلت أو كتبت، مما يجعل تحليل المحتوى يتمركز على التكرارات اللفظية للكلمة أو الجملة أو الفكرة أو الموضوع.
والمحتوى غير المضمون فالمضمون هو ما يتمركز عليه المحتوى من فكرة عامة أو أفكار متجزئة، والمحتوى هو ما يمتد بالكلمة من خطاب أو نص حتى يشاهد ويُلحظ، ولذا فالمحتوى بلا مضمون كالحديث بدون معنى والتنظير بدون دلالة.
وعليه: يتكون مصطلح تحليل المضمون من جزأين: الأول هو التحليل، والثاني هو المضمون، وكلمة تحليل تعنى تفحُّص عن وعيا وانتباه يُميِّز بين الدقيق والأدق منه، والمضمون هو المكمن الدلالي الذي تتمركز عليه الفكرة أو القيمة أو النص والخطاب وما يحمله من معنى للمفاهيم التي يتم عرضها أو قولها أو كتابتها، ولذلك فالتحليل العلمي عندما يستهدف الدلالة على وحدة الموضوع، وبؤرة اهتمامه يكون منصبا على المضمون، ويتم التعرف على المضامين من خلال التعرف على محيطها الذي استوعبها، ومن خلال الإطار العام الذي يحتويها، والذي يميزها عن غيرها من المواضيع، وتعتبر المواضيع ذات أهمية إذا كانت لها مضامين، ويعتبر المضمون هو لب المحتوى، وبؤرة اهتمامه، وعلة وجوده؛ ولهذا ينبغي أن يحلل المضمون في إطار محتواه.
في بعض الأحيان يعتمد تحليل المضمون على المعلومات الجاهزة، كالوثائق، والمطبوعات، والخطب، والأحاديث، وفي البعض الآخر يتجاوز ذلك لدراسة الشخصية التي تُمكِّنه من ربط الظاهر بالباطن (القول بالفعل أو بالسلوك والعمل) وكذلك ليربط الثابت بالمتحرك، وهذا الأسلوب هو الذي يجعله طريقة إنتاجية، تكتشف الجديد وتعمل على تطويره، لأن اقتصار البعض له على تحليل المعلومات الجاهزة، دون متابعتها وربطها بالفعل والسلوك، هو الذي يجعل طريقة تحليل المضمون طريقة استهلاكية.
طريقة تحليل المضمون لا تسلم بالمعلومة هكذا وكأنها مطلقة بل تخضعها للاختبار والقياس والتجريب من أجل التأكد من أنها على الصواب أم أنها على غير ذلك، ولذلك فإن اختبار المضمون يتعلق بربط المشاهد بالمجرد (ربط الفعل بالمضمون) لكي يتم الوقوف عند المصادق والحجج المثبتة نظرية أم قانونا، لأن

القول الذي يحمل المضمون فيما يقال قد لا يكون له مصادق، وبالتالي يكون في حالة الشك الفاقد إلى البراهين التي تجعله يقين بالإثبات.

إن الاعتماد على المضمون المكتوب أو المنطوق قد يؤدى إلى نتائج كاذبة، وذلك لتناوله قضايا كاذبة، فالكاتب على سبيل المثال عندما يكتب أو يتحدث عن الإنسان بقوله انه لا يحمل في قلبه إلا حبيبا واحدا، ثم نلاحظ أن هذا الكاتب له أكثر من حبيب، فماذا يعنى قوله السابق؟ إنه يعنى تناقض بين المضمون الذي احتواه النص، وبين الفعل، ولكن كيف نعرف ذلك؟ نعرفه بمقارنة القول مع الفعل والسلوك.

وإذا تساءل أحد:

أيهما أفضل، القول الذي يؤكد على حبيب واحد؟ أم الفعل الذي يخالف ذلك؟

بدون شك الفعل الذي يخالف ذلك أفضل لأن قلب الإنسان لا يمكن أن يقتصر على حبيب واحد، فهو يحب الله، ويحب الأب والأم، والأخت والأخ، والزوجة والأبناء، والأقارب والجيران، والأمة والبلد اللذان ينتمي إليهما، والأصدقاء الذين تربطه بهم مودة، والدين الذي أختاره للعبادة، وإلى الأكثر من ذلك إذا عددنا، ولكن للحب درجات ولا يلتقيان اثنان في درجة واحدة مهما قربا، فمكانة الله في القلب بالنسبة للمسلم لا يزاحمه فيها أحد على الإطلاق، وهكذا مكانة الوطن، ومكانة الأب والأم، والابن ولأخ والزوجة وإلى النهاية، لا يمكن أن يزاحم أحد آخر، وبناء على ذلك يعتبر مضمون النص لا مصادق له، وللفعل مصادق.

ينبغي على الباحث أثناء إقدامه على تحليل المضمون أن يحدد وحدة اهتمامه، الفرد، أو الاثنين، أو الجماعة، أو المجتمع المستهدف بتحليل المضمون، وحسب موضوع البحث أو الدراسة، وقد تكون وحدة الاهتمام جريدة أو مجلة، أو وثيقة،، أو كتاب، وقد تكون حديث أو خطاب، أو مذكرات خاصة، أو عامة، ولهذا يتعلق التحليل بمضمون المصادر الجاهزة ذات الصلة بموضوع البحث والدراسة، من خلال تتبع عناصر كل منهما، ومقارنتها بأثر المتغيرات من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر مع تحديد المبادئ، والأهداف، والصفات، والخصائص، والاتجاهات التي تأثرت أو تغيرت، أو أنها في طريقها إلى ذلك.

إن التكرار الكمي، والكيفي للكلمة، والفكرة، والجملة في الخطاب الشفوي، أو النص المكتوب، قد يعطى دلالة للموضوع بتأثير سالب، أو موجب، مما يجعل الباحث منتبها إلى ذلك أثناء تجميع المعلومات وتحليلها وتفسيرها، وأن يكون منتبها إلى التكرار الكمي للكلمة، أو العبارة، أو الجملة. ولذلك قد يتعمد الكاتب أو الخطيب على سبيل المثال التكرار، من أجل تثبيت المستهدف من الموضوع، مما يجعل للتهكم والسخرية أحيانا أهمية واعتبار عند تسفيه بعض المواقف أو الأفراد أو التقليل من أهمية الموضوع. ولذا عندما يكون التكرار بلا أهداف، يكون تكرارا بلا معنى (كم ليس إلا)، وتضييع للوقت والجهد، أما إذا كان من ورائه حكمة وهدف، فيكون له معنى وأهمية.

إذاً متى ينبغي أن تتكرر الكلمة، أو الجملة، أو الفكرة في النص أو الخطاب أو الموضوع؟

تتكرر عندما يكون لها مضمون وقصد (عندما يكون للكم كيف).

إذا هل التكرار ككم يعبر عن مصادق؟

ليس بالضرورة، لأن القول غير الفعل والكم غير الكيف، ولهذا لا هوية للكم إلا بالكيف. وعندما يكون للكيف هيئات وأشكال، يتعدد، وعندما يتعدد يُكوِّن كما، وعليه لكل كم كيف، ولكل محتوى مضمون، ومضمون الكم محمولا في الكيف كما تحمل المعاني في الأرقام، وعليه إذا عرفنا على سبيل المثال الأرقام 1، 2، 3، 4، وإلى النهاية من الكميات ، فهل معنى ذلك أننا عرفنا مضامينها؟

كل الأعداد والأرقام مجردة ، ولا تعطى معنى وافٍ لها، إلا إذا عرفنا الكيفيان التي هي عليها من خلال معرفتنا لصفاتها، وخصائصها، فالأرقام 1، 2، 3، 4، على ماذا تدل؟

. هل تدل على أوزان؟

. هل تدل على درجات حرارة.

. هل تدل على الإنسان؟

. هل تدل على الحيوان؟ أم على ماذا؟

فإذا افترضنا أنها تدل على الإنسان، فهل ألإنسان متعدد ليكون 1، 2، 3، 4؟ أم أنه إنسان واحد لا يتعدد؟

في اعتقادنا الإنسان واحد، لا يتعدد، ولكن البشر هم الذين يتعددون، ويختلفون، لأن الإنسان يعبر عن مضمون واحد (بتوحد الإنسانية فيه)، إذن من خلال تحليل المضمون يمكن أن ينتقل الباحث إلى المتعدد منه، أو المتجزئ منه، أو المحتوي له، فعندما نحدد إنسانا واحد ونقول أنه أمة كما قال الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا}[36] إن ذلك يعنى أن أخلاقيات الأمة، واعتباراتها التي تحتويها مجتمعة قد توحَّدت في إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مما جعل مضمون الأمة الذي هو مضمون لمجموعة من البشر الذين تربطهم رابطة الأصل والانتماء، مساويا للمضمون الذي كان عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفى هذه الحالة فإن إبراهيم لوحده كان امة.

وعليه عند تحليل المضمون يجب مراعاة الآتي:

1 . الكلمة.

2 . الموضوع.

3 . الخصائص.

4 . واصفات.

5 . والظرف الزماني والمكاني للمعلومة.

6 . الصلاحيات.

7 . الاختصاصات.

إن غياب المصادر المباشرة، كالأفراد، والجماعات والأقوام (كقوم عاد وثمود)، وغياب بعض المفكرين، والفلاسفة والمجاهدين الأبطال الذين توفاهم الأجل، أو استشهدوا وتركوا لنا تاريخا، وفكرا، وعلوما موثقة، وفى متناول أيدينا، يعتبر غيابهم حاضر من خلال ما تركوه لنا من أثار علمية تتطلب من الباحث سبر أغوارها، وتحليل مضامينها، لآخذ العبر منها، وتجنب ما وقع فيه البعض منهم من انحراف أدى بهم إلى الهاوية، وهناك من ترك لنا آثارا مكتوبة، أو مسموعة

---

[36] النحل 120.

ومرئية بوسائل الإعلام الحديثة، كالقادة والمفكرين الذين لازالوا على قيد الحياة، وقد لا يتمكن الباحث من مقابلتهم لبعد المسافة أو لصعوبة الاتصال بهم، مما يجعله يولي اهتماما بتحليل ما قالوه، أو يكتبوه عبر الزمن، وذلك بهدف لدراسة شخصياتهم، أو لمعرفة اتجاهاتهم وما حدث عليها من تغير، أو لمعرفة العوامل التي أثرت في حياتهم واتجاهاتهم وأفكارهم سلبيا أو ايجابيا.

ويكون لطريقة تحليل المضمون أهمية اكبر عندما تسنح الفرصة للباحث بأن يطَّلع على المضمون ويشاهد صاحبه، لكي يتمكن من ملاحظة ردود أفعاله، وإجراء مقابلة معه للاستيضاح عن بعض الاستفسارات التي يرى الباحث أهمية الإجابة عليها في إثراء الموضوع.

وتعتبر وسيلة الملاحظة هامة جدا في تحليل المضمون،من حيث:

1 . تجميع المعلومات.

2 . تحليل المعلومات.

3 . تشخيص الشخصية والحالة التي هي عليها.

4 . استخلاص النتائج.

فقد يشاهد الباحث الأشخاص والصور والأشكال، ولكنه لا يشاهد معاني الكلمات والجمل، ولا يميز بالمشاهدة بين أسلوب الجد وأسلوب الهزل الذي قد يصاغ الخطاب أو النص به مما يجعل للملاحظة أهمية في التمييز بين ذلك وتمكين الباحث من التعرف بواعي.

فعند مشاهدة الباحث للقائد أو الرئيس وهو يلقى خطابا عن موضوع بحثه الذي يتابعه، وليكن: (دراسة اتجاهات الخطيب الوحدوية) فالباحث من خلال مشاهدته للخطيب وهو يلقي خطابه يستطيع ملاحظة تفاعلاته ودرجة تحمسه، وردود أفعاله من ذوى الاتجاهات الانفصالية، ولهذا يتمكن من استقراء اثر الكلمة، أو الفكرة على الموضوع قيد المشاهدة والملاحظة، وينبغي ألَّا يكون الخطاب نقطة النهاية، بل يجب على الباحث أن يتابع موضوعه من حيث التعرُّف على ما تم تجاهه من إجراءات عملية، لتنفيذ ما ورد في الخطاب (موضوع البحث والدراسة) كإصدار اللوائح والقوانين والاتصالات مع الأطراف ذوي العلاقة لتحريضهم على

الوحدة، ودفعهم إلى توقيع الوثائق التاريخية، وإلا لن يكون لمضمون الخطاب مصادق، وبل يصبح عبارة عن حبر على ورق أو كلمات في أشرطة التسجيل قد تساعد الخطيب على امتصاص غضب الناس من النظام الذي يرأسه.

تحليل المضمون طريقة ونحن نتفق مع التعريف الذي صاغه الدكتور سمير نعيم بقوله: "تحليل المضمون هو إحدى طرق البحث التي تستخدم من أجل الوصول إلى وصف منظم موضوعي وكمي لمختلف تسجيلات التعبير الرمزي"[37].

الوسائل العلمية لتحليل المضمون:

1 . التصانيف القيمي.

2 . المشاهدة.

3 . الملاحظة.

4 . المقابلة.

5 . الاستبيان.

أسس تحليل المضمون:

1 . محتوى:

المحتوى هو الذي يحمل المضمون في نصه، ولذا فالمحتوى عام، وهو ما كتب، أو قيل، أو سجل على وسائل تحفظه، ويمكن الرجوع لها عند الحاجة، من أجل التعرف على ما تحتويه من مضامين، ولذلك يتم التعرف على المضمون بالإطلاع على المحتوى، والمحتوى هو الإطار العام الذي يستوعب بؤرة الاهتمام وهوامشه، والمضمون هو اللب الرئيس الذي يبنى عليه النص.

2 . محلل:

المحلل هو الباحث المولي اهتماما بالموضوع قيد البحث والدراسة، والمستخدم لوسيلة الملاحظة بانتباه أثناء تحليل المضمون، أو أثناء اطلاعه على استمارة تصنيف قيمي، أو استمارة مقابلة، أو استمارة استبيان تحتوي على معلومات ذات دلالة علمية من تستوجب التحليل.

[37] سمير نعيم، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية. القاهرة: الطبعة الخامسة، 1992، ص159.

وتعتبر استمارة التصنيف القيمي من أهم الأدوات المستخدمة في تحليل المضمون ثم وسيلة الملاحظة، وللمقابلة أهمية كبرى في استخدامات هذه الطريقة لأجل التحقق من المعلومات الجاهزة.

وعليه لم يكن تحليل المضمون وسيلة كما حدده البعض ولم يكن خطوة علمية مجهولة كما اعتقد البعض الآخر، بل إنه طريقة علميا بؤرة اهتمامها التقصي الدقيق للمعلومات من المصادر الآتية:

1 . المصادر البشرية: وهم شهود العيان، والمعاصرين، والمشتركين في الموضوع قيد البحث والدراسة.

2 . المصادر المشاهدة وملاحظة: وهي الآثار، والتحف، والرسومات كشواهد مادية يمكن مشاهدتها وملاحظتها.

3 . مصادر مكتوبة، وتنقسم إلى الآتي:

أ . المخطوطات: بعد مراجعتها وإخضاعها للنقد الداخلي من خلال ما تتضمنه من نصوص ولغة وأسلوب، وشواهد وبراهين، ثم إخضاعها للنقد الخارجي من حيث الزمن الذي كتبت فيه، والزمن الذي تتحدث عنه، وعلاقاتها بما كتب في مجال نصوصها، ومضامينها.

ب . الوثائق الرسمية: من مقالات، وأفكار، وأشعار، وسجلات، وتقارير، وصحف معتمدة، وكذلك المذكرات والمراسلات الرسمية، والمذكرات الخاصة إن وجدت، وهذه المذكرات الخاصة تعتبر على درجة عالية من الأهمية خاصة إذا كان صاحب الحالة المدروسة من الذين يعانون من أمراض نفسية، واجتماعية.

3 . المحلل من أجله: وهو المستهدف بالبحث والدراسة، فإذا اعتبرنا أن المحتوى هو الموضوع من خلال نصوصه العامة، وأن المحلل للموضوع هو الباحث، فيكون المحلل من أجله الموضوع هو المبحوث فردا أم جماعة أم مجتمعا، مما يجعل للموضوع مصادر مباشرة أو غير مباشرة يستوجب الاتصال بها للتعرف على العلل والأسباب التي يحتويها الموضوع، وفق أهداف واضحة. ولكي يستوفى الموضوع بالدراسة والبحث العلمي، ينبغي على الباحث مشاركة المبحوث في تشخيص الحالة وما يتم التعرف عليه من معالجات وأن لا ينوب

الباحث عن المبحوث في ذلك، لأن الموضوع يتعلق بالدرجة الأولى بالمحلل من أجله (هو المبحوث) .

ولتوضيح ذلك احلل التعليم كموضوع يستوجب اشتراك العناصر البشرية ذات العلاقة به من حيث فلسفته وأهدافه ومهامه.

التعليم: إن التعليم المنهجي المنظم، والمقررات المفروضة على الدارسين قد تؤدى إلى قولبة الفكر الإنساني، وتكون قامعة لرغباته، لذا فالإجبار على تعلمها لا يمكن المتعلم من بناء مستقبله، لأنها تستهدف تعليم رؤية معينة، أو اتجاهات محددة مع طبيعة القضايا المقررة على الدارسين، مما يجعل من المعلِّم طرفا ومن المتعلم طرفا آخر على النحو الآتي:

من المعلم طرفا موجبا ، ومن المتعلم طرفا سالبا.

ومن المعلم طرفا ملقِّنا ، ومن المتعلم طرفا ملقَّنا.

ومن المعلم طرفا متحدثا ، ومن المتعلم طرفا مستمعا.

ومن المعلم طرفا مُرسلا ، ومن المتعلم طرفا مستقبلا.

ومن المعلم شرطيا أثناء إجراء الامتحانات ، ومن المتعلم لصا مطارد.

إن هذه المنهجية العقيمة لا يمكن أن تنجب المبدعين، ولا تعلم علوم الصحوة والتنوير (علوم الاختراع المنتج) بل أنها تعلم الأمية، وتُسهم في تخريج اللصوص والغشاشين، إن مثل هذه الطريقة التعليمية عن طريق الجلوس على الكراسي المصفوفة هي بحق تعتبر في العصر الحديث طريقة تعليم الأمية عن عمد وقصد.

إن الأمية التي كانت الشعوب تعلم أبنائها خوفا منها أصبحت اليوم تعلمها لأبنائها عن طريق مقررات وأساليب التلقين التي لا تُخرِّج إلا الببغاوات. وإن علوم اليوم والغد يجب أن تكون هي علوم تحرير المتعلمين من القيود وهى علوم إشباع الحاجة التي تتطلب الإبداع والإنتاج وتبنى الشخصية الواعية، وهذه العملية لا تتحقق من قبل معلم واحد أو مدرس واحد، بل أنها تتطلب أكثر من معلم لكي تكتمل وتستوعب من قبل المتعلم، وأن تكون المعلومات قابلة للتطبيق والتجريب والاختبار والقياس بكل معيارية وموضوعية، وأن يُسمح للمتعلم أن

يشارك في التطبيق والتجريب، ويُفضَّل أن يكون تعلمه في الميدان لا في الفصول التي تعزله عن أداء هذه المهمة العلمية في أماكنها المناسبة.

إن العلوم الاجتماعية والإنسانية التي توصف من قبل البعض بالنظرية هذه هي علوم تعليم الأمية، وكذلك علوم المختبرات التي لا تمكّن المتعلم من الانتقال إلى الميدان هي الأخرى علوم تعليم الأمية. فعيوب التربة أو ميزها التي تضر أو تفيد الزراعة والإنتاج الزراعي للبلد لا ينبغي أن تقتصر دراستها في المختبرات ليتعلم الطلبة عليها، بل ينبغي أن يخرج الطلبة من الفصول والكراسي إلى الميدان المراد دراسته وإجراء التجارب عليه، حتى لا يقتصر تعليمهم على العينات الترابية التي قد لا تكون ذات علاقة بالبيئة التي هم من أجلها يتعلمون ويتخصصون.

ولذلك لو كانت دراسة المشاكل الاجتماعية في الفصول تفيد المتعلمين لقضوا على كل المشاكل التي تواجه مجتمعاتهم، ولكن الذي يحدث هو تضاعف هذه المشاكل والظواهر وازدادت تعقيدا، وإذا كان الأمر كذلك، إذاً ماذا يتعلَّم الطلبة ليفيدوا به مجتمعاتهم سياسيا واقتصاديا واجتماعيا؟

في اعتقادي لم يتعلموا إلا الأمية.

ولكي لا تفرض مثل هذه المقررات على المتعلمين ينبغي أن يتم تغيير الأساليب المنهجية للعملية التعليمية، المتعلقة بالمعلم والمتعلم والمعارف المفروضة، أي أن تترك حرية الاختيار أمام المتعلم، وأن تكون أساليب التعليم قائمة على الجدل والحوار والنقد، والشك من أجل اليقين، والتجريب، وليست مسلمات قائمة على التلقين. أنه التعلم الذي تكون أطرافه موجبة، عندما تستوعب جسارة المعلم، والمتعلم الإبداعية، دون تحديد مواقف مسبقة منها، ولذا فإن إعطاء المعلِّم للمتعلمين ما قاله ديكارت في الشك أثناء إلقاءه المحاضرات التعليمية، ثم مطالبتهم بإعادته إليه إجابات أثناء الامتحان، هل هذه الطريقة تضيف الجديد للمتعلمين أي هل هذه الطريقة تُسهم في خلق المفكرين والمبدعين؟ أي تعليم لم يخضع للتحليل والنقد والتفسير لن يضيف الجديد، أنه مجرد تكرار روتيني يطفئ روح التألق والإبداع، وهو عبارة عن عنعنة من خلالها نقلت النص عن ديكارت

للمعلم، ثم يأتي المعلم للفصل ليقول للطلبة ما قاله ديكارت، وبعد ذلك يعود إليهم في الامتحان ليسألهم عما قال ديكارت، فيقول له الطلبة على مضض ما قاله ديكارت مع الفاقد منه.

التعليم يجب أن يكون تشخيصيا وأن يبدأ مع المتعلمين من حيث هم، ليرشُدهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، أي في المجتمعات الفقير ينبغي أن يبدأ المعلم مع المتعلمين في البلدان الفقيرة من حيث فقرهم وظروفهم لينتقل بهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه، ومثال على ذلك التعليم في موريتانيا، أو مالي أو الصومال عندما يكون في محتوياته الحديث عن أهمية القصور الفاخرة، وأهمية ارتداء الملابس الحريرية، والحلي الثمينة والبرجوازية العظيمة، يعد أضحوكة لأن المواطن في حاجة لتعليم يحلل واقعه، وظروفه المعوزة، لأجل أن يؤهله ويحفَّزه على الإنتاج والمثابرة التي تُمكِّنه من أن يطوي صفحات الفقر، والجهل والمرض، ويتحرر من قيودها، ليسهم في تغيير واقعه، ولذا فالفقر لا يكن عيبا، بل العيب عدم الاعتراف به، وعدم العمل على التخلص منه إلى غير رجعة. وعليه، يكون لتعليم السياسة، والاقتصاد والآداب، والفنون، والرياضة، والطب والعلوم المتنوعة والمتعددة معنى ومضمون عندما تسعى جادة في تحليل وتشخيص الواقع، وتعمل على تغييره إلى الأفضل.

ويتم تحليل المضمون وفق المعطيات الأساسية التي تكوِّن وحدة الموضوع، وتبرز أصوله، وتظهر فلسفته، ويتم تفسيره وفق النتائج والأحكام والقوانين المتوصل إليها، وكما يرتبط التحليل بالمضمون، يرتبط التفسير بالتحليل.

ولتوضيح ذلك اعرض التحليل الآتي:

في حالة الاستماع لخطاب أو نص أو في حالة قراءة موضوع، وليكن هذا الخطاب، أو النص، أو الموضوع مستندا على فلسفة إسلامية، بتأكيده على أهمية الكتاب كمصدر للتشريع الإسلامي، فإذا تضمن الموضوع وتحليله النتائج الآتية:

1 . إن القرآن هو مصدر التشريع.

يكون التفسير لأن الكاتب، أو المشرِّع، أو الخطيب مسلم.

2 . التأكيد والتركيز على تحريم الخمر.

يكون التفسير لان القائد، أو المسؤول، لم يكن من متعاطي الخمر، إلى جانب كونه مسلم.

3 . إنَّ النصوص، والقوانين الصادرة، والخطب تُحرِّض على قيام الوحدة بين أبناء الأمة الواحدة.

تفسر لان المسؤول أو المُشرِّع وحدوي.

خطوات طريقة تحليل المضمون:

1 . تحديد مشكلة البحث أو موضوعه.

2 – تحديد أهداف البحث.

3 . تحديد وحدة الاهتمام.

4 – تحديد فروض البحث أو تساؤلاته.

5 . تحديد مصطلحات البحث.

6 . استطلاع الدراسات السابقة.

7 – جمع المعلومات والبيانات.

8 – تحليل المعلومات.

9 – استخلاص النتائج أو الاستنتاجات وعرضها.

10 . تفسير النتائج.

11 . التوصيات أو المقترحات.

12 – كتابة التقرير.

أهداف استخدام طريقة تحليل المضمون:

من أهداف طريقة تحليل المضمون في العلوم الاجتماعية والإنسانية معرفة الجوهر الخاص والعام في الدراسات الفردية، والجماعية، والمجتمعية، ومع أن الجوهر لا يخضع للمشاهدة نظرا لكمونه، إلا أنه في دائرة الممكن يُستدل عليه بما يلاحظ في القول والفعل والعمل والسلوك.

ولهذا أتساءل:

هل يحق لنا أن نحكم على كل ما نشاهده من سلوك أنه خير معبّرٍ عن حقيقة الجوهر؟

إذا كانت الإجابة بنعم.

فإننا اعترفنا بوجود تطابق بين الصورة والجوهر، وإذا كان كذلك فإن السلوك الظاهر في هذه الحالة وكأنه الجوهر، مع العلم أن الجوهر لا مادة فيه فهو مجموع تلك المكونات من المشاعر، والعواطف، والأحاسيس والحق، والعدل وغيرها، مما يجعلنا نستنتج أنه لم يكن من الأمر الهين أن يتطابق السلوك مع الجوهر، وإن تطابقا كان السلوك أو الفعل والعمل على درجات الصدق العالية، وإن لم يتطابقا فالحقيقة دائما كامنة في الباطن لتستدعي باحثا ماهرا لينقب عنها بفنٍ ومهارةٍ ومهنيةٍ.

أمَّا إذا كانت الإجابة بلا.

إذن لماذا يثق البعض في صورة أو سلوكٍ لا يعبر عن الجوهر (مكمن الحقيقة)؟ ولماذا تُصدر الأحكام وتعمم على من لم يشترك فيما يشاهده الباحث؟

وعليه فالمشاهد لم يكن علة أو سببا، بل السبب والعلة هما الكامنان وراء ما يشاهد، وهذه العلة تنقسم إلى جزأين:

1 . علة صادقة.

2 . علة كاذبة.

1-العلة الصادقة: هي التي تنعكس في السلوك، ويكون أصدق معبر عنها أي أن السلوك في هذه الحالة مترجم حقيقي للجوهر من حيث كونه لم يكن متأثرا بمتغيرات ذاتية أو خارجية، بل كان التصرف والسلوك حسب الموقف تصرفا وسلوكا طبيعيا.

2- العلة الكاذبة: هي العلة الظاهرة التي لا تحمل المعنى الحقيقي للموضوع ولا تُشير إلى ما يدل عليه، مما يجعل السلوك الظاهر لا يُعبر عن حقيقة الجوهر، بل قد يعبر مما يُعبِّر عنه اتخاذ موقفا من الباحث أو من الموضوع مما يجعل المبحوث مُتصنِّعا للسلوك المشاهد.

وعليه يكون واضحا عدم الثقة في كل مشاهد أو ملاحظ. وبما أنه كذلك فإنه أصبح من الصعب الاعتماد عليهما كأداتين في إصدار الأحكام مع إنهما هامّان في تجميع المعلومات، ومن هنا وجب تصحيح الخلط بين المشاهدة والملاحظة كأداتين هامتين في تجميع البيانات أو أنهما مصدرا حكم.

أ- في حالة تجميع المعلومات:

تعتبر المشاهدة التي تعتمدها طريقة تحليل المضمون أداة مهمة من خلال اعتمادها على حاسة البصر والرؤية المُمكِّنة للباحث من الوقوف مباشرة من مشاهدة السلوك.

والملاحظة مهمة جدا لأنها تُمكِّن الباحث هي الأخرى من التعرف على السلوك أو الفعل الملاحظ وتُمكِّنه فوق ذلك من استعمال أكثر لحاسة البصر، وذلك لأن الملاحظة تُستمد من المشاهدة وبقية الحواس مع سيادة العقل على رأسها، فبها يتم الاستنباط والاستقراء والاستنتاج، ولهذا تكون الملاحظة أكثر شمولا من المشاهدة.

ب- في حالة إصدار الأحكام:

فإذا قبلنا بأن المشاهدة والملاحظة وسيلتين لإصدار الأحكام فإننا لغينا أهميتهما في تجميع المعلومات، وإذا تساءل البعض كيف؟

يجاب عليه بالأسئلة التالية:

إذا حكمت على فعل أو سلوك من أفعال أو سلوك الفرد أو الجماعة أو المجتمع فبماذا أيها الحاكم (الباحث) حكمت؟

هل لأنك نظرت أم لأنك سمعت؟

إذا كانت الإجابة بنعم لكليهما.

إذاً اعترفنا بأن الوسيلة استعملت في إصدار الأحكام وليس في تجميع المعلومات والبيانات.

وإذا كانت الإجابة بلا.

إذاً اعترفنا بأن الوسيلتين هما لجمع المعلومات والبيانات، وبما أن الإجابة كانت باستعمالهما في تجميع المعلومات والبيانات إذاً لا داعي للحكم، ولهذا فأي حكم عن طريقهما لا يعتد به.

ويستنتج من الفقرتين (أ ، ب) أن هناك ازدواجية الاستعمال للمشاهدة والملاحظة في تجميع المعلومات وفي تحليلها أو تفسير نتائجها، ونحن نقول:

ينبغي عدم الزج بهما في أحكام مطلقة فالمعلومات التي تصدر الأحكام عليها استنادا على الملاحظة والمشاهدة هي معلومات تحتاج إلى تحليل علمي وموضوعي، ولهذا المعلومات تحلل ولا تفسر، فالذي يُفسر هو النتائج.

وكما سبق أن وضَّحنا لا يمكن التسليم بصحة كل ما يشاهد أو يلاحظ، ولهذا يُفضَّل إبعادهما عن الحكم واعتبارهما وسيلتين مهمتين في تجميع المعلومات وملاحظة السلوك، فتجميع المعلومات عن طريق المشاهدة والملاحظة يُعد مادة أولية قابلة للتحليل وليست قابلة للتفسير.

وعليه تُعتبر المقابلة في هذه الحالة اختباريه للمعلومات التي تم تجميعها أو الحصول عليها بأي وسيلة من وسائل جمع المعلومات، ولذا فبالمقابلة يمكن مساس الجوهر (المضمون) عن طريق الجدل والحوار والنقاش الهادف والتنفيس الوجداني حول الموضوع وعلى مرتكزاته ووفقا للسلوك أو الفعل الذي تمت مشاهدته وملاحظته.

ولتوضيح ذلك نقول على سبيل المثال:

لو شاهد اثنان من المسلمين هلال شهر رمضان هل تعتبر هذه المشاهدة حكما أم لا تعتبر حكما؟

بالطبع تكون الإجابة بلا.

لأن مشاهدة الاثنين لم تكن حكما بل معلومة وهذه المعلومة قابلة للتحقق منها وفق اشتراطات باعتبارهما مسلمين والمسألة تتعلق بصوم شهر رمضان المبارك وذلك من حيث:

أ – هل هما مسلمان بالفعل؟

ب – هل هما عاقلان.

ت – هل هما في حالة صحو وفطنة ولم يكونا في حالة سُكر.
ث – ألا يكون من المهم أن تُجرى مقارنة لحديثهما من أجل إثبات المصداقية من عدمها.
ج – ولأجل أن تطمئن القلوب إلا ينبغي أن يقسما على المصحف بأنهما عن حق شاهدا الهلال الذي يدل على بداية شهر رمضان لهذا العام.
بعد ذلك يصدر الحكم على مشاهدتهما التي تؤكد رؤيتهما لهلال شهر رمضان من عدمه. وكل ذلك لا تم إلا عن طريق المقابلة التي من خلالها يتم اختبار أقوالهما عمَّا شاهداه لهلال شهر رمضان من عدمه.

المصادر والمراجع العربية والمترجمة للعربية

1 الموسوعة العربية العالمية. شركة أعمال الموسوعة، الطبعة الثانية، 1999.
2 . الموسوعة الفلسفية. وضع لحنة من العلماء والأكاديميين السوفيت "ترجمة سمير كرم". بيروت: دار الطليعة..1974
3 . الموسوعة الفلسفية العربية. معهد الإنماء العربي، بيروت، 1997.

4 . الموسوعة في العلوم الاجتماعية "ترجمة عادل مختار، وسعد عبد العزيز". الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999.

5 . الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، عقيل حسين عقيل.

6 ـ إميل دور كايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع "ترجمة د.محمود قاسم، د.السيد محمد بدوي". الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، 1988.

7 ـ أحمد كمال أحمد، تنظيم المجتمع نظريات وحالات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الثاني، 1975.

8 ـ إسرائيل 2020 خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

9 ـ التفكير الإبداعي. مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

10 ـ المناهج التدريبية المتكاملة (تحليل المشكلات واتخاذ القرارات). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

11 . المناهج التدريبية المتكاملة (التخطيط والمتابعة). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

12 . بيتر هوني، الأفراد ذوو المشكلات وكيفية التعامل معهم "ترجمة عبد الله بن سحمي". الرياض: معهد الإدارة العامة مركز البحوث، 2003.

13 . بيل جيتس، الطريق المقبل "ترجمة فتحي شتوان". مصراتة: الدار الجماهيرية، 1999.

14 . باسل شيخو، هل فات الأوان لتبدأ من جديد حدد مسارك. دمشق: دار القلم، 2004.

15 . توماس فريدمان، العالم مسطّح تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين"ترجمة عمر الأيوبي". بيروت: دار الكتاب العربي، 2006.

16 . تريسي جروس، كيف تجعل المستحيل ممكنا التحولات السبعة لإعادة هندسة ذاتك ومؤسستك "ترجمة علاء أحمد صلاح". القاهرة: إصدارات بيمك، 2002.

17 . تد جارات، البرمجية اللغوية العصبية للمدرب الفعّال "ترجمة إصدارات بيمك". الجيزة: 2004.

18 . تخفيض الفقر عبر سياسات سوق العمل. بيروت: المعهد الدولي لدراسات العمل، 2000.

19 . تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004، نحو الحرية في الوطن العربي. عمان: المكتب الإقليمي للدول العربية، 2005.

20 . جورج طرابيشي، نظرية العقل. بيروت: دار الساقي، 1996.

21 . جوان مارك، مارقريت ميد وسن الرشد "ترجمة سعيد محمد" الرياض، مكتبة العبيلك، 1999.

22 . جان جاك روسو، العقد الاجتماعي "ترجمة بولس غانم". بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، المكتبة الشرقية، 1972.

23 . جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية الحضارات على المحك "ترجمة جورج كتورة". بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

24 . الإدارة الإستراتيجية (المبادئ والأدوات). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

25 . خليفة محمد الزعابي، كُن مُعجِزاً حلّق في القمة. دبي: مركز الخليفة للتنمية الاجتماعية والإدارية، 2004.

26 . ديفد لورانس، 365 خطوة لتحقيق الثقة بالنفس "قسم الترجمة بدار الفاروق". القاهرة: دار الفاروق، 2004.

27 . دوروثي ليدز، قوة الكلمة "ترجمة عبد الرحمن توفيق". القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة (بيمك)، الطبعة الثانية، 1999.

28 . دونالد هـ. ويز، إجراءات المقابلة الشخصية بنجاح "ترجمة شوكار زكي". القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2000.

29 . روبرت ك كوبر، كيف تفجر الطاقة الهائلة الكامنة بداخلك وتوظفها في القيادة والحياة "ترجمة مكتبة جرير" الرياض، مكتبة جرير، 2004.

30 ـ ستيفن ر. كوفي، العادات السبع للناس الأكثر فعالية دروس فعّالة في عملية التغيير الشخصي "ترجمة مكتبة جرير". الرياض: مكتبة جرير، الطبعة الثالثة، 2002م.

31 . سعاد خيري، العولمة، وحدة وصراع النقيضين عمولمة الرأسمال والعولمة الإنسانية. بيروت: دار الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى، .2000

32 . سوسن عثمان عبد اللطيف، تنظيم المجتمع الأسس المهنية. القاهرة: مكتبة عين شمس، .2001

33 . سو نايت، البرمجة اللغوية العصبية في العمل "ترجمة مكتبة جرير". الرياض: مكتبة جرير، الطبعة الثانية، .2004

34 . صامويل هنتجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي "ترجمة طلعة الشايب". القاهرة: دار الكتاب المصرية، 1997.

35 . عقيل حسين عقيل.

أ . فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات جامعة الفاتح، الطبعة الثانية، 1995.

ب . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات دار الجأ، 1996.

ج . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، الآفاق الجديدة، بيروت: 1999.

د . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت: 2003.

36 . منهج الإدارة العليا (أدوات تقييم الأداء). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

37 . منهج الإدارة العليا (المفاضلة المعيارية). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

38 . منهج المهارات القيادية (أخلاقيات وقيم) مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

39 . منهج الإدارة العلياء (كيف تفكر إيجابيا؟). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

40 ـ منهج الموارد (أساليب إحداث التغيير والتطوير التنظيمي) مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

41 ـ منهج المدير الفعّال (الأساليب الإبداعية في تحليل المشكلات واتخاذ القرارات) مركز الخبرات المهنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

42 . موسوعة مدربون بارعون (التدريب المباشر). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

43 . موسوعة مدربون بارعون (العوامل السبع للتغيير). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

المراجع الأجنبية

1--Albert, Ethel M, “The Classification of Values, A Method and Illustration”, American Anthropologist, Vol. 58, 1965.

2 -Abbett, Kants. T. K., Theory of Ethics, London, 1927, In Lancaster, master of Political Though, Hegel to Dewing. George

3-Bush, Chilton R., “A System of categories for General News Content” Journalism Quarterly, Vol.37.no.2,1970.

4-Bolck, J., & Thomas, H., Is Satisfaction with Self a Measure of Adjustment? journal of Abnormal and Social Psychology, 1965-51.

5-Hortshoren, J., & May, M. A., Studies in the Nature of Character: Studies in Desert, New York, Mac. Milan, 1968.

6-Holsti, Ole, R., “Content Analysis for the Social Sciences and Humanities” New York, Addison-Wesley, 1969

7-Gardner, E.F. Value of Norms Based on a New Type of Scale Unit, Proc, 1948.

8-Harold, Folding, ”A Proposal of Empirical Study of Values” A.S.R., Vol. 30, No. 2, 1965.

9-Jacob, C.,: Personality and Time Attitude, J. of Abnormal Psychology. Vol. 73, No. 5.
10-Kluckhoon,Florence: variation in Value Orientation, By Florence Kluckhoon and Fred, L. Strode bek-New York, Row peterson,1961.
11-Kelly, E. L., Consistency of the Adult Personality, American Psychologist, 1955.
12-Linton, Ralph: The Culture Background of Personality, New York, Appleton- Century Grafts, 1955.
13-Myrdal, Gunner: value in Social Theory, New York,Harper,1968.
14-Maller, J.B., General and Specific Factor in Character Journal of Social Psychology, 1934-5.
15-Moss. h. A., & Kogen, J., Stability of Achievement of Recognition Seeking Behaviors from Early Childhood Through Adulthood, Journal of Abnormal SOCIAL Psychology,1961-1962.
16-Ohan, Yehodi, A: Social Structure and Personality, New York, Holt Rinebert & Winston,1961.
17-Persons,Talcott: "Toward A General Theory of Social Action", By Parsons&Others,4th printing, Cambridge-Harvad Univ. Press,1961
18-Rogers, C. R., A theory of Personality, In S. Koch (Ed) Psychology, A Study of A Science. Vol. III, New York, Mc Grow-Hill, 1969.
19-Stuit. D.B (Ed) Personnel Research and Test Development in the Bureau of Naval Personnel. Princeton, N.J: Princeton university press, 1967.
20-Throndike. R.L (Ed) Research Problems and Techniques, A.A.F Aviation Psychology Report, No. 3. Washington. D.C: Government Printings Office, 1957.
21-Tiryakian, Edward(ed):Sociological Theory Values and Socio-cultural Change, New York, Glencoe, Free Press, 1973.
22-Wolfe, B.M., & Baron, R.A., Laboratory aggression Related to Aggression in

23-Weir, W. Children's Behavior in a Two-Voice Task as a Function of Patterned Reinforcement Following Forced-Choice Trials, Journal of Experimental Child Psychology,1965-2.
24-Witken, H. A. & Good enough, D. R., Karp., Stability of Cognitive Style from Childhood to Young Adulthood, Journal of Personality, Social Psychology, 1967.
25-Zillmann, D., Excitation Transfer in Communication-Mediated Aggressive Behavior. Journal of Experimental Social Psychology, 1971.

الفهرسة

